GUSU5123

الفرق الإسلامية 2

المحتويات

الدرس الأول : فرقة الشيعة (1)

الدرس الثاني : فرقة الشيعة (2)

الدرس الثالث : فرقة الشيعة (3)

الدرس الرابع : فرقة الشيعة (4)

الدرس الخامس : التكفير عند الشيعة.

الدرس السادس : تابع التكفير عند الشيعة والرد عليهم

الدرس السابع : ولاية الفقيه

الدرس الثامن : فرقة النُّصَيْرِيَّة

الدرس التاسع : فرقة الدروز

الدرس العاشر : فرقة البابية

الدرس الحادي عشر : فرقة البهائية

الدرس الثاني عشر : القاديانية الأحمدية

الدرس الثالث عشر : الرد على البابية والبهائية والقاديانية

الدرس الرابع عشر : الاتحادية

الدرس الأول: فرقة الشيعة (1)

عناصر الدرس

العنصر الأول: التعريف بالشيعة

العنصر الثاني: نشأة التشيع

العنصر الثالث: أهم معتقدات الشيعة

العنصر الأول: التعريف بالشيعة

الشيعة لغة: تطلق كلمة شيعة لغةً على الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، بلفظ واحد ومعنى واحد، وهي كذلك تعني القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع رأيهم رأي بعض فهم شيعة، وهم كذلك أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها "شيع". و"أشياع" جمع الجمع. ويقال: شايعه كما والاه من الوالي.

وقد ورَدت كلمة شِيعَة في كتاب الله سبحانه وتعالى فيقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: 83] أي: من أهل دين نوح عليه السلام ويقول سبحانه: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: 15] أي: فاستغاثه الذي من شيعته من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام ويقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159] كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات.

وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًّا رضي الله عنه حتى صار لهم اسمًا خالصًا.

الشيعة في الاصطلاح:

للشيعة في اصطلاح العلماء عدة تعريفات منها:

1. هم الذين يُشايعون عليًّا رضي الله عنه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2. هم الذين يشايعون عليًّا على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية -يعني: النبي صلى الله عليه وسلم نص عليه وأوصى بخلافته -حسب زعمهم- إما جليًّا وإما خفيًّا،

واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظُلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

والتعريفُ الأول عام يشمل الشيعة جميعًا، وهو الذي أرجحه.

3. والشيعة في عرف الفقهاء والمتكلمين والباحثين: تطلق على كل من يزعم أنه يدين بالحب لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعترته بصفة عامة، ويدين بالولاء للإمام عليٍّ وذريته من بعده بصفة خاصة، وقد غلب هذا الاسم على هذه الفرقة من فرق المسلمين التي تزعم لنفسها التفرد بحب آل البيت، أو علي وذريته من بعده؛ حتى صار ذلك اللفظ علمًا خاصًّا على هذه الفرقة.

فإذا قيل: زيد من الشيعة، عُرف أنه من هذه الطائفة. وإذا قيل: هذا الحكم عند الشيعة، أو في مذهب الشيعة- عُرف أنه عند هذه الطائفة أيضًا.

العنصر الثاني: نشأة التشيع

لقد تعددت الآراء والمذاهب حول نشأة الشيعة، والظروف التي أدت إلى ظهورها، ورجالها الأُول الذين وضعوا نواتها، وقعدوا لمبادئها، وعملوا على انتشارها؛ بحيث لو ترك المجال للقلم أن يكتب ذلك، لطال الحديثُ عنه حتى يُفرد له مُؤلف خاصٌّ به، ولكن ليس ذلك مقصودنا من تلك الدراسة، التي يراد بها التعريف بالشيعة بصورة مبسطة.

واختصارًا للقول في تلك الجزئية نقول: يرى مؤرخو الشيعة أن مذهب التشيع قديم بقدم الإسلام: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: 214] فهذا وحي خاص بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوي قرباه، وتأكد هذا بنزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: 67].

قال ابن عباس والبراء بن عازب: إن هذه الآية نزلت في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعندما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: ((من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل، والبيهقي، والنسائي، وحسنه السيوطي في (الجامع الصغير) (181/2) ورواه الترمذي. ونصه: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) بتحقيق أحمد محمد شاكر، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب (591/5) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئًا لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

قالوا: ومن هنا يستبين أن الذي بلّغه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته بأمر من الله تعالى: هو موالاة علي، وأولويته بالإمامة. وهذا أظهر معاني التشيع الذي يدل على أن الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن من صاحب الرسالة، كانت تمشي جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى التوحيد والرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

كما قال الشيعة أيضًا: إنّ نواة التشيع كانت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم كانوا أوائل الشيعة. لكنهم يركزون على عدد من الصحابة رضي الله عنهم على أنهم جاهدوا في نشر التشيع والانتصار للإمام علي، ومن هؤلاء الصحابة الذين ينوِّه الشيعة بذكرهم وفضلهم في نشر التشيع: من يسمونهم بالأركان الأربعة، أي: أركان المذهب الشيعي، وهم: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر رضي الله عنه.

وبعض المؤرخين لا يتعصبون هذا التعصب المرفوض في نشأة التشيع، ويرون أن التشيع بدأ عند فريق من الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقوع البيعة لخليفة المسلمين أبي بكر رضي الله عنه بعد يوم الثقيفة؛ حيث رأى بعض الصحابة أن عليًّا رضي الله عنه أحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكأنهم ينظرون إلى الخلافة على أنها ميراث أدبي من حق قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ترك ميراثًا ماديًّا يورث لكان من نصيب قرابته وآل بيته. وبما أنه لم يترك إلا الخلافة؛ فإن قرابته هم الأحق بها، وكانوا يتأولون في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 75].

وأنه قد بدأت نواة التشيع بعدد ضئيل من الصحابة هم الذين سبق ذكرهم، وكانوا أربعة؛ ثم ازداد ذلك العدد بعد أن ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة، ونقموا عليه أمورًا كان أولى ألا يقدم عليها -كذا زعموا-، وأنه بذلك تكونت الشيعة بعد فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه وخروج البغاة عليه، أو تكونت يوم موقعة الجمل؛ حيث خرج المطالبون بدم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت الشيعة ممثلة لجيش علي رضي الله عنه.

ثم أضحت الشيعة ظاهرة يوم موقعة صفين، وخاصة بعد فتنة التحكيم، التي أجبر عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قبل فريق من جيشه، وهو يعلم أنها خُدعة؛ فلما تجلى ذلك لهم وقبل علي التحكيم، وتوقف القتال أدركوا أنهم السبب في هزيمته، وضياع الأمر من يده، ولم يجدوا طريقة يكفرون بها عن خطئهم في حق علي إلا بالدفاع عن حقه في الخلافة، ومحاولة إرجاعها إليه.

وبعد مقتل علي ازداد شعور هؤلاء بالذنب؛ فانتقلوا بولائهم من عليٍّ إلى أبنائه، محاولين إرجاع الخلافة إليهم، وكانوا يعتقدون أنهم إن لم يستطيعوا أن يعذروا إلى علي فيما ارتكبوه في حقه؛ فإنهم مستطيعون أن يعذروا إلى أبنائه من بعده، وكُلما مضى الزمن ازدادت العقيدة الشيعية انتشارًا، وانثال عليه الناس متأثرين بشعورين:

أحدهما: شعور بالذنب، والثاني: شعور بالرثاء والعطف.

ذلك أن أكثر أئمة الشيعة كانت حياتهم تنتهي بالقتل، وأحيانًا بالصلب والمثلة، وهذا الفعل كان يعمق الشعور بالذنب عند أنصارهم، ويخلق الشعور بالرثاء والعطف عند عامة المسلمين؛ وزاد من حدة ذلك مقتل الحسين رضي الله عنه وما تعرض له آل البيت من شدائد، أو قسوة أو اضطهاد، ونظرًا لهذا أشفق الناس عليهم، وبذلك تكونت فرقة الشيعة وكثر أتباعها ووضعت لها المبادئ وقعدت القواعد وحددت لها السمات...

وبعد هذا العرض المجمل لما قيل حول نشأة الشيعة من علماء الشيعة أنفسهم، والمؤرخين لها نقول والحق يقال:

إن القول بأن الشيعة نشأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو مجرد زعم، وقول عارٍ من الدليل، وما استدل به هناك من قرآن أو سنة؛ إنما هو على غير وجهه، وليس في بابه، وليس فيه ما يدل على بوادر ظهور تلك الفِرقة، وإنما يدل على منزلة علي رضي الله عنه وذكر منقبة من مناقبه؛ كما أن لغيره من الصحابة مناقب. ويدل على مكانة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب محبتهم بصفة خاصة، فوق حب سائر الصحابة، وهذا أمر معلوم لكافة المسلمين.

والقول بأنّ الشيعة نشأت بعد يوم الثقيفة لتقديم بعض الصحابة لعليٍّ رضي الله عنه على غيره في أمر الخلافة؛ فهذا لا يعدو إلا أن يكون رأيًا لبعض الصحابة، لم يرتفع لهم صوت، كما وقع بديل عنه في الأمصار ممن طالبوا بمبايعة سعد بن عبادة رضي الله عنه أو من قال: "منا أمير ومنكم أمير". فهذه وجهات نظر تبادلها الناس وقت المشورة، وقد اختفت بمبايعة الصديق رضي الله عنه.

ومن زعم بأنه نشأت يوم فتنة الدار؛ أي: مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه عندما خرج عليه البغاة؛ فالحق أنها لم تنشأ في هذه الفترة أيضًا؛ لأنّ خروج البغاة من الأمصار الذين حاصروا عثمان في داره، لم يكن تشيعًا لعلي أو انتصارًا له، بل إن عليًّا وبنيه كانوا في مناصرة

عثمان ضد البغاة؛ حتى عزم الخليفة عليهم بأن يتركوه هم ومن معهم من المهاجرين والأنصار. وكانوا قريبًا من سبعمائة فيهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين، ومروان، وأبو هريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه ولكنه قال لهم: "أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله"، كما قال لرقيقه: "من أغمد سيفه فهو حر". فبرد القتال من داخل الدار وحمي من خارجه، واشتد الأمر حتى كانت الساعة التي تم فيها للشيطان ما سعى إليه وتمناه.

يقول الأستاذ الدكتور عمر بن عبد العزيز في كتاب (أصول الفرق الإسلامية): وكذلك لم تظهر الشيعة بمعناها الاصطلاحي يوم موقعة الجمل ولا صفين، وإنْ كانَتْ هُنَاك بوادر لظهورها؛ مُتمثلة في الفتنة التي حرّض عليها، وأشعل نارها عبد الله بن سبأ، الذي بالغ في العداء لأمير المؤمنين عثمان، وكال له الاتهامات بغير بينة ولا برهان، ونشر ذلك في الأقطار والأمصار، وزعم حب آل البيت وادعى لعليٍّ رضي الله عنه الوصاية، وأنه أولى بالخلافة من كل من سبقوه؛ كما زعم القول بالرجعة للنبي صلى الله عليه وسلم لينتصر لوصيِّه علي، وأخذ يغالي في حب علي رضي الله عنه حتى قال بألوهيته.

فهذا مما لا شك فيه؛ أنها كانت بوادر نشأة تلك الفرقة، وإن كان لا يمنع من وجود أناس مخلصين كانوا يحبون عليًّا رضي الله عنه ولكنهم لا يفضلونه على أبي بكر وعمر، وهناك مُفَضّلونَ وهم الذين يفضلونه على غيره من الصحابة، دون انتقاص أحد منهم، وهناك مفضلون، وهناك أيضًا الغالون، الذين غالوا فيه فرفعوه إلى مرتبة النبوة، ومنهم من رفعه إلى مرتبة الألوهية، وأنه حل فيه جزء إلهي؛ إلى غير ذلك من أقوالهم فيه.

والحق يقال: إنه دخل في الشيعة أشتات من الناس؛ منهم المخلص لمبادئها، وأكثرهم المغرض الذي رأى في انضمامه إليها سبيلًا يصله بغرضه، ويقربه من هدفه؛ فقد تشيع كثيرون حبًّا في علي وولده، وتشيع آخرون نفاقًا ووصولية، من هؤلاء على الخصوص: جمهرة من أسلم من

الفرس، حيث انضموا إلى الشيعة لأسباب كثيرة أهمها: مقتهم لبني أمية، وتبرمهم من تركز السلطة في أيديهم وتعصبهم للعرب، وإهمالهم شأن الفرس، وكذلك رغبة الفرس في إشاعة الفتن، وإذاعة القلاقل والمحن.

كذلك كان الفرس يعيشون تحت سلطة ملك عتيد عمّر مئات السنين، وكانت تحكمهم أسرة ساسان؛ لذا فقد نشئوا على إيمان بأن الملك وراثي، وأن دم الملوك لا يشبهه دم آخر؛ ومن هنا كانوا يرون أن ولاية الأمة الإسلامية التي كان على رأسها صلى الله عليه وسلم هي من نصيب أسرته أو أقربائه.

واندسَّ في صفوف الشيعة كذلك الحاقدون على الإسلام، من الفرس والروم والنصارى والمجوس والوثنيين، وأصحاب الديانات السابقة على اختلافها، كُلّ هؤلاء اندسوا في الشيعة، ثم أخذوا ينفثون سمومهم من تعاليم أديانهم ونحلهم؛ حتى بدت الشيعةُ في صورة من المسخ العقلي والتلوث الفكري، والشتات بين طوائفها الذي لا يكاد يجتمع على شيء، أو على مبدأ واحد.

إن الشيعة ليست مذهبًا واحدًا؛ بل مذاهب، وإن شئت قلت: بل هي مسخ من الأديان، أو الملل والنحل، لخليط من أناس في صورة البشر، تظاهروا بالإسلام، وهم يريدون أن ينشروا تعاليم أديانهم، ومبادئ فلسفاتهم، التي يدينون بها، وفي ذات الوقت هم بنشر هذه التعاليم والمبادئ يعملون على إضعاف الدين الجديد، بإشاعة البلبلة وتفريق الكلمة، وهزيمة الأمة وتقتيل بعضهم بعضًا، وفتح أبواب الجدل والمناقشة، وخلق جو من التشكيك في تعاليم الإسلام، وبعض مبادئه.

ولعل هذا يفسر لنا السر في أن كثيرًا من الطوائف التي انتسبت إلى الشيعة، تحوّلت عن تعاليم الدين إلى فلسفات هوت بها في وهدة الكفر والإشراك، فمَن من الباحثين يستطيع أن ينكر

تأثر الشيعة بالفرس في تقديسهم للملك، والموارثة في الملك، وتشابه نظام الشيعة مع نظام الفرس واضح، وأن أكثر أهل فارس الآن من الشيعة، والشيعة كانوا من فارس.

ومَن من الباحثين يستطيع أن ينكر أن أصل الشيعة يرجع إلى ذلك اليهودي الخبيث عبد الله بن سبأ، الذي ظهر في أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وجاء من صنعاء إلى المدينة المنورة؛ مظهرًا إسلامه، ومستترًا بتشيعه لعلي بن أبي طالب، زاعمًا حبه وحب آل البيت، وكان من ألد الأعداء لأمير المؤمنين عثمان بن عفان وولاته، وفي المدينة نشر أفكاره حول علي بن أبي طالب، أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًّا، وعلي هو وصي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيرجع إلى الحياة الدنيا كما سيرجع عيسى عليه السلام.

وقال: عجبت لمن يقول برجعة عيسى، ولا يقول برجعة محمد. ثم قال بنبوة علي، ثم زاد في مزاعمه حتى حكم بألوهيته، وقال له: أنت أنت، أي أنت الله، وهَمّ عليٌّ بقتله، ولكنّ ابن عباس نهاه عن ذلك، وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازمٌ على الخروج لقتال أهل الشام، فنفاه إلى المدائن.

وبعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه استغل حب الناس له، وأخذ يروج أفكاره، وزعم أن عليًّا لم يمت، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم، وسيرجع بعد ذلك، وأن الذي رآه الناس مقتولًا إنما هو الشيطان تمثل في صورته، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي؛ حيث رأوا قتيلًا يُشبه عليًّا فظنوه عليًّا، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبئية أن عليًّا في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه أو تبسمه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد روي عن عامر بن شرحبيل الشعبي: "أن ابن سبأ قيل له: إن عليًّا قد قُتل فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها، وقد رد البغدادي على ذلك فقال: إن كان المقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانًا تصور للناس في صورة علي؛ فلمَ لعنتم ابن ملجم، وهلا مدحتموه؛ فإن قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به.

وقلنا لهم: كيف يصح دعواكم أن الرعد صوت علي، والبرق سوطه؛ وقد كان الرعد مسموعًا والبرق محسوسًا في زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام، ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم واختلفوا في علتها.

وذكر المستشرق "ولهوسن" أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهود أكثر مما نبعت من الفارسية، مستدلًا بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد تأثرت الشيعة ببعض الأفكار اليهودية، وذلك لانضمام أناس من اليهود إليها فصبغوها بصبغتهم، وكذلك فعل أصحاب كل دين ممن انضم إلى الشيعة.

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: "والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون مثل عبد الله بن سبأ منهم؛ لأنه ليس مسلمًا في نظرهم، فضلًا عن أن يكون شيعيًّا".

ونحن لا ننكر أن التشيع يمكن أن يكون بدأ حبًّا ومودة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لمناقبه وأسبقيته في الإسلام، ولشخصيته المتميزة بالخلال الكريمة، ولكنه لم يوجد بهذا الاسم في وقت مبكر، ولا عندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وإنما أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حدثت أحداث انتهت بقتله رضي الله عنه وقد استمر الحب والمودة لعلي وبعد ذلك بويع بالخلافة. ولم تكن فرقة الشيعة قد تكوّنت بعد، ولكنها تكونت بالمعنى الاصطلاحي المعروف بعدما وجد أن البيت العلوي لم ينزل منزلته اللائقة به.

وإنّما تَعرّضَ للظُّلم والاضطهاد والتعذيب والقتل، وكان رجال البيت العلوي والمتعاطفون معهم يغذون هذه الفكرة بما استطاعوا من مال وتشجيع.

ولكن ذلك وحده لا يساعد على بقاء الأفكار، ومن هنا أخذوا يبحثون عن سند من الدين فلجئوا إلى القرآن المجيد، والسنة النبوية المطهرة يستمدون منهما -في يسر أو تعسف- ما يُؤيد أفكارهم؛ فإن لم يجدوا فيهما؛ فإننا وجدنا من لم يتورع منهم أن يؤلف قرآنًا بكتابة سور أو إضافة آيات، أو يكذِب أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون ذلك لهم سندًا في دعواهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم.

وآل أمر الشيعة إلى شيع وأشياع، وأفرط الكثير منهم في علي رضي الله عنه وغالى، منه ما كان حبًّا والحب يعمي ويصم، ومنه ما كان تظاهرًا بحب علي، ولكن المعنى في بطن الشاعر: "وكل يغني على ليلاه". ومن هنا فإن لم تكن الشيعة لها أصل يهودي أو فارسي؛ فهي قد تأثرت بأفكار من انضم إليها من أصحاب الأهواء والديانات، بما فيهم اليهود والفرس.

ولا يُنكر دور ابن سبأ وما له من سبق، ولا يُتجاهل كذلك حق غيره من حسني النوايا الذين ليست لهم أغراض، وإنما تأثروا بما وقع لآل البيت، أو كانت لهم عاطفة جياشة نحوهم، لم تنضبط بضوابط الدين، ومن قلدوهم بعد ذلك على مر السنين، والله أعلم بالسرائر والإعلان.

العنصر الثالث: أهم معتقدات الشيعة

الأولى: قضية الإمامة: وهي أهم قضايا الشيعة، كما قال الشهرستاني في (الملل والنحل) وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية، تناط باختيار العامة، وبتنصيب الإمام بنصبهم له، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل -عليهم السلام- إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويَجْمَعُهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة، وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا إلا

في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وضبط.

هذا؛ واعتقاد الشيعة في الإمام فوق اعتقادهم في الأنبياء والرسل؛ فهم يثبتون للأئمة كل ما أثبتوه للأنبياء سوى الرسالة، فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى، وهو معصوم عن الكبائر والصغائر والسهو والنسيان، منذ ولادته حتى موته، كما أنه منزّه عن كفر الأبوين، ومن هنا ترى السر في ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب؛ فإنهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالدين. ولما كان أبو طالب وهو والد الإمام الأول والوصي الولي رضي الله عنه قالوا بإيمانه وكفَّروا من قال فيه غير ذلك.

هذا وقد بدأنا بالكلام في الإمامة مع بداية الكلام عن أهم معتقدات الشيعة؛ لأنها تمثل عندهم ركن الإسلام، وأصل الدين، وهي رئاسة في الدين والدنيا، ومنصب إلهي لا يتم باختيار الناس، ولكنه يتم باختيار الله تعالى واصطفاء منه، والإمامة هي وراثة النبوة، والإمام هو وريث النبي؛ فكما أنّ النبي يصطفيه الله ليُقيم به أمور الدنيا والدين، ويرعى به مصالح العباد، ويبلغ به دينه، وينشر ذلك الدين، ويحافظ على تعاليمه من التغيير والتبديل؛ فكذلك الإمام هو مثيل للنبي في كل ذلك.

فالإمام مصطفى من الله تعالى، ولا اختيار للناس فيه، والإمام يتولى أمور الدنيا، ويرعى تعاليم الدين، وشرائع الله من التغيير والتبديل، ويرعى مصالح المسلمين الشيعة، والإمام له على الناس حق الطاعة والإذعان، دون مراجعة أو اعتراض، والإمامُ يظَلّ إمامًا طوال حياته، لا يترك منصبه لسبب من الأسباب، ولا يحل للمسلمين الخروج على أوامره أو محاولة خلعه من منصبه مهما كانت الدواعي.

والإمام الأول علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– منصوص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نص هو على من يليه، ثم نص من بعده على الذي يليه، وهكذا لا يموت إمام حتى ينص على خليفته في الإمامة.

وقد نص الرسول صلى الله عليه وسلم على إمامة علي رضي الله عنه ثم ظل كل إمام ينص على الذي يليه حتى الإمام الحادي عشر؛ فقد نص على الإمام الثاني عشر الذي هو الإمام الغائب المختفي الحي، الذي سيخرُج من كهفه المغيب فيه؛ فيملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا، وينتقم للشيعة من كل الذين ظلموهم.

مكانة الأئمة وصفاتهم: للأئمة عند الشيعة صفات خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وربما ارتفعوا بأئمتهم في هذه الصفات فوق منزلة الأنبياء والمرسلين، وأهم هذه الصفات ثلاث:

1. صلة الأئمة بالله: فالأئمة لهم في نظر الشيعة صلة بالله ليست من جنس صلة الأولياء الصالحين، ولكنها من جنس الصلة الخاصة بالأنبياء والمرسلين، ولهذا كان الأئمة يُوحى إليهم كما يوحى إلى الأنبياء والرسل، والأئمة يتلقون الوحي كما يتلقاه الأنبياء؛ فهم يتلقون الوحي في الرؤيا المنامية، كإبراهيم الخليل عليه السلام ويتلقونه عن طريق الملك وساطة بينهم وبين الله.

وإذا كان الإمام يوحى إليه كالأنبياء، فما الفرق بينه وبين النبي؟

يُجيب عن هذا صاحب (أصول الكافي) فيما رواه عن علي الرضا في الفرق بين النبي والرسول والإمام: إنّ الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه، ورُبما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي ربما سمع الكلام، ورُبّما رأى الشخص، والإمام هو الذي سمع الكلام، ولا يرى الشخص.

ب. العصمة: من الفِقْرة السابقة عرفنا أن الأئمة يوحى إليهم، ومن هذا المعنى ينتقل الشيعة إلى الخاصية الثانية من خصائص الأئمة، وهي العصمة؛ فالأئِمّة ما داموا يتلقون الوحي عن الله سبحانه وتعالى فهم معصومون، والشِّيعة في هذا المجال يضفون من العصمة على أئمتهم ما لم يضفه أهل السنة على الأنبياء والرسل؛ فالأئمة عندهم معصومون عن ارتكاب الصغائر والكبائر، منزهون عن الخطأ والنسيان، وكتب الشيعة مليئة بالحجج والأدلة التي أقاموها لإثبات عصمة الأئمة.

ج. علم الأئمة: وثالث صفات الأئمة التي اختصوا بها هي العلم، وعلم الأئمة علم من نوع خاص؛ فهم في نظر غلاة الشيعة قد أحاطوا بكل شيء علمًا. وقد أطلعهم الله على جميع أسرار الكون منذ خلق الدنيا حتى تقوم الساعة، وهم أحاطوا برسالات الأنبياء السابقين جميعًا، واطلعوا على كتبهم المنزلة على اختلاف ألسنتها وعلومها، هذا بالنسبة للرسالات السابقة.

أما بالنسبة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مصحفًا للأئمة كلها، واختص عليًّا وحده بمصحف آخر، وجعله وقفًا على الأئمة ليس لغيرهم فيه قليل ولا كثير، وهذا المصحف فيه علم ما كان وما يكون منذ أن أنشأ الله الدنيا حتى تقوم الساعة.

وقصة ذلك المصحف أن السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيها وقبل أن تلحق به، لقيت من المصائب والأحزان ما لا يعلمه إلا الله، وفي هذه الفترة ما بين موت أبيها وموتها كان جبريل عليه السلام ينزل عليها ليواسيها ويسرِّي عنها، وفي أثناء ذلك كان جبريل يحدثها عن كيفية خلق الله تعالى العالم، وماذا حدث فيه؟ ويَنْقُل إليها أخبار الماضين تفصيليًّا، ويُحَدّثها عن ذريتها وما سوف يحدث لهم، ويُنَبّئها عن أخبار المستقبل، كل ذلك وزوجها عليٌّ يسمع ويكتب ويسجل كل ما يسمع، حتى إذا ماتت فاطمة رضي الله عنها

كانت قد تكوَّ عندها علي من ذلك مصحف قدر المصحف المحمدي ثلاث مرات، وفي هذا المصحف كل ما كان وما سيكون حتى قيام الساعة، وهذا المصحف خاص بالأئمة؛ كل إمام يورثه للإمام الذي يأتي من بعده، وكل إمام يعلِّم الناس في زمنه من أسرار هذه المعلومة القدر الذي يستطيعون فهمه.

والإمام يعلم متى يموت؛ حتى الأئمة الذين راحوا ضحية الغدر والقتل غيلة، كانوا يعلمون ساعة قتلهم، ويَعْرِفُون قاتلهم، وكانوا راضين بهذا القتل، وهم يروون عن أئمتهم في العلم المخاريق العجيبة.

ومما يروونه عن جعفر الصادق قوله: "إني لأعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم ما كان وكل ما سيكون، ولو كنت عند موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس لهما".

وقد عبر شاعرهم عن هذه العقيدة في علم الأئمة حين قال، مخاطبًا أحد الأئمة:

لو كان علمك بالإله * في الناس ما بعث الإله

والشيعة يعتقدون أن العلم قسمان: ظاهر، وباطن، وأن الأئمة هم الذين ينفردون بهذين النوعين من العلم، وأنهم لا يفعلون شيئًا إلا بوحي من الله تعالى، وأنهم معصومون عن الخطأ. وإذا نحن ضممنا هذه الثلاثة إلى بعضها، خرجنا بالسبب الحقيقي وراء هذه الانحرافات الشنعاء التي وقع فيها بعض طوائف الشيعة.

فصلة الإمام بالله صلة مباشرة، والوحي مستمر عنده؛ فإذا أضفنا إلى ذلك عصمته عن الوقوع في الخطأ، ثم أضفنا إلى هذين العلم الباطن- أدركنا أن الإمام لا يُسأل عَمّا يفعل، وكُلّ ما يأتيه صواب، حتى لو أتى المنكرات؛ ذلك أنه معصوم عن الخطأ من جانب وعنده علم الباطن من جانب آخر، ومن هذا الباب دخل إلى الشيعة طوائف الباطنية والحشاشين... إلى آخره.

ولقد غلا الشيعة في اعتقادهم بضرورة وجود الإمام؛ حتى زعموا أن الأرض لن تخلو أبدًا من إمام عادل من أئمتهم، إن زاد الناس شيئًا رده، وإن نقصوا أتمه، وإن ضلوا هداهم، ولو وجد في الأرض رجلان فقط لكان أحدهما هو الإمام المعصوم، والإمام ضروري؛ لأنه نور الله في الأرض الذي يضيء للناس طريقهم؛ فهو المراد بقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122] فالنور هو الإمام وهو الهادي الذي جعله الله في كل قوم؛ ليهديهم إلى الطريق المستقيم فهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7].

فالأئمة هم نور الناس وهدايتهم، وخزنة علم الله والوسطاء والشفعاء، ولن يقرب الجنة إلا محبوهم، ولن يدخل النار إلا مبغضوهم، والإيمان بهم جزء من الإيمان، وهو الإيمان بالله ورسوله؛ فمن مات لا يؤمن بإمام مات كافرًا مهما كان علمه؛ وذلك أن حب الأئمة كافٍ في محو السيئات، وتكفير الذنوب، ولعل أصدق ما يعبر عن هذا قول شاعرهم:

حب علي في الورى جنة * فامحُ به يا رب أوزاري
لو أن ذميًّا نوى حبه * حصن في النار من النار

ولقد دَرج كثير من طوائف الشيعة على تقديس أئمتهم، وساروا في هذا الشوط إلى مداه؛ حتى خلعوا عليهم صفات لا يُوصف بها إلا الله سبحانه وتعالى.

وقفة تصحيح:

إن قول الشيعة بأن الإمامة ركن الدين ولا يتم إلا بها؛ حق أريد به باطل، ذلك أن المسلمين جميعًا يتفقون على وجوب تنصيب الإمام، الذي يُقيم شعائر الدين، ويطبق أحكام الإسلام وحدوده، ويحافظ على حدود بلاد المسلمين، ويرفع لواء الجهاد في وجه من يعتدون على بلاد المسلمين، وينتهكون حرماته.

يقول ابن حزم الظاهري: اتفقت جميع الفرق الإسلامية على وجوب الإمامة، وأنّ الأمة فرضٌ واجبٌ عليها أن تُقاد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الماوردي: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعَقدُها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع.

أما الباطل الذي أراده الشيعة فهو: الاستدلال بالنصوص العامة على وجوب تعيين الإمامة في شخص معين، هو الإمام علي أو الاثنا عشر إمامًا؛ فيستشهدون مثلًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)). بأنها البيعة لإمام أهل الزمان، أو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: 71] أو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجدة: 24] بأن المقصود هو الإمام علي بن أبي طالب، ومن بعده الأئمة المنصوص عليهم. مع أن الشيعة مختلفون في سلسلة الأئمة المنصوص عليهم اختلافًا بينًا، والمقصود من هذه النصوص العامة التنبيه على ضرورة وجود إمام، وتحديد صفات الإمام الذي تجب طاعته بصرف النظر عن اسمه، أو شخصه. كما صح النص على صفة الشهود في الأحكام، وصفة المساكين والفقراء، الواجب لهم الزكاة، وصفة الإمام في الصلاة، وصفة من يجوز نكاحهم من النساء دون حاجة إلى ذكر أسماء.

فكل قرشي بالغ عاقل قادر على ولاية أمور الناس؛ قام بعد مَوتِ الإمام، الذي لم يعهد إلى أحد؛ فبايعه الناس فهو الإمام الذي تجب طاعته، ما حكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك، ويُخلع إذا أمن أذاه، و لم يؤدِّ خلعه إلى فتنة أكبر.

أما دعوى النص على علي رضي الله عنه أو غيره؛ فهي لا تتفق مع الكتاب والسنة الصحيحة من جهة، ولا تتفق مع العقل من جهة أخرى، فلو كان هناك نص من كتاب أو سنة؛ لما اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين، بل كانوا يبايعون المعهود إليه مباشرة خاصة، وهم أحرص الناس على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولو كان هناك نصٌّ لما قال عمر بن الخطاب حينما طلب منه أن يختار خليفة للمسلمين من بعده: "إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني -يعني: أبا بكر- وإن أترك؛ فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهذا نص صريح يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدًا بعده.

ومما ينفي النصية على شخص معين: ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: "مات رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يوصِ". وهل يعقل أن يكون هناك نصٌّ على علي ثم يتركه أبو بكر الصديق، الذي قال للناس بعد أن تولى أمر المسلمين: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

هل يعقل أن يترك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نص حديث رسول الله، أو معنى معلومة لآية من الكتاب الكريم لحساب أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب.

ولو سلمنا جدلًا بحدوث هذا الأمر من أبي بكر، هل يعقل أن يترك علي بن أبي طالب هذه النصوص التي تثبت حقه، ولا يواجه بها المجتمعين يوم السقيفة، وإن قالوا: سكت تقية نسبوه إلى النفاق والمداهنة، وهو ما لا يرضاه مسلم لعلي بن أبي طالب القوي في الحق.

يقول ابن حزم: ولا يجوز أن يُظَنّ بعلي رضي الله عنه أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت، وهو الأسد شجاعة، قد عَرّض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات، ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي، ومنعه ما هو أحق به منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه. ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه، إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة، وبذلوا دماءهم دونه، ورأوه صاحب الأمر والأولى بالحق ممن نازعه، فما الذي منعه ومنعهم من الكلام، وإظهار النص الذي يدعيه الكذابون، إذ مات عمر وبقي الناس بلا رأي ثلاثة أيام أو يوم السقيفة.

أما كان في جميع أهل الإسلام من المهاجرين والأنصار وغيرهم واحد فقط تحلى بالصدق، يقول: يا معشر المسلمين، إن عليًّا له الحق في الإمامة، وهذا هو نص رسول الله صلى الله عليه وسلم! بل إن الثابت بالنصوص: هو أنّه لّما أراد الناس بيعة علي رضي الله عنه بعد استشهاد عثمان، وقالوا له: مُدّ يدك نبايعك على خلافتك، قال: دعوني والتمسوا غيري، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير.

وقد ورد هذا النص في (نهج البلاغة) وهو من مراجع الشيعة التي يعتمدون عليها؛ فلو كانت إمامته من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصًّا لما اعتذر هذا الاعتذار؛ ذلك أن الإمامة المنصوص عليها من الله واجبة الطاعة على الإمام وعلى رعيته؛ بل إننا نلاحظ أن عليّ بن أبي طالب قد بايع أبا بكر و لم ينازعه الأمر، ثم بايع عمر وعثمان، وحينما جاء دوره في الإمامة أراد أن يعتذر.

ثم نلاحظ أن الحسن بن علي قد فوض الأمر إلى معاوية وبايعه، كما أن الحسن قد بايع معاوية أيضًا، وكل ذلك يدل دلالة قاطعة على نفي النص على شخص معين؛ فلو كان الحسن والحسين إمامين منصوصًا عليهما من الله ورسوله -كما زعمت الشيعة- لما بايعا معاوية رضي الله عنه إذ كيف يستحل الحسن والحسين رضي الله عنهما إبطال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طائعين غير مكرهين.

فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه حين رأى أن بيعة يزيد باطلة؛ فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقًّا لما سلمها له، ولفعل كما فعل مع يزيد.

الدرس الثاني: فرقة الشيعة (2)

عناصر الدرس

العنصر الأول: عقائد الشيعة في مسألة الخلافة

العنصر الثاني: سيدنا على والخلافة

العنصر الثالث: الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة "التوحيد"

العنصر الأول: عقائد الشيعة في مسألة الخلافة

ما أعجب بعد ذلك إلا من تكفير كثير من الشيعة لأبي بكر وعمر وعثمان، بحجة أنهم اغتصبوا الإمامة من علي وبنيه }، فهل يجوز أن ننسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مثل صفات الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكتمان الحق والاغتصاب، وغير ذلك مما لا يليق بهم، خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مدح أصحابه وجعلهم مصدر الهداية من بعده؟!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ))، ويقول: ((اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر)) وفي هذا رد على الإمامية الذين يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر، بل إن عليًّا نفسه قد قال على منبر الكوفة: "لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر، إلا جلدته حد المفتري –أي: ثمانين سوطًا–".

وفي هذا دليل أيضًا على بطلان قول الرافضة من الشيعة الزيدية، بأن عليًّا لم يبايع إلا تقية؛ فكل هذه أدلة تنفي القول بالتقية، وتهدم مبدأهم الأساسي الذي انطلقوا منه إلى سائر معتقداتهم الفاسدة.

إذن، ما هو مصدر تلك المقولة الخطيرة التي فرقت الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا؟

سبق أن قلنا: إن أول من ابتدع القول بالتقية هو عبد الله بن سبأ اليهودي اللعين ليشتت بها شمل المسلمين، وتلقّفها من بعده الشيعة، وجعلوها من أصول الإيمان عندهم، لكي يستدلوا على ما ذهبوا إليه وليستميلوا جهلة المسلمين وعوامهم–؛ ذهبوا إلى كتاب الله العزيز، واختاروا منه الآيات العامة التي تمدح المؤمنين وأولياءه من المتقين، وخصصوها بعلي وبنيه، وأسعفهم في ذلك واضعو الحديث والمؤرخون، والمضللون الذين فسروا بعض الأحاديث على هواهم، ومنها الأحاديث التي وردت في مدح علي، على أنه ورد أضعافها في مدح أبي بكر وعمر وعثمان.

وخُذ على سبيل المثال لا الحصر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر رضي الله عنه: ((لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخي وصاحبي)) وقوله في عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر)) وقوله في عثمان رضي الله عنه: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)) فهل إذا ورد حديث يقول: ((أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها)) أو قال: ((أقضاكم علي)). أو قال: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) يكون هذا نصًّا على إمامته، خاصة مع أن هذا الحديث الأخير قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في ظروف خاصة. فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك واستخلف عليًّا على المدينة؛ فغضب علي وكره أن يبقى وحده مع النساء والصبيان والعجزة، وينهض جميع الصحابة للجهاد، وهو المحارب الشجاع؛ فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطيّب خاطره فقال: ((ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)). وهذا الحديث لا يثبت الإمامة لعلي، الغاية فيه إثبات فضيلة من فضائل الإمام علي.

ولم يتعرض الحديث؛ لكونه أفضل من غيره، فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم من وراء مقاله أن يطيب خاطره، ومما يؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد النبي موسى –عليهما السلام– بل كان نبيًّا معه، ولا يلزم من التشبيه المساواة في كل الأحوال، وقد استخلف موسى هارون في حياته حينما ذهب لميقات ربه.

يقول ابن تيمية: "ولم يقل أحد من العقلاء أن من استخلف شخصًا على بعض الأمور، وانقضى ذلك الاستخلاف أن يكون خليفة بعد موته على شيء"، ولو كان الاستخلاف يدل على أنه أفضل أو أنه الخليفة، الأمر أن يكون ابن أم مكتوم خليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف غيرُه أيضًا؛ فَلِمَ خَصصتم عليًّا بذلك دون غيره مع اشتراك في الاستخلاف. ولو كان هذا من باب الفضائل؛ لما وجد علي في نفسه وقال: أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفاء، هذا فضلًا عن أن الاستغراق ممنوع، إذ من جملة منازل هارون كونه نبيًّا مع موسى،

وعلي ليس بنبي اتفاقًا منا ومنكم، ولا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعده. فلو كانت المنازل الثابتة لهارون ما عدا النبوة، بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة لعلي، لاقتضى أن يكون نبيًّا مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبوة معه لم تستثنَ، وهي من منازل هارون عليه السلام وإنما المستثنى النبوة بعده، وأيضًا من جملة منازل هارون كونه أخًا شقيقًا لموسى، وعلي ليس بأخٍ، والعام إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية؛ فليُحمل الكلام على منزلة واحدة، كما هو ظاهر التاء التي للواحدة؛ فتكون الإضافة للعهد، وهو الأصل فيها. فمنزلة علي هي استخلافه على المدينة في غزوة تبوك، كما استخلف موسى هارون على بني إسرائيل أيام الميقات.

وأما حديث "غدير خم" ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فقد فهمه الشيعة فهمًا مغالطًا؛ فقالوا: إنّ المولى بمعنى: الأولى بالتصرف، وكونه أولى بالتصرف هو عين الإمامة.

وهذا الكلام منهم مغالطة، فإن أهل العربية لا تقول: المولى بمعنى أولى بالتصرف؛ فهناك فرق بين الولي وبين المولى، والوالي؛ فباب الولاية التي هي ضد العداوة شيء، وباب الولاية التي هي الأمارة شيء، والحديث هو في الأولى دون الثانية. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: من كنت واليه فعلي واليه، بل من كنت مولاه. إذن فهو أولى بالمحبة والتقدير والتعظيم، وولاية النصر والمودة؛ فهذا الحديثُ لا يدل على ولاية السلطة، التي هي الإمامة والخلافة، ولكن المعنى الثاني هو المراد، وهو من كنت ناصرًا له، ومواليًا له، فعليٌّ ناصره ومواليه، أو من والاني ونصرني فليوال عليًّا وينصره، وهذه منقبة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

وقد فهم الصحابة معنى ذلك ((اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))، عندما لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: "هنيئًا لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة".

وأما حديث: ((أقضاكم علي)) فلا دلالة فيه على الإمامة، بل هو يدل على سمة خاصة تميز بها علي، كما تميز غيره من الصحابة ببعض السمات؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفرضكم زيد)) يعني أعلمكم بالفرائض، و((أقرؤكم أبي))، و((أعرفكم بالحلال والحرام معاذ)). فهذه من الخصائص أو المناقب أيضًا؛ فبراعة علي رضي الله عنه في القضاء ثابتة، ولكن لا يُستدل بها على الإمامة أيضًا.

وأما استشهادهم بحديث: "أنا مدينة العلم وعلي بابها". فهو موضوع ولا أصل له في كتب السنة المعتمدة. ومع التسليم جدلًا بصحته؛ فهو لا يثبت دعواهم، ومثله حديث: "سلموا على علي بإمرة المؤمنين" فهو موضوع اتفاقًا، فهل بمثل هذا تثبت الخلافة.

هذا وقد أجمعت الأمة على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على أحد يكون من بعده، فقد ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) أن القول بوصيته صلى الله عليه وسلم لعلي كذب وبهتان وافتراء عظيم، وقال: "وأما ما غيّر به كثير من الجهلة الشيعة، والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة فكذب وبهتان وافتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة، ولاتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته، وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره لا لمعنى ولا لسبب".

وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

وخلاصة الرد على الشيعة:

أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا من العقوق برسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصل أمرهم إلى حد إهمال نصوصه وتوجيهاته، وإنما كانوا حريصين كل الحرص

على طاعة الله ورسوله؛ مما يدل على أنه لم يكن هناك نص على إمامة أحد، وإلا لتمسك به عليٌّ وسائر الصحابة، وكيف تكون الإمامة بالنص والتعيين في اثني عشر إمامًا، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة؛ فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عضودًا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)).

إذن، فكيف يكون هناك نص على اثني عشر إمامًا هم الذين يستوعبون ما بقي من عمر الدنيا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، إن هذا التحديد لا يتفق مع العقل، ولا مع الحديث السابق، الذي تحدث عن المستقبل السياسي للأمة، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض لنا مراحل واقعية مرت بها الأمة.

إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شهد القرآن بعدالتهم، لا يمكن أن نقبل فيهم تجريح الشيعة، ونسبتهم للكفر والظلم، ألا يكفي في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18] وكانوا 1400 صحابي، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: 100] وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: 117].

ألا تكفي كل هذه النصوص –وهي قليل من كثير– في بيان فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم منزلتهم عند الله؛ فكيف يسمح مسلم لنفسه أن يطعن فيهم، ويرميهم

بالكفر أو الفسق أو الظلم والعدوان، بل إنّ من الشيعة من عاب عليًّا نفسه وقال: إنه قصر في حقه، وأنه كان يجب عليه أن يخرج داعيًا لنفسه، وأن يظهر الحق ولا يكتمه.

وإنه لتناقض عجيب وقع فيه هؤلاء الشيعة؛ حيث إنه من مبادئهم: أن الإمام المنصوص عليه هو أعلم الناس بالشريعة، وهو دائرة التلقي والعلم؛ فكيف يعيبون عليه أنه قصر في حقه؟ وكيف يملون عليه ما كان ينبغي أن يفعله، وهم الذين يزعمون أنه مصدر العلم والهدى؟!

ونتساءل في نهاية هذه المناقشة: لماذا صَرَفَ اللهُ الإمامة عن آل البيت؟ ولماذا لم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمامة أحد من آله من بعده؟

والجواب: أنّ اللهَ صَرَفَ الإمامة عن آل البيت إكرامًا لهم، وتبرئة للنبوة، ولبيت النبوة؛ فإن النبوة لا تورث. ومن أجل هذا صرف اللهُ الخلافة عن عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأبنائه؛ فلم ينلها واحد منهم بنص منه، وذلك تبرئة لنبيهصلى الله عليه وسلم.

وقد كانت المُنافسة شديدة بين بني هاشم، وبين القبائل العربية الأخرى حول الرياسة والقيادة، ولو ورّثَها النبي لواحد من آله لظن الناس أنها ملك، وليست نبوة.

يقول أبو بكر رضي الله عنه: إنّ الله أبى أن يجمع لأهل البيت بين النبوة والخلافة. ولو رَجعنا إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم لوجدناه لم يستعمل أحدًا من بني هاشم في رياسة أو إمارة، ولقد طلبها عمه العباس، وفي رواية حمزة؛ فقال: ((يا عم، نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها)). بل إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم منع أبناءه إرث ماله فقال: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)).

ولذلك فإن أبا بكر وعمر لم يستعملا أحدًا من بني هاشم في إمارة أي بلد من بلدان المسلمين؛ جريًا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك قال الفاروق عمر لابن عباس: "أنتم أهل النبي فما نقول في منع قومكم لكم؟ قال ابن العباس: لا أدري والله ما أضمرنا لهم إلا خيرًا،

فقال الفاروق: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة؛ فتذهبوا في السماء بذخًا وشمخًا، وإن قريشًا لتنظر إليكم نظر الثور إلى جازره".

ومن هنا تُرك الأمر لرأي الأمة؛ فإن اختارت من تلقاء نفسها واحدًا من آل البيت؛ فهذا شَأْنُها، أما أن يرثها آل البيت بنص، فهذا ما لم تكن قريش لتقبله، ولهذا قدمت من بعده من هو أفضل بعمله ودينه وسبقه في الإسلام، وهو أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

العنصر الثاني: سيدنا على والخلافة

لم يؤثر عن الإمام علي رضي الله عنه أنه ذهب إلى تقديس الخلافة، أو أنه جعل الإمامة ركنًا من أركان العقيدة، ولكن الذي أثر عنه طبقًا للمصادر الإسلامية من شيعية، وغير شيعية أنه كان زاهدًا فيها، غير حريصٍ عليها؛ هذا فضلًا عن حبه للخلفاء الراشدين، الذين سبقوه، ومودته لهم، وإصهاره إليهم، ورثاؤه إياهم عندما توفوا إلى رحمة الله تعالى.

يروي ابن أبي الحديد –كما سبق هذا القول للإمام علي في الخلافة–: "دعوني والتمسوا غيري؛ فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير؛ خير لكم مني أمير".

وفي كلمات أخرى يرويها ابن أبي الحديد عن سيدنا علي قوله: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي؛ نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وما أُمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استسَنّ النبي صلى الله عليه وسلم فاقتديته".

وهكذا تحمل سيدُنا علي أمانة الخلافة؛ استجابة لطلب المسلمين، و لم يَخْطُر بباله أنها منصب إلهي، أو ركن من أركان العقيدة الإسلامية.

وهذا أستاذ شيعي يشهد ويجتهد في المسألة، وهو الدكتور موسى الموسوي في كتابه (الشيعة والتصحيح) فيرى أن عليًّا أولى بالخلافة، وليس بالإمامة على الصورة التي رسمها الشيعة المتأخرون زمانًا، ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين، وعلي بايعهم، ثم بايع المسلمون عليًّا بعد عثمان؛ فلا غُبَار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين، من أبي بكر إلى علي.

يمضي المُجتهد الإيراني الشيعي الدكتور موسى الموسوي في القول بأن الإمام عليًّا كان يؤكد على شرعية بيعة الخلفاء الراشدين، قائلًا: "ومرةً أخرى نقول: إن هناك فرقًا بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه، أنه كان أولى بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره، ولكن المسلمين اختاروا غيره، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي ولكنها اغتصبت منه".

ثم يقول: "والآن فلتستمع إلى الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة، ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء، وعدم وجود نص سماوي في أمر الخلافة، ويردد قولًا للإمام ذكره ابن أبي الحديد، وهو: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان، على ما بايعوهم عليه؛ فلَم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يَرُدّ وإنّما الشُّورى للمُهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا؛ كان ذلك لله رضًا؛ فإن خرج من أمرهم خارج بطعن، أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين".

وفي موضع آخر من كتابه (الشيعة والتصحيح) يعود الدكتور موسى ليؤكد على شرعية الخلفاء الراشدين، وبيعة الإمام علي لهم قائلًا: "إذا كانت الخلافة بنص سماوي، وكان هذا النص في علي، هل كان بإمكان الإمام علي أن يغض النظر عن هذا النص، ويبايع الخلفاء، ويرضخ لأمر لم يكن من حقهم؟

رأي الإمام علي في الخلفاء الراشدين:

كان الإمام علي شديد الحب للخلفاء الراشدين، كثير التعاون معم في دراسة مشاكل المسلمين، وتحمل مسئولية الحكم إبان أسفارهم، وكانوا يندبونه إلى ذلك، ولعل أبلغ ما يمكن أن يصور مكانة أبي بكر في قلب الإمام علي، هو خُطْبَة الإمام حين وقف على بابه، يُخاطبه يوم وفاته قائلًا: "رَحِمَك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأعظمهم عناء، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقًا وفضلًا وهديًا وسمتًا؛ فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرًا. صدّقت رسول الله حين كذَّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقًا: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 33] يريد محمدًا ويريدك.

وكنت والله للإسلام حصنًا، وعلى الكافرين عذابًا، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، وكُنت كالجَبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفًا في بدنك، قويًّا في أمر الله، متواضعًا في نفسكُ وعظيمًا عند الله؛ جليلًا في الأرض، كبيرًا عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة؛ فالقوي عندك ضعيف؛ حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عند قوي حتى تأخذ الحق له؛ فلا حرمنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك".

هذا هو رثاء أمير المؤمنين علي لأمير المؤمنين أبي بكر، أو بالأحرى هذا رأيه فيه، وتلك دمعة سكبها لفراقه؛ أفمثل هذا الذي رثاه سيدنا علي بهذه المعاني يمكن لأتباع سيدنا علي أن يرموه بالكفر والردة، وأن يصفوه بالجبت والطاغوت.

والرأي نفسه قاله أمير المؤمنين علي في عمر وعثمان، وهو كلام جميل، كله صدق وأدب، وهو كلام موثق لا كذب فيه ولا تلفيق، إنّ المجتهد الدكتور الموسوي يستعرض الكثير من

هذه المواقف، ويُرَدّدها ثم يقول: لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء، الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، والكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض كلام الإمام علي، ومدحه وتمجيده في حقهم.

ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين، وتقدر منزلتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم صاهر أبا بكر وعمر، وعثمان صاهر النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر عليًّا، وتزوج من ابنته أم كلثوم.

ويستطرد المجتهد الشيعي الجليل قائلًا: ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام عليًّا، أكثر مما قاله الإمام في حقهم؛ فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهى الخلاف، وساد الأمة الإسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى.

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة: هذا كلام عالم شيعي مجتهد جليل، يشاركه رأيه في هذا الموضوع، كثير من علماء الشيعة وأعيانهم المعاصرين، الذين تربطنا بكثير منهم روابط أخوة إسلامية، ومودة قلبية، وأواصر متينة من المودة والمحبة.

وإذا كان العالمُ المجتهد الدكتور الموسوي قد فصّل الأمر في علاقات الحب والاحترام المتبادل بين الإمام علي، والخلفاء الراشدين السابقين عليه؛ فإننا نضيف إلى قوله: إن الإمام علي لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة –الذينَ سبقوه– قد سَمّى ثلاثة من أبنائه بأسمائهم، فلقد سمى أحد أولاده أبا بكر، وسمى ولدًا ثانيًا عمر، وسمى ولدًا ثالثًا عثمان. وهذه قرينة كبرى على حب سيدنا علي لإخوانه الراشدين، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإليك مزيدًا من مواقف علي بن أبي طالب من الخلافة، وممن سبقه من الخلفاء: روى الإمام يحيى بن حمزة الزيدي، عن سويد بن غفلة، أنه قال: "مَررتُ بقومٍ يَنْتَقِصُون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأخبرت عليًّا رضي الله عنه وقلت: لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا؛ ما

اجترءوا على ذلك، فقال علي رضي الله عنه: نعوذ بالله، رحمنا الله، ثم قام فأخذ بيدي فأدخلني المسجد؛ فصعد المنبر. ثم قبض على لحيته وهي بيضاء؛ فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب فقال: ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش، وأبوي المسلمين، وأنا مما يذكرون بريء وعليه معاقب، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحب الوفاء، والجد في أمر الله، يأمران وينهيان ويغضبان ويُعاقبان، ولا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيًا، ولا يُحِبّ كحبهما حبًّا؛ لما يرى من عزمهما في أمر الله؛ فقُبِضَ صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، والمسلمون راضون، فما تجاوز في أمرهما وسيرتهما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه في حياته وبعد موته، فقبضا على ذلك رحمهما الله. فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة؛ لا يُحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يُبغضهما إلا شقي مارق؛ فحبهما قربة وبغضهما مروق.

فالله أكبر؛ هذا قول علي في الشيخين، ورأيه فيهما؛ فعلى أي شيء يَلْعَنُ الشيعة أبا بكر وعمر خاصة، والصحابة عامة.

هذا؛ وتزعم الشيعة أن عليًّا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خليفته، بنص أو وصية؛ فأين هذا النص وتلك الوصية؟ ولماذا لم يخرجها علي يومًا أو يعلنها على الناس؟ ولماذا لم يَعْرِفْها أحد من الصحابة؛ فيُعْلِنُها في حينها، عند مُبايعة أبي بكر الصديق، أو من قبل ذلك، أو مِن بَعده؟ وماذا نقول في هذا النص الذي يدل على عدم وجود وصية أصلًا؟ وهو في ذلك واضح وضوح الشمس في جلاء النهار؛ حيث روت كتب السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن عليًّا خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله؟ فقال علي: أصبح بحمد لله بارئًا. فأخذ بيده العباس وقال: إني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيتوفى من وجعه هذا، وإني

لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فاسأله فيمن هذا الأمر؛ فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا. فقال علي: أما والله لئن سألناه فمنعناه، لا يعطيناها الناس بعده؛ وإني لا أسالها".

وواضح من هذه الرواية عن ابن عباس، أنه لم يكن هناك نص ولا وصية ولا تعيين على إمامة علي رضي الله عنه وكيف يُقال: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وهو الذي سارع إلى مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمُجَرّد سماعه مبايعة المسلمين بالخلافة، أو بعد ستة أشهر كما قيل حيث كان منشغلًا بزوجه فاطمة رضي الله عنها.

ومما يَدُلّ على أن عليًّا بايع أبا بكر منذ البداية، ورضي بخلافته ما رواه الطبري من أن أبا سفيان بن حرب، جاء إلى علي عقب تولية أبي بكر الخلافة، وقال له: ما بال الأمر –يريد الخلافة– في أقل حي من قريش، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلًا ورجالًا؛ فقال له علي: يا أبا سفيان، طالما عاديت الإسلام وأهله، فلم تضره شيئًا، وأنا وجدنا أبا بكر لها أهلًا.

هذا؛ وليس هناك من يقرر وجوب تعيين وصي على الله تعالى، ولا من يقرر أن الله تعالى قد عين وصيًّا لكل نبي إلا هؤلاء الشيعة، وكل ما استدل به في هذا الباب؛ فهو إما أنه صحيح في نفسه، لكنه وضع في غير موضعه، وفُسّر على غيره وجهه، وإما أنه ليس صحيحًا أصلًا: فزعمهم أنّ قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: 3] لم ينزل إلا بعد أن عين الرسول صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه إمامًا؛ حيث لا يكمل الدين ولا تتم النعمة إلا بتعيين الوصي والإمام !! كلام مرفوض، ودليل متهافت، ومذهب فاسد، لا يَذْهَبُ إليه إلا جاهل، ولا يقول به إلا سفيه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68] أنّ اللهَ هو الذي يختارُ الإمَام، ولا يحق للناس اختياره، وهو أفسد من سابقه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: 67] إنّما نَزلت في علي، حيث اختاره الله وصيًّا، وأبلغ الرّسولَ صلى الله عليه وسلم بذلك، وأمره أن يبلغ الناس ذلك، بل ويقرأ بعض فرق الشيعة الآية هكذا: "يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي". وليس الأمر كذلك، بل هو السفه والجنون، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12] أن المقصود هو الإمام من أئمتهم، وأن الله قد أعطى الأئمة فهم كل شيء والإحاطة بكل شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7] قالوا: المُنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم والهادي هو علي رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: 24] قالوا: مسئولون عن ولاية علي ومشايعته رضي الله عنه.

هذه هي الآيات التي يستدلون بها على أن الله تعالى قد عين الإمام عليًّا وصيًّا ووليًّا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الواضح أن فهمهم للآيات خاطئ، وأنهم أولوا الآيات على هواهم، وليس في الآيات آية واحدة تشهد من قريب، ولا من بعيد لما ذهبوا إليه.

فالإمامة كمنصب إلهي قضية اخترعت في زمن متأخر: يقول الدكتور مصطفى الشكعة: "هذا العنوان الجانبي الطويل ليس من عندي، فإنه من الوضوح بمكان أنني لم أشترك في هذا الموضوع، وغيره من موضوعات المذاهب الإسلامية كطرف مباشر، ولكني أستنطق الوثائق

والأحداث والأشخاص، وقد حَرِصْتُ في هذا الباب أن يكون الحوارُ في شئون المذاهب بين الشيعة وبين أنفسهم".

إن العالم المجتهد موسى الموسوي يلغي مبدأ أن الإمامة منصب ديني سماوي، إلغاء تامًّا ويقول ما نصه: "فحتى في أوائل القرن الرابع الهجري، وهو عصر الغيبة الكُبرى؛ لا نَجِدُ أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي، أو أنها حق إلهي اغتصب منه، أو أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتركوا أو ساهموا في هذا الأمر، وهكذا تغيرت فكرة الأولوية بخلافة علي، إلى فِكْرَة الخلافة الإلهية، ومخالفة النص الإلهي".

وتبعًا لذلك يَسْتَطرد المُجتهد الشيعي الموسوي قائلًا: "إذا كانت الإمامة إلهية كما تذهب الشيعة؛ وأنها في أولاد علي حتى الإمام الثاني عشر، لعين علي ابنه الحسن خليفة وإمامًا من بعده، وهو ما لم يحدث؛ فقد اتفق الرواة والمؤرخون على أن الإمام عندما كان على فراش الموت بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم، وسُئل عن الشخص الذي يَسْتَخلفه، قال: أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد وفاة الإمام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن، وبايعوه خليفة على المسلمين، ولكن الحسن صالح معاوية، وتَنازل له عن الخلافة، فهل يا ترى لو كانت الخلافة منصبًا إلهيًّا؛ هل كان يستطيع الإمام الحسن، أن يتنازل عنه بذريعة حقن دماء المسلمين؟

ويستشهد الدكتور الموسوي بمواقف لأئمة آخرين مرموقين، كعلي بن الحُسين، ومُحمد الباقر، وجَعفر الصادق؛ فيقول: إنّنا لم نجد في أقوال الإمام علي بن الحسين، المُلقب بالسجاد أية عبارة تدل على كون الخلافة إلهية، وبعد السجاد يأتي دور الإمام الباقر، والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب أهل البيت الفقهي، الذي أكمله ابنه الإمام جعفر الصادق؛ فنحن –والكلام للدكتور الموسوي– لا نجد أثرًا لفكرة الخلافة الإلهية في عهدهما، ولا في عَهْدِ أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى".

هكذا ينفي بعض علماء الشيعة الكبار المبدأ الذي اخترعه فريق من الشيعة، وهو القول بأن الإمامة منصب إلهي، وأنها إحدى دعائم الإسلام، هذه القضية التي فرقت شمل المسلمين، وبددت جهودهم، وجعلتهم فرقًا متنافرة متحاربة، بَعد أن كانوا إخوة مُتحابين، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

العنصر الثالث: الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة "التوحيد"

التوحيد هو الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة؛ أو هو الأصل الأول من أصول الدين لديهم، وهو المقابل عند أهل السنة للأصل الأول "الإيمان بالله تعالى".

أقول: وإن كان لم ينل من الأهمية كعقيدة الإمامة عندهم؛ لذا قدمتها عليه، ولكن قلنا: إنّ التّوحيد هو الأساس الأول، باعتبار ما يمكن أن نلتقي معهم عليه، هذا وقد آثر الشيعة كلمة التوحيد بدلًا من الإيمان بالله؛ بسبب أنهم من النافين للصفات كالمعتزلة، الذين يقولون بأن صفات الله تعالى هي عين ذاته؛ فليس لله –سبحانه– صفات زائدة على الذات؛ من هنا فقد آثروا التنصيص على التوحيد في عقائدهم، بما أنهم يرون أنهم الموحدون بنفيهم الصفات، وأن المثبتين من طوائف الأمة ليسوا موحدين.

فحتى التوحيد لم يخلُ عندهم من كفريات؛ تمثلت في إنكار توحيد الصفات الذي لا يجحده إلا كافر، والتوحيد عندهم له مراتب أربعة: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد الآثار. وقد يعبرون عن هذه الدرجات الأربعة بما يُقابلها من أصناف الخلق؛ فيقولون: توحيد العوام، وتوحيد الخواص، وتوحيد خواص الخواص، وتوحيد أخص الخواص. فالعوام: هم الذين يقتصرون على توحيد الذات، والخواص: يجمعون إلى توحيد الذات توحيد الصفات، وخَواص الخواص يُوحدون الذات والصفات والأفعال، وأمّا أخص الخواص فيمتازون عن الأصناف الثلاثة بأنهم يزيدون على توحيد الذات والصفات والأفعال توحيد

الآثار؛ ويقولون: بأنّ المرتبة الأولى هي مدلول كلمة لا إله إلا الله، والمرتبة الثانية هي مدلول كلمة لا هو إلا هو، والمرتبة الثالثة هي مدلول كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله. والمرتبة الرابعة هي مدلول كلمة: لا مؤثر في الوجود إلا الله.

وهم يزعمون أن الشيعة وحدهم هم الذين يجمعون في التوحيد هذه المراتب الأربعة، بخلاف طوائف المسلمين؛ فمنهم من يقف عند الدرجة الأولى، ومنهم من يتعداها إلى الثانية، ولكن لا يحصّل المرتبة الثالثة والرابعة إلا الشيعة.

الصفات: يعتقدون بأن صفات الله تعالى الثبوتية عين ذاته؛ ليستْ زائدة عليها، وليس وجودها إلا وجود الذات؛ فقدرته من حيث الوجود هي حياته، وحياتُه قدرته، لا اثنينية في صفاته، وكذا في سائر صفاته تعالى، هذا هو الشأن في الصفات الثبوتية الكمالية، أما الصفات الثبوتية الإضافية مثل الخالقية والرازقية؛ فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة هي صفة القيومية، وهي صفة واحدة ينتزع منها عدد من الصفات؛ تبعًا لاختلاف الآثار والملاحظات.

وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات الجلال، فهي ترجع جميعًا إلى سلب واحد هو سلب الإمكان.

الثالثة من معتقدات الشيعة: النبوة: يعتقد الشيعة أن النبوة وظيفة ربانية، وسفارة إلهية، يَضَعُها الله تعالى بين يدي إنسان معين من الخلق، ويَعُده الله تعالى لهذه المهمة إعدادًا خاصًّا، ويَمُدّه بملكات وقوى نفسية وجسمية، بها يستعين على أداء مهمته التي اصطفاه الله لها، وهؤلاء الأنبياء والرسل يصطفيهم الله سبحانه؛ ليكونوا سفراء بينه وبين خلقه، يبلغونهم تعاليمه وشرائعه، وينشرون تلك الشرائع بين الناس، ويرعون مصالح الناس ومنافعهم في الدنيا والآخرة.

ويعتقد الشيعة أن الأنبياء أكثر عددًا من الرسل؛ فالنبي أعم والرسول أخص، فالرسول صاحب شريعة، والنبي تابع له في ذلك، يعتقد الشيعة بأن الأنبياء معصومون عصمة مطلقة؛ فهم معصومون من الصغائر والكبائر، والسهو والنسيان قبل البعثة وبعدها، ويعتقد الشيعة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى، ولهم أدلة على ذلك منها:

1. أنه قد ثبت أن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده، وليس هناك أصلح من إرسال الرسل والأنبياء إلى العباد.
2. أن القرآن الكريم صرح بوجوب اللطف على الله بالعباد، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 19] وأعلى درجات اللطف هو إرسال الأنبياء والرسل لرعاية مصالح الناس في المعاد والمعاش.
3. أن الهدف من إيجاد الخلق هو عبادة الخالق سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إرسال الرسل إلى الخلق، ليعرفوهم أوامر الله ونواهيه، وإلا كانت العبادة هنا تكليفًا بما ليس في وسع النفس الإنسانية، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

هذه مجمل أدلتهم التي يثبتون بها وجوب إرسال الرسل على الله سبحانه وتعالى عما يصفون- وهي أدلة متهافتة، فالله سبحانه لا يجب عليه شيء؛ فهو المتفضل المنعم، وكل ما في الوجود إنما هو تفضل ولطف منه تعالى، والوجوب يعني الإلزام، وفيه معنى الجبر والقهر والقسر، والله -سبحانه- منزه عن كل ذلك، ومن الذي يوجب ذلك على الله؟!

كما أن الوُجوبَ يُنَافي المشيئة والإرادة المطلقتين، ويجعل مشيئة الله وإرادته محدودتين، مُقَيّدتَين بحدود ما يجب عليه، وكل ذلك باطل؛ نستغفر الله تعالى من مثل هذا القول ونبرأ منه.

كما يعتقد الشيعة أن الأنبياء والرسل منزّهون عن كفر الآباء والأمهات، والأقارب ذوي الشأن؛ فهم يؤمنون بأنّ أبا إبراهيم الخليل عليه السلام كان مؤمنًا، وأن أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنان، وكذلك يؤمنون بأن أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مؤمنًا. بل إنه من أولياء الله الصالحين، بل هو رأس الأولياء، وهم يكفّرون كل من يدعي كفر أبي طالب ويبرءون منه.

والشيعة يثبتون للأئمة كل ما أثبتوه للأنبياء، سوى الرسالة، فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى، وهو معصوم من الكبائر والصغائر، والسهو والنسيان، مُنذ ولادته حتى موته، كما أنّه مُنزه عن كفر الأبوين، ومن هنا نرى السر في ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب؛ فإنّهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالدين.

ولما كان أبو طالب هو والد الإمام الأول، والوصي الولي علي رضي الله عنه قالوا بإيمانه وكفّروا من قال فيه غير ذلك.

الرابعة من معتقدات الشيعة: العدل: هو من أركان العقيدة الإيمانية، أو أصول الدين عند الشيعة، وعقيدة الشيعة في العدل وحديثهم عن هذا الأصل، يَدُلنا على الصلة الوثيقة بين الشيعة والمعتزلة في العقائد؛ إذ الأصل في العدل أنه مبدأ من مبادئ الاعتزال، التي أقام المعتزلة عليها مذهبهم، وقد أخذ الشيعة الكثير من عقائد المعتزلة، ومنها القول بالعدل.

والقول بالعدل ترتَبت عليه أمور عقدية، منها: أنهم أوجبوا على الله تعالى إرسال الرسل، وأن ينص على الأئمة، وأن يفعل الصلاح والأصلح، وأن يلطف بعباده، وأن يُعوض العِباد عما يلحقهم من الآلام، وأنه يجب عليه أيضًا إثابة المطيع، وعقاب العاصي، ويترتب عليه كذلك أن العبد مستقل بأفعاله الاختيارية، يفعلها بنفسه، دون أن يكون لله سبحانه تأثير في ذلك.

وهذه الأمور كلها أخذها الشيعة عن المعتزلة، حينما أخذوا مبدأ العدل، كما أخذوا أمورًا أخرى أهمها:

1. أن معرفة الله تعالى واجبة على العباد بالعقل وليس بالشرع.
2. أن الحسن والقبح عقليان.
3. أن الصفات عين الذات، أو أن الصفات ليست زائدة على الذات.
4. إنكارهم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وإنكارهم أن ذلك وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا في حادثة المعراج.

ولسنا نريد أن نطيل الحديث معهم بالرد على كل هذه العقائد التي أشرنا إليها، والتي تفرعت أساسًا عن القول بالعدل، ولكن نكتفي بأن نشير إلى أن القول بالوجوب على الله سبحانه وتعالى عما يصفون- بجانب أنه يدل على فهم سقيم؛ فإنّه يَدُلّ على سوء الأدب بجانب الله تبارك وتعالى.

فإن الواجب -كما علمت- يعني الإلزام والإلجاء، ومن ذا الذي يُلزم الله بأن يفعل كذا أو يترك كذا؟! ومن ذا الذي يلجئ الحق سبحانه وتعالى إلى فعل شيء أو ترك آخر؟!

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

ثم إن الوجوب يعني قيدًا على الإرادة والمشيئة؛ فلا يكون الله سبحانه فاعلًا لما يشاء، أو تاركًا لما يشاء، وإنما يكون فاعلًا لما يجبُ عليه فِعْلُه تاركًا لما يجب عليه تركه، وذلك والجبر سواء.

وفي ذلك نقض لما يجب لله من الكمال، ورفض لما ورد عن الله -سبحانه- في كتابه الكريم، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة، من أن الله تعالى يفعل ما يشاء، له الإرادة المطلقة، والمشيئة الكاملة، حين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17] ويقول سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ

﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68] كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]. ولهذه القضية مزيد من الرد عند الرد على معتقدات المعتزلة الفاسدة.

الدرس الثالث: فرقة الشيعة (3)

عناصر الدرس

العنصر الأول: اعتقاد الشيعة في المعاد، والقضاء والقدر، والبداء

العنصر الثاني: أشهر فرق الشيعة، وبيان ما يعتقده كل فريق منها

العنصر الأول: اعتقاد الشيعة في المعاد، والقضاء والقدر، والبداء

المعاد: وهو مِن أركان العقيدة عند الشيعة؛ فيما يوافق معتقد أهل السنة والجماعة، في الإيمان باليوم الآخر، ويُرادُ به أنه يجب على المسلم أن يعتقد بأن الله تعالى سوف ينشر الأجساد بعد فنائها، وتفرق أجزائها، ثم يُعيد لكل جسد روحه التي فارقته عند الموت في الدنيا، وأن ذلك سوف يكون عند قيام الساعة؛ ليُحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: 7، 8].

والمعاد يطلق ويراد به معان ثلاثة:

الأول: المعنى المصدري من العَود، أو هو ما يسمى بالمصدر الميمي.

الثاني: زمان العود.

الثالث: مكان العود.

والمراد بالمعاد الذي يجب على المؤمن اعتقاده؛ ليس المعنى المصدري أي: مُجرد العَود إلى اجتماع النفس والجسد في حياة ثانية، ولكن المراد اعتقاد ذلك بجانب الاعتقاد بأمور أخرى تتصل بهذا المعاد، أو بهذه الحياة الآخرة، وذلك كزمانها، وأن ذلك يكون بعد فناء هذه الدار، وقيام الساعة ومكانها أو هيئة مكانها، وأنّ ذلك يكون في مكان يسع الخلائق جميعًا، ويحشرون فيه على هيئة معينة.

فليس المعاد مجرد عود إلى حياة بعد الموت، ولكنه عود على هيئات زمانية وإنسانية معينة، ورد بها الكتاب والسنة؛ فوجب استصحابها ضمن الاعتقاد في المعاد، هذا والشيعة يؤمنون بالمعاد، كما نؤمن به نحن أهل السنة والجماعة على الجملة؛ فيثبتون المعاد للنفس والبدن.

السادسة: القضاء والقدر: يُؤمن الشيعة بالقضاء والقدر؛ بمعنى أن الله تعالى قد قضى وقدر كل شيء أزلًا؛ لكنهم مع ذلك، يُؤمنون بأن الله تعالى يُغير من قضائه وقدره، حَسبما يبدو له، ولذا فهم يضيفون إلى الإيمان بالقدر الإيمان بالبداء، والبداء معناه أن الله تعالى بعد أن قدر كل شيء أزلًا، يَبدو له أن يغير من قدره السابق؛ فيُغير منه حسبما يبدو له تحت اعتبارات الظروف والأحوال.

والشيعة يؤكدون على الإيمان بالبداء تأكيدًا قويًّا؛ شأن كل القواعد التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، فإنهم في هذه العقائد يؤكدون عليها ويتشددون فيها، ويُعظمون من شأنها؛ لذلك يعظمون من عقيدة البداء، ومن قواعدهم الدينية "ما عُظِّم اللهُ بمثل البداء".

ويُروى عن أئمتهم أن الله ما بعث نبيًّا قط حتى يقول له بالبداء، فالقول بالبداء هو من أفضل العقائد التي يُعَظَّم بها الله سبحانه وتعالى عندهم، لماذا؟ قالوا: لأن في إثبات البداء إثباتًا لمشيئته سبحانه وتعالى واختياره، واستمرارًا لإرادته ومشيئته، إذ إن نفي البداء هو نفي لإرادته تعالى ومشيئته، حيث قد قضى وقدّر كل شيء، ولا يملك بعد ذلك أن يغير أو يُبدل.

وإذا كان لا يُمكن أن يُغَيّر أو يُبدل، من قدره السابق؛ فهو إذن غير مُريد أو هو قد بطلت إرادته، وانتفت مشيئته، بعد أن قدّر كل شيء أزلًا – فهذه فلسفتهم.

والشيعة عندهم مِثَالٌ مشهور يوضحون به المراد بالبداء، ويُفسرون به العلاقة بين القدر والبداء، فيقولون: إن الله تعالى قد قدّر عمر زيد أزلًا بسبعين سنة، هذا هو القدر، ولكن يبقى الاختيار والمشيئة لله في أن يزيد من ذلك العمر، أو أن ينقص منه، وهذا هو البداء. فالبداء يعني أن يبقى لله تعالى الاختيار في مرحلة البقاء، وإنه لعجيب أمر الشيعة حين يظنون أنهم بإثباتهم البداء إنّما يُعَظِّمون من شأن الله –سبحانه– ويُعللون ذلك بأنهم إنما يبقون على صفة الإرادة والمشيئة لله تعالى، زاعمين أنّ النافين للبداء إنما ينفون عن الله سبحانه صفة الإرادة والمشيئة أو يعطلونهما.

وهذا خطأ بيّن، فهم بإثباتهم البداء لم يثبتوا لله الإرادة؛ فإن الإرادة لله ثابتة وما نفاها أحد، ولكنهم نفوا عن الله تعالى العلم بما يكون، ذلك أن قدر الله في الأزل إنما هو مبني على علم الله –سبحانه– بكل ما سيكون؛ فالله تعالى قد أحاط بكل شيء يكون، وبذلك قدر كل على شيء بناء على علمه تعالى؛ فإذا أي شيء بدا له بعد ذلك، فإن هذا البداء لا يُفهم إلا بناء على احتمالين، كِلَاهُما مُحالٌ بِالنِّسبة لله سبحانه وتعالى:

الأول: أن يَكون الله –تعالى عن ذلك– قد قدر عن جهل، فلما علم الأمر حين وقوعه بدا له أن يغير من قدره ذلك، وهذا محال على الله – تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

الثاني: أن يكون الله تعالى عالمًا بكل شيء، ولكنه يُقدر بناء على علمه تقديرًا لا يتسم بالحكمة، وقد يبدو له أن يغير من تقديره التماسًا لحكمة ومصلحة، لم يتحققا في تقديره السابق، وذلك مُحالٌ أيضًا.

وعلى ذلك ونحن ننفي البداء، لا ننفي إرادة الله تعالى ومشيئته، وكيف وكل شيء في الوجود إنما هو بإرادته ومشيئته مع كامل علمه وحكمته سبحانه وتعالى وهو العليم الحكيم.

العنصر الثاني: أشهر فرق الشيعة، وبيان ما يعتقده كل فريق منها

يقول الإمام الشهرستاني: وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبَعْضُهم يَمِيلُ في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السُّنة، وبعضهم إلى التشبيه، وقَسَّمَهُم غيره إلى ثلاثة أقسام، وهي: "الزيدية، غلاة الشيعة، الرافضة". وكل قسم من هذه الأقسام تحته العديد من الفرق، وهناك من قسّم الشيعة تقسيمة أخرى، وجعل الأساس الذي اعتمده في تقسيمه بين الفرق إنّما هو موقف كل منها من الإمام علي رضي الله عنه ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين.

وبهذا الاعتبار نستطيع أن نسلك هذه الفرق كلها في ثلاث:

الفرقة الأولى: وهم الشيعة المخلصون أو الصادقون، أو الشيعة الأولى، أو الأتقياء، وهذا أصدق وصف لهم؛ لأنّهم صدقوا في تشيعهم للإمام علي رضي الله عنه وأخلصوا في اتباعه، فلم يبتدعوا ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين، فهؤلاء هم الشيعة الصادقون الذين تتكون منهم الفرقة الأولى أو الشيعة الأولى، وقد كانت نواة هذا الفريق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عاصروا البيعة بالخلافة للإمام علي رضي الله عنه ثم من بعد ذلك عاصروا الحرب التي اندلعت بين علي ومعاوية، وبين علي والخوارج.

هؤلاء الصحابة كانوا يرون أن عليًّا أولى بالخلافة، وأحق بها؛ فعرفوا له حقّه، وأنْزَلوه من الفضل منزلته، كُلّ ذلك دون أن ينتقصوا أحدًا من إخوانه رضي الله عنهم فضلًا عن أن يسبوهم أو يرموهم بكفر.

الفرقة الثانية: الشيعة التفضيلية: وهم الذين يذهبون إلى تفضيل الإمام علي رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله عنهم، والمفاضلة هنا بين علي والصحابة تأتي على أفعل التفضيل، على معنى أن هذا الفريق لا يُجَرّد الصّحابة من الفضل، ولا يَسُبّهم، ولا يرميهم بكفر، بل يعترف لهم بالفضل؛ لكنه يرى أن عليًّا أفْضَلُ من سائر الصحابة رضي الله عنهم.

ولقد صح أن الإمام علي رضي الله عنه عندما أحس أيام خلافته بقوم يفضلونه على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم غضب لذلك غضبًا شديدًا، وتشدد في النهي عن ذلك حتى قال: "لئن سمعت أحدًا يفضلني على الشيخين رضي الله عنهما لأحُدّنه حد الفرية".

الفرقة الثالثة: الشيعة الغلاة: وهَؤُلاء هُم الذين غلوا في الإمام علي رضي الله عنه حتى قالوا بألوهيته، نعوذ بالله من ذلك الهذيان. والمصائب في هؤلاء درجات أو دركات؛ فمنهم من مصيبته تفضيل علي رضي الله عنه على كل الخلق لا يستثنون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فهو عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وإنما محمد ممهد له أو كان هو صاحب الرسالة ولكن

محمدًا حجبها لخطأ وقع من جبريل؛ حيث نزل بالرسالة على غير صاحبها – نعوذ بالله من هذا الكفر.

ومنهم من يزعم أنه قد حل فيه جزء إلهي، أي: أن الله –تعالى عما يقولون– قد أفاض على الإمام بعض أسرار الألوهية، فصار بها صاحب سلطان إلهي، يُخبر عَمّا كان وما يَكُون إلى يوم القيامة، ومنهم من ذَهب في الغلو إلى آخر الشوط؛ فزعم أنه هو الله – نعوذ بالله من هذا الكفر الصراح.

إلى آخر هذه الآراء التي يقول بها فرق الغلاة.

وقد أحْصَى بَعْضُ الباحثين هذه الفرق الغالية؛ فوصل بعددها إلى عشرين فرقة، كلها مارقة من الإسلام، وبريء منها الإسلام والمسلمون.

هذا؛ ونفصل القول بعض الشيء حول أهم فرق الشيعة فنقول وبالله التوفيق:

1. من فرق الشيعة "الزيدية":

وهم ينسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم أقرب الشيعة إلى السنة، وأكثرهم اعتدالًا؛ فلم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة، ولا إلى مرتبة تساويها، ولكنهم جعلوا الأئمة أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يُكَفّروا أحدًا من الصحابة خصوصًا الذين بايعهم علي رضي الله عنه.

مبادئ الزيدية: تقوم الزّيدية على عدة مبادئ هي:

أولًا: الإمامة عندهم في علي بالوصف وليست بالاسم؛ فعندهم أن الإمام الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم لم يعينه لا بالاسم ولا بالشخص، وإنّما عرفه بالوصف؛ فالأوصاف التي عُرفت لم تتحقق في أحد قدر تحققها في علي رضي الله عنه وأوصاف الإمام عند الزيدية أن يكون هاشميًّا، وأن يكون ورعًا، وأن يكون تقيًّا، وأن يكون عالمًا، وأن يكون سخيًّا، وأن يخرج داعيًا لنفسه.

هذا بالنسبة لعلي رضي الله عنه، وأما من بعده فيشترط فيه هذه الشروط، وزيادة شرط آخر وهو: أن يكون من ذرية فاطمة < فما كان من أخيه محمد الباقر إلا أن رد عليه في بعض هذه الشروط قائلًا: "مقتضى مذهبك أن والدك ليس بإمام؛ فإنّه لم يخرج، و لم يتعرض لخروج.

ثانيًا: جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل؛ بمعنى: أنّ هذه الشروط ليست شروطًا في صحة الإمامة، لا تنعقد إلا بوجودها، بل هي صفات الإمام الكامل، ويُفهم من ذلك إقرارهم بإمامة أبي بكر وعمر، وقد كان يقول عنهما: أنا لا أقول فيهما إلا خيرًا، وفي شرح هذا المبدأ يقول زيد: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة؛ إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقَاعدة دينية رعوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة. فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبًا، وسيف أمير المؤمنين على دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، فما كانت القلوب تميل إليه، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن ممن عرف باللين، والتقدم بالسنّ، والسبق بالإسلام، والقُربِ مِنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

ونَحْنُ لا نُوافق الزيدية في تفضيلهم علي، وفي دعواهم نصوص التعيين، وقد سبق أن ناقشنا هذا الزعم حينما تعرضنا لمبادئ الشيعة بصفة عامة.

ثالثًا: جواز مبايعة إمامين في قطرين مختلفين: بحيث يكون كل منهما إمامًا في القطر الذي خرج فيه، ما دام مستجمعًا لشروط الإمامة، ولكن لا يجوز مبايعة إمامين في إقليم واحد.

رابعًا: إنّ مُرتكب الكبيرة الذي لم يتب من كبيرته مخلد في النار، وهذا المبدأ أثر من آثار المذهب المعتزلي على الزيدية؛ إلّا أنّ مَذهب الزيدية قد تطور بعد ذلك، ووقع فيه الاختلاف، وتَفَرّقوا شيعًا وفرقًا، إلى سُليمانية، وصالحية، وجارودية، ونعيمية، ويعقوبية.

وكل منها اتخذت لها مبادئ خاصة؛ تفرقها تمامًا عن فرقة الزيدية وتخرجها من الإسلام مثل: تقديس الأئمة، وادعاء العلم الغيبي، وتكفير الصحابة، وغير ذلك مما عليه المغالون من الشيعة،

والمذهب الزيدي موجود باليمن الآن؛ وهم أقرب إلى المتقدمين المعتدلين منهم إلى المتأخرين الروافض.

2. الرافضة: من أكبر فرق الشيعة: وقد سُموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقد أجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام.

وأبطلوا جميعًا الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن عليًّا رضي الله عنه كان مصيبًا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين، إلا الكاملية أصحاب أبي كامل فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به، وأكفروا عليًّا بترك الخلافة، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته. ويؤمنون بجميع ما في القرآن العزيز والسنة الشريفة القطعية في الجنة والنار، ونعيم البرزخ، وعَذَابه، والميزان، والصراط، والأعراف، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأن الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيرًا فخير؛ وإن شرًّا فشر، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة.

وقد تبرءوا ممن قالوا: من أن الله فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت، وأنهم لا يرون أئمتهم إلا من عباد الله المخلصين، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وعِنْدهم أنّ كُلّ من قال أو يقول بالتفويض، أو يجعل لأي مخلوق صفة من صفات الخالق الخاصة؛ فهو خارج عن ملة الإسلام، وأما المعاد فيعتقدونه كما يَعْتَقِدُ به سائر المسلمين، ولكنهم يخالفونهم بالكيفية، وهو عندهم إعادة الخلائق بعد موتهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم.

وهناك أمور كثيرة يعتقدون وجوبها ويفعلونها، وهي خمسة: الصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله. وهي المعبر عنها بفروع الدين، ويَلي هذه الفروع في الأهمية فرض الخُمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهما كما لغيرهما من الأحكام شروط كثيرة، وبُحوث دقيقة، مَبْسُوطة في الكتب الاجتهادية عندهم، وهم سوى الكاملية أربع وعشرون فرقة، وهم يُدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب.

ويدخل في عموم الإمامية أكثر مذاهب الشيعة الآن في العالم الإسلامي، في إيران والعراق، وما وراءها من باكستان وغيرها من البلاد الإسلامية، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلى درجة أن تخالف نصًّا من نصوص القرآن الكريم، أو أي أمر عُلِمَ من الدين بالضرورة، وطَوائف أخرى اعتقاداتها وأعمالها لا تدخل في الإسلام على انحراف شديد.

والجامع لهؤلاء هو ما تدل عليه التسمية بعبارة "الإمامية" فإنهم يقولون: إنّ الأئمة لم يعرفوا بالوصف؛ كما قال الإمام زيد بن علي رضي الله عنه بل عُيّنوا بالشخص؛ فعين الإمام علي من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعين من بعده بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم ويسمون بالأوصياء؛ فقد أجمع الإمامية على أن إمامة علي رضي الله عنه ثبتت بالنص عليه بالذات من النبي صلى الله عليه وسلم نصًّا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين.

فقد اتفق الإمامية فيما بينهم أن عليًّا رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم بالنص، وأنّ الأوصِياء من بعده هم أولاده من فاطمة؛ الحسن والحسين، وهؤلاء هم المجمع عليهم، وبعد ذلك اختلفوا في الأئمة اختلافًا كثيرًا، بل قيل: إنّهم اختلفوا بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة، وأعظمها فرقتان: الاثنا عشرية، والإسماعيلية.

وقد كانوا من أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم، وتمادى الزمان، اختارت كل فرقة منهم طريقة؛ فصارت الإمامية بعضها معتزلة، إما وعيدية،

وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية إما مشبهة؛ وإما سلفية، ومن ضَلّ الطريق وتاه، و لم يُبال الله به في أي وادٍ هلك...

3. الاثنا عشرية: يَرى هؤلاء الناس أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين، ومن بعده لمحمد الباقر؛ ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم لمحمد الجواد، ثم لعلي الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه، وهو الإمام الثاني عشر.

أماكن تَواجدهم: يتواجد الاثنا عشرية الآن في عِدّة دول منها: إيران وهم يمثلون الأكثرية، والعِراق وهم يمثلون نصف سكانه، ومذهبهم في العقائد، والأحوال الشخصية، والمواريث، والأوقاف والزكوات، والعبادات كلها، هو المذهب الاثنا عشري. ومنهم من يعيش في سوريا ولبنان ودول الخليج والبحرين وأذربيجان وباكستان والهند وتركيا، وكذلك توجد لهم أقليات في أنحاء أوربا وأمريكا وأفريقيا، وجنوب شرق آسيا، وهم يتوددون إلى من يجاورهم من السُنِّيين ولا ينفرونهم.

عقائدهم: تقوم عقائدهم على ما يأتي: الإمامة، المهدي، البداء، الرجعة، تحريف القرآن، زواج المتعة، التقية. ولهذه العقائد تفصيل نذكره إن شاء الله.

أولًا: الإمامة:

أ. مكانة الإمامة عندهم: إن الإمامة هي حجر الأساس في المذهب الشيعي؛ فهي أصل من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يَجُوز فيها تقليد الآباء والأجداد، وإنّما يَجِبُ النّظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنُّبوة، وأن الإمامة كالنبوة لطف من الله تعالى؛ فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد، يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في وظائفه.

ب. النَّص على الإمام: يعتقدونَ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نص على الخليفة من بعده وهو علي بن أبي طالب، وأنه ثبتت له الأفضلية بالنص وبالعصمة؛ والأفضلية ثبتت لبقية الأئمة الاثني عشر.

ج. منزلة الإمام عندهم: إنهم يفرضون للإمام عندهم سلطانًا مقدسًا؛ لأنه استمد إمامته من النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوصاية به، وأنه قد ولي أمر الأمة بهذه الوصية؛ فتصرفاته كلها مشتقة من صاحب هذه الوصاية، وهو النبي صلى الله عليه وسلم فالإمام له السلطان الكامل في اليقين، وكل ما يقوله من الشرع، ولا يُمكن أن يصدر منه ما يخالف الشرع.

د. عِصْمَة الإِمَام: وإذ الإمامُ قد تبوأ هذه المنزلة عندهم في التقنين؛ فقد قرروا له العصمة من الخطأ والنسيان، ومن جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من الطفولة إلى الموت، عمدًا أو سهوًا؛ لأنّه الحافظ للشرع، والقوّام عليه، حاله في ذلك حال النبي؛ فله العصمة كالنبي صلى الله عليه وسلم.

هـــ. صفات الإمام وعلمه: ويَعْتَقدونَ أنّ الإمام كالنبي، يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة، وكرم، وعفة، وصدق، وعدل. والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام، أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية، وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية، التي أودعها الله فيه. هذه القوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته.

و. طاعة الإمام: وبما أنهم أنزلوا الإمام عندهم هذه المنزلة؛ فقد أوجبوا طاعته، ويعتقدون أن أمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وطاعته طاعته، ومعصيته معصيته.

ثانيًا: المَهدي: تعتقد الإمامية بظهور المهدي من أولاد فاطمة رضي الله عنها في آخر الزمان؛ فيملأ الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وهو عندهم شخص معين معروف ولد سنة 256 هجرية، وهو ابن الحسن العسكري واسمه محمد، وقد تسلم المهدي منصب الإمامة بعد

والده وبنص منه، وبقي مختفيًا عن الأنظار طيلة خمسة وستين عامًا، وكانت الشيعة تتصل به هذه الفترة عن طريق نواب عنهم لهذا الغرض، وكانت تسمى بفترة الغيبة الصغرى، ثم ادعوا الغيبة التامة؛ فلا ظهور إلا أن يأذن الله في آخر الزمان.

ولاية الفقيه: إنّ الإمام عندهم حي غائب وهو الإمام الثاني عشر، وبما أن الإمام حي، ولكنه غائب عن الأنظار، ولم يفقد سلطته الإلهية؛ بسبب غيبته–فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه، لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

ثالثًا: البداء: عَقِيدة البداء من الأفكار التي روجها اليهود، وعبد الله بن سبأ خاصة، يَزعمون أن الله يَحْصُل له البداء؛ أي: النّسيان والجهل، يَقُول علي بن موسى الإمام الثامن عندهم: ما بعث الله نبيًّا قط إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبداء.

رابعًا: الرّجعة: والرّجعة تعني أن الأئمة –مبتدءًا بالإمام علي، ومنتهيًا بالحسن العسكري؛ الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية–سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع، الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي سيظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، ويمهد الطريق لرجعة أجداده، وتَسلمهم الحكم؛ ليكون هذا تعويضًا لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة، التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة.

خامسًا: تحريف القرآن: هناك رأيان في هذه المسألة عند الشيعة:

الرأي الأول: وهو السائد، وعليه الأكثر من فقهائهم وهو عدم التحريف.

والرأي الثاني: هو وجود مصحف لعلي يُغاير القرآن الموجود، ومن الشيعة من يقول بوجود مصحف فاطمة < يستدلون بما جاء في كتابهم (الكافي) عن أبي عبد الله بن محمد، قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة –عليها السلام– وما يدريك ما مصحف فاطمة؟! مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم هذا حرف واحد. ولقد أشار بعض علماء الشيعة إلى أن مصحف فاطمة يختلف عن مصحف علي.

سادسًا: زواج المتعة: يقصدون بالمتعة الزواج المؤقت، ويقول فقهاؤهم: إنّ المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخليفة أبي بكر، وفي شطر من خلافة عمر، عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى حرمها، وأمر المسلمين بالكف عنها.

سابعًا: التقية: وهم يَعُدّونها من أصول الدين، لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل ذلك فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية.

هذه كانت أهم العقائد عند الشيعة الإمامية.

2. القَطعية: وهم الذين يَقْطَعون بدعوة موسى بن جعفر وبموته، وهم جمهور الشيعة، يَزْعُمونَ أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم نصّ على إمامة علي بن أبي طالب، واستخلفه من بعده باسمه وعينه، وأن عليًّا نص على إمامة ابنه الحسن، وأن الحسن نص على إمامة أخيه الحسين، وأن الحسين نص على إمامة ابنه علي. وأن عليّ ابن الحسين نص على إمامة ابنه محمد، وأن محمد بن علي نص على إمامة ابنه جعفر بن محمد، وأنّ جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر، وأنّ موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه علي بن موسى، وأن عليّ بن موسى نص على إمامة محمد بن علي، وأنّ محمد بن علي نص على إمامة ابنه علي بن محمد بن علي بن موسى، وأن علي بن محمد بن موسى نص على إمامة ابنه الحسن بن علي بن محمد بن موسى، وهو الذي كان بسامراء. وأن الحسن بن علي نص على إمامة ابنه محمد بن الحسن بن علي وهو الغائب المنتظر عندهم، الذي يدعون أنه يظهر؛ فيملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.

ويقال لهم أيضًا: الاثنا عشرية؛ لدعواهم أن الإمامَ المُنْتَظر هو الثاني عشر من نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبِجانب تسميتهم قطعية، يُسَمّون الإثنا عشرية؛ لأنّ الإمام المُنتظر عندهم هو الثاني عشر، ومِنْ جَمَاعة مُحددة ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه

موسى، ويَقطعون بموت موسى، وزَعموا أنّ الإمام بعده من سبط محمد بن الحسن، الذي هو سبط علي بن موسى الرضا، ولذلك سموا بالقطعية.

3. الكيسانية: وهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل: تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، يعتقدون فيه اعتقادًا فوق حده ودرجته؛ من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس، وهم يجتمعون على أن الدين طاعة رجل، وقد حملهم هذا على تأويل الأركان الشرعية: من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغير ذلك.

فحمل ذلك بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت؛ فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن مُعتقد حقيقة الإمامة إلى غيره؛ متحر عليه، مُتحيز فيه، ومن مُدّع حكم الإمامة، وليس من الشجرة، وكلهم حيارى منقطعون.

ومن اعتقد أنّ الدين طاعة رجل ولا رجل له؛ فلا دين، وهم يقولون: إن الإمامة كانت حقًّا لمحمد ابن الحنفية، ويفترقون إلى عدة فرق:

المختارية، والكربية. وفرقة ثالثة ورابعة وخامسة بغير اسم، ومنهم الراوندية، والرزامية. وقَدْ اخْتَلفُوا إلى الحسينية والمحمدية؛ ولهم فرق دون ذلك.

4. كما أنه من الرّافِضة: الناوسية، أتباع رجلٍ يُقَال له: عجلان بن ناوس، من أهل البصرة، يسوقون الإمامة إلى جعفر محمد بن علي، وأنّ أبا جعفر نَصّ على إمامة جعفر بن محمد، وأنّ جَعْفَر بن محمد حيٌّ لم يمت، ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدي، ورووا عنه أنه قال: "لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تُصَدّقوا؛ فإني صاحبكم صاحب السيف". وحكى أبو حامد الزوزني أن الناوسية زعمت أن عليًّا باقٍ.

5. ومن الرافضة: الإسماعيلية: وهؤلاء قالوا: إن الإمام بعد جعفر هو إسماعيل، نصًّا عليه باتفاق من أولاده، وقد اختلفوا في موته حال حياة أبيه؛ فمنهم من ذهب إلى أنه لم يمت، إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء العباسيين، وأنه عقد محضرًا، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة. ومنهم من قال: موته صحيح، والنّص لا يَرجع القهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره؛ فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يُقال لهم: "المُبَاركية" ومنهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقالوا برجعته بعد غيبته، وهؤلاء يسمون "الواقفية".

والأئمة عندهم على قسمين: ظاهرين وقد تكون حجتهم مستورة، ومستورين وقد تكون دعاتهم وحجتهم ظاهرة؛ فالمستورون سبعة أئمة، والظاهرون مثلهم في العدد؛ فالأئمة الظاهرون هم: علي، والحسن، والحسين، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وإسماعيل بن جعفر، والأئمة المستورون هم: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن الرضا بن محمد، وأحمد بن عبد الله الرضا، والحسين بن أحمد، وعلي بن الحسين، وسعيد الخير، ومحمد المهدي. وقد نشأ هذا المذهب في العراق كغيره من مذاهب الشيعة، وتعرض للاضطهاد مثل غيره من المذاهب الشيعية، ومن أثر ذلك فرَّ المعتنقون له إلى العديد من البلاد مثل فارس وخراسان، وما وراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند والتركستان، وهناك خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس القديمة، والأفكار الهندية؛ وتحت تأثير ذلك انحرف كثير منهم فقام فيهم ذووا أهواء.

ولذلك حمل اسم الإسماعيلية طوائف كثيرة، بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام؛ وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية، فإن هؤلاء قد اتصلوا ببراهمة الهنود، والفلاسفة الشرقيين والبوذيين، وبقايا ما كان عند الكلدان

والفرس من عقائد، وأفكار حَول الروحانيات والكواكب والنجوم وغيرها. فبَعضهم أخذ من كل هذه المخاوف وأوغل فيه، وكان بمقدار إيغاله بعده عن الإسلام.

ولقد كانت السرية التي أحاطوا أنفسهم بها مدعاة لانقطاعهم عن جماهير الأمة؛ فلم يستأنسوا بما كان عند أهل السنة، وكلما اشتد الكتمان اشتد معه البُعد، وأنهم قد بلغ بهم الكتمان درجة أن كانوا يكتبون الكتب والرسائل لا يعلنون عن أسماء كاتبيها؛ فرسائل إخوان الصفا التي اشتملت على علم غزير، وفلسفة عميقة هم الذين كتبوها، ولم يُعرف العلماء الذين اشتركوا في كتابتها.

وأشهر ألقابهم الباطنية؛ لأنهم يحكمون بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا، وكذلك يُسَمّون القرامطة، والمزدكية بالعراق، والتعليمية والملاحدة بخراسان.

وقد سموا الباطنية أو الباطنيين؛ وذلك لاتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس، والذي كان وليد الاضطهاد أولًا؛ ثم صار حالًا نفسية عند طوائف منهم، ومن الأسباب لتسميتهم بالباطنية أنهم يقولون في أحوال كثيرة: إن الإمام مستور، وظَلّ كذلك إلى أن أنشئوا دولة لهم في المغرب ثم انتقلت إلى مصر. ومن الأسباب أيضًا لهذه التسمية: أنهم يقولون إن للشريعة ظاهرًا وباطنًا؛ فالناس يعلمون الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الإمام.

والإمام عنده علم الباطن، وأولوا على هذا ألفاظ القرآن تأويلات بعيدة، بل أوّل بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة؛ وجعلوا هذه التأويلات وما عند الإمام هي علم الباطن.

وفي الجملة: فقد كانوا يسترون الكثير من آرائهم، ولا يعلنون إلا ما تسمح الأحوال بإعلانه.

ومن الأشياء المتأصلة فيهم: أنهم لا يكشفون عما يرتئون حتى في الأوقات التي كانت لهم دولة ولهم القوة.

مقامات الإمامة ودرجاتها عندهم، التي كانت معروفة في دور الستر والتقية هي:

1. الإمام المقيم.

2. الإمام الأساسي.
3. الإمام المتم.
4. الإمام المستقر
5. الإمام المستودع
6. الإمام القائم بالقوة
7. الإمام القائم بالفعل.

وعندهم الهياكل السبعة، والأدوار السبعة، والهياكل على نوعين: سبعة مؤتلفة، وسبعة مختلفة، والنطقاء سبعة، وأسسهم سبعة، والأئمة سبعة، وقد افترقوا إلى عدة فرق؛ وما زالت حتى العصر الحاضر وهذه الفرق هي:

أولًا: الإسماعيلية القرامِطة: وسُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث؛ الذي نشرها في سواد الكوفة سنة 278 هجرية.

ثانيًا: الإسماعيلية الفاطمية: وهي حركة الإسماعيلية الأصلية، وقد مرت بعدة أدوار ما بين الستر وبداية الظهور ودور الظهور.

ثالثًا: الإسماعيلية الحشاشون: وهم أتباع الحسن بن الصباح، لما توفي الإمام المستنصر سنة 487 هجرية.

رابعًا: الإسماعيلية البهرة: وهم إسماعيلية مستعلية يعترفون بإمامة المستعلي بن المنتصر؛ وابنه الطيب من بعده وقد انقسمت البهرة إلى فرقتين: البهرة السليمانية، والبهرة الداودية.

خامسًا: الإسماعيلة الأغاخانية: وهم أتباع حسن علي شاه الذي دعا إلى الإسماعيلية النزارية، ولقبه الإنجليز أغاخان.

سادسًا: الدروز: وهي فرقة منبثقة من الإسماعيلية، وقد نشأت أيام الحاكم بأمر الله.

الدرس الرابع: فرقة الشيعة (4)

عناصر الدرس

العنصر الأول: بقية فرق الشيعة

العنصر الثاني: أبرز كتب الشيعة ورجالهم

العنصر الثالث: أشْهَرُ مُصَنّفات أهل السنة في الرد على الشيعة

العنصر الرابع: فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة

العنصر الأول: بقية فرق الشيعة

استكمالا لموضوع أشهر فرق الشيعة وصلنا إلى الإسماعيلية:

والإسماعيلية على اختلاف طوائفهم لهم معتقدات باطلة، ولا تمت للإسلام بصلة؛ فهم قوم ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض، يدينون بضرورة وجود إمام معصوم، منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، ويضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله، ويخصونه بعلم الباطن، ويدفعون له خُمس ما يَمْلِكُون، والإمامُ عِنْدهم هو محور الدعوة، ومحور العقيدة، يدور حول شخصيته.

والأرض لا تَخْلو من إمام ظاهر مكشوف، أو باطن مستور، ويؤمنون بالتقية والسرية، ويقولون بتناسخ الأرواح، وينكرون صفات الله أو يكادون؛ لأن الله في نظرهم فوق متناول العقل؛ فهو لا موجود، ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز... إلى آخره.

ولا يقولون بالإثبات المطلق، ولا النفي المطلق، فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم ولا بالمحدث، فالقديم أمره وحكمته، والحديث خلقه وفطرته.

ومن مبادئهم الإباحة المطلقة، وإنكار الشرائع؛ ويقول عنهم الإمام الغزالي: المنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم. ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، وقبائح هم لها فاعلون، فكم أحدثوا في الإسلام بدعًا، وفتقوا فيه فتقًا، وكم فتكوا بالحجاج ألوفًا، واستحلوا البلاد عنفًا، وهاجموا بلد الله الحرام، وهدموا زمزم، ونزعوا كسوة الكعبة، واختلعوا الحجر الأسود، وحملوه إلى الإحساء عشرين عامًا، وملئوا المسجد الحرام بالقتلى... إلى آخره.

ولقد أسسوا دولة شيوعية، تقوم على شيوع التوارث، وعدم احترام الملكية الشخصية، ويجعلون الناس شركاء في النساء، بحجة استئصال أسباب المباغضة؛ فلا يجوز لأحد أن يحجب

امرأته من إخوانه، وقاموا بإلغاء أحكام الإسلام الأساسية، كالصوم والصلاة، وسائر الفرائض الأخرى، واستخدموا العنف ذريعة لتحقيق الأهداف، ويعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب، وأنّ الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام، والحج والجهاد.

وينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين، والبدو وضعاف النفوس، وبين الذين يميلون إلى عاجل العذاب، وأصبح مجتمع القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض، ويقولون بالعصمة، وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم، يؤول الظاهر، ويساوي النبي في العصمة.

ومن تأويلهم الجنابة: مُبادرة المستجيب بإفشاء السر إليه، قبل أن ينال رتبة الاستحقاق، والصيام: الإمساك عن كشف السر، والبعث: الاهتداء إلى مذهبهم، النبي: عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول بقوة الثاني قوة قدسية صافية، القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه، ومركب من مهنته وسُمي كلام الله مجازًا.

ويفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم، يقولون بوجود إلهين قديمين، أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة الثاني لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا موصوف ولا غير موصوف، ويدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي وقتلهم الحسين، يقولون بالرجعة وأن عليًّا يعلم الغيب، فإذا تَمَكّنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية، وهدم الدين؛ ويعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالة، يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوس والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويَدْخُلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

إنّ هَؤلاءِ القوم يظهرون بمظهر محبة آل البيت، والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وحقيقتهم الكيد للإسلام، ونشر الفساد، وإشاعة الضلال والإضلال، والدعوة إلى الشرك والإلحاد، والقضاء على الإسلام.

والبهرة: وإن كانوا منهم لكنهم أشر منهم، وأعظم شرًّا، وأكثرهم كفرًا، هؤلاء المسمون بالدروز، الذين يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، وينكرون الأنبياء، ويَصفونهم بالأبالسة، ويقولون بأن ديانتهم نسخت ما كان قبلها، ويقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته، ويقولون بالتناسخ والحلول، ويَزْعُمون بأنّ الحَاكِمَ غَاب عن الأنظار، وسَيرجع آخر الزمان، وهم بهذا قد تجاوزوا حدود الإسلام؛ فخرجوا عنه.

وقد حكم عليهم علماء الإسلام وعلى رأسهم ابن تيمية والغزالي بالكفر، ويكفرون من شك في كفرهم، ويُعاملون معاملة المشركين، لا يؤكل طعامهم، ولا تَحِلُّ ذَبائحهم، ويحل سبي نسائهم، وأخذ أموالهم.

ومن الغُلاة الغرابية: الذين قالوا: عليٌّ شبيه محمد أشبه من الغراب بالغراب، وقالوا: إنّ الله تعالى أرسل جبريل إلى علي؛ فغلط جبريل وأدى الرسالة إلى محمد؛ لتأكُّد المشابهة بين علي ومحمد صلى الله عليه وسلم.

ومنهم فرقة تزعم أن جبريل عليه السلام أزاغ الرسالة عن علي إلى محمد عمدًا، وقصدًا لا غلطًا وسهوًا، وهذا باطل منهم وكفر، بما أنزل الله من آيات تبين مكانة جبريل عليه السلام فهو رسول ملكي أمين، ولقد ذهبوا إلى أن المال كله للبنت، وعندما وُلّي عليهم قاض، حَكم بالبنت بالنصف، فما كان منهم إلا أن هددوه بالقتل.

وهؤلاء يتضح من مقالاتهم أنهم من شرار الخلق، ولا شك في كفرهم.

العلبائية: أصْحَاب العَلباء بن ذراع الدوسي، وقال قوم هو الأسد، وكان يفضل عليًّا على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أنه بعث محمدًا -يعني عليًّا- وسَمّاه إلهًا، وكان يقول بذم

محمد صلى الله عليه وسلم وزعم أنه بُعث ليدعو إلى نفسه، ويسمون هذه الفرقة الذمية ويزعمون أن جبريل عليه السلام أزاغ الرسالة إلى علي، لكن محمدًا كان أكبر سنًّا من علي؛ فاستعان علي به ثم إن محمد استقل بالأمر، ودعا الخلق إلى نفسه.

وهؤلاء يُسيئون القول في النبي صلى الله عليه وسلم ويفترقون في أقوالهم، وعلى حسب القول تطلق التسمية عليهم، فالعينية هم الذين يقولون بالإلهية لعلي ومحمد، ويقدمون عليًّا في أحكام الإلهية، والميمية هم الذين يقولون بإلهية علي ومحمد، ويُفَضّلون محمدًا في الإلهية، ومنهم من قال بالإلهية لخمسة أشخاص وهم: أصحاب الكساء محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. وقالوا: خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية، لا فضل لواحد منهم على الآخر، وكرهوا أن يقال فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم.

النصيرية: وهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير النميري، توفي سنة 270 هجرية، والنصيرية حركة باطنية، ظهرت في القرن الثالث الهجري، وهم يزعمون وجود جزء إلهي في علي، وألهوه به، ومن أئمتهم من يدعي النبوة، ومنهم من يدعي الإلهية، ويعتقدون أن آل البيت أوتوا المعرفة المطلقة، وأن عليًّا لم يمت، وأن الشريعة لها ظاهر وباطن، والإمام هو الذي يعرف الباطن؛ فقد أشرف النور على إمام العصر؛ فجعله يفهم حقيقة هذه الشريعة وباطنها لا ظاهرها.

وهذه الفرقة لها أفكار ومعتقدات عبارة عن مزيج من آراء وأفكار الفرق المنحرفة المنسوبة للشيعة، وقد أخذوا من السبئية القول بألوهية علي ورجعته، ومن الباطنية القول بأن الشريعة لها ظاهر وباطن، وقد كثر هؤلاء في بلاد الشام وخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين. وهم يتخذون من جبل السمان مقرًّا لهم، وهو يُسَمّى الآن جبل "النصيرية" كما أنّ هذه الفرقة تقف مع أعداء الإسلام؛ فكلما رأوا قوة ظهرت تعادي الإسلام، وتحاول السيطرة على بلاد المسلمين- مالئوهم، وجعلوا لهم مكانة عندهم، ويُعادون من يخدم الإسلام، ويَحِيكُون ضده

المؤامرات؛ فعندما جاءت الحملات الصليبية على الشام ومن ورائها البلاد الإسلامية، كانوا يمالئونهم ضد المسلمين.

ولما استولى هؤلاء الأعداء على بعض البلاد الإسلامية، قَرّبوهم وجعلوا لهم مكانًا بينهم، ولما جاء نور الدين زنكي، ومن بعده صلاح الدين الأيوبي -رحمهما الله- اختفوا عن الأعين، وقصروا عملهم على تدبير الكيد والفتك بكبراء المسلمين، وقوادهم العظماء، عندما تسنح لهم الفرصة لذلك، وعندما جاء التتار إلى الشام كانوا من الموالين لهم، ومكنوهم من الرقاب؛ فلما انحسرت غارات التتار ذهبوا إلى أماكنهم في الجبال، وأقاموا بها انتظارًا لفرص أخرى تسنح لهم.

اسمهم: يعرف هؤلاء تاريخيًّا باسم النصيرية، ولكن المحتلين الفرنسيين أقاموا لهم دولة، وسموها دولة العلويين من سنة 1930 إلى 1936 ميلادية، وهم يَتواجدون في سوريا بمنطقة جبال النصيريين باللاذقية، والمدن المجاورة لهم، وفي لبنان وفلسطين، ويُوجد عَددٌ منهم كبير في غرب الأناضول، ويسمون التختجية والحطابون، وفي غرب الأناضول كذلك يوجد عدد منهم ويسمون الغزل باشيه، ويوجد عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم العلي إلهية، ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم البكتاشية.

وتقوم أفكارهم ومبادئهم على الاعتقاد بألوهية علي، وأنه يسكن الأجرام السماوية في القمر أو الشمس، ويحبون عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي، ويترضون عنه؛ لأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطئون من يلعنه، ويعتقدون بأن عليًّا قد خلق محمدًا، وأن محمدًا قد خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة، وهم: المقداد بن الأسود ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالوعود، وعبد الله بن رواحة الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر، وأبو ذر الغفاري الموكل بدوران الكواكب والنجوم، وعثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

كما أن ابن نصير أباح المحارم وأحل اللوط بين الرجال، وكذلك يعظمون الخمر ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها؛ لأنّها هي أصلُ الخَمر المُسماة عندهم النّور، ويُصلون في اليوم خمس مرات لكنها تختلف في عدد الركعات، ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانًا، لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة؛ من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة. ليس لهم مساجد عامة بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات، لهم ثلاثة مساجد:

1. قداس الطيب لكل أخ حبيب.
2. قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور.
3. قداس الأذان والله المستعان.

لا يعترفون بالحج، ويقولون بأنّ الحَجّ إلى مكة إنّما هو كفرٌ وعبادة أصنام، ينكرون الزكاة المعروفة لدينا نحن المسلمين، ويدفعون ضريبة إلى مشايخهم مقدارها خمس ما يملكون، الصيام عندهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان، يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا، ويلعنون أبا بكر وعمر.

أما طريقة الدخول في هذه الطائفة وما لديهم من أسرار؛ فإنه يذكرك بما عليه الجمعيات الماسونية في كثير من الأشكال والأحوال والهيئات، ولهم عند الدخول ثلاث جلسات: جلسة التعليق، جلسة السماع، جلسة المواثيق. ولهم مراتب ودرجات؛ يقسمون فيها العالم إلى علوي وسفلي، والعلوي منه درجات: درجة الممتحن، فدرجة المختص، ثم النجيب، ثم النقيب، ثم اليتيم، وأخيرًا الباب. والسفلي منه درجات أيضًا اللاحقون، والمستمعون، والسائحون، والمقدسون، والرومانيون، والكربيون، والمقربون.

وأعْيَادُهم خليطٌ بين الفارسية والنصرانية والشيعية، وأهَمُّها: عيد الغدير، عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد الفراش، عيد عاشوراء، عيد الغدير الثاني، عيد النيروز، عيد المهرجان، عيد

الصليب. وإلى جانب هذه الأعياد الرسمية توجد أعياد شعبية، وهي مسيحية خالصة، يُشارك النصيريون فيها مثل: عيد الغطاس، عيد السعف، عيد العنصرة، عيد القديسة باربارا، عيد الميلاد.

وأما حكم هؤلاء: فقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا يجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون، ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله عنهم: "هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى. بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم؛ فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السابقة، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى –والعياذ بالله– النصارى على ثغور المسلمين. ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم".

وقال أيضًا عنهم وعن الدروز: "هؤلاء كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، بل ولا يقرون بالجزية؛ فإنَّهم مُرتدون عن ديار الإسلام، ليسوا مسلمين ولا يهود، ولا نصارى".

وقال ابن عابدين في (رد المحتار) في فصل المحرمات عند قول المصنف: "وحُرِّم نكاح الوثنية بالإجماع" ما نصه: "قلت: وشَمِل ذلك الدروز، والنصيرية، والنيامنة؛ فلا تحل مناكحتهم، ولا تؤكل ذبيحتهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب سماوي".

وبهذا تكون النصيرية -بكل ما ورد عنهم- قد خرجت من دائرة الإسلام، شأنهم في ذلك شأن كل غلاة الشيعة أو الرافضة.

ومن الرافضة: الشميطية: وهؤلاء يسوقون الإمامة من علي إلى الحسن، فالحسين، فعلي بن الحسين، فابنه محمد بن علي، فابنه جعفر، ويَزعُمون أنّ الإمام بعد جعفر محمد بن جعفر، ثم هي في ولده من بعده، وقد نُسبوا إلى رئيسٍ لهم يُقال له: يحيى بن أبي شميط.

ومن الرافضة: العيادية: ومنهم فرقة يسوقون الإمامة من علي -على ما سبق في الشميطية- إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله بن جعفر، وكان أكبر مَن خلف من ولده، والإمامة في ولده، ويُسَمّون بهذا الاسم نسبة إلى رئيس لهم يُعرف بعياد، ويُدعون الفطحية؛ لأنّ عبد الله بن جعفر، كان أفطح الرجلين.

ومن العيادية جماعة الزراعية التميمية، تدعي أن زرارة بن أعين -وزرارة لقبه واسمه عبد ربه وكنيته أبو الحسن- كان على مقالتها، وأنه لم يرجع، وزَعم بعضهم أنه رجع عن ذلك حين سأل عبد الله بن جعفر عن مسائل لم يجد عنده جوابها، وصَار إلى الائتمام بموسى بن جعفر بن محمد.

ومن الروافض أيضًا: الواقفة: وسُمّوا بذلك لأنهم وُقِفوا على موسى بن جعفر، ولم يجاوزوه إلى غيره، وهم المنطورة أيضًا، ومنهم الموسائية المفضلية، وهم القائلون بإمامة موسى بن جعفر، يُدعون الموسائية، ويدعون المفضلية؛ لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له: المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم.

ومن الموسوية فرقة وقفوا في أمر موسى بن جعفر؛ فقالوا: لا ندري أمات أم لم يمت؟ إلا أننا مُقيمون على إمامته، حتى يتضح لنا أمر غيره، وإن وضحت لنا إمامة غيره كما وضحت لنا إمامته، قلنا بذلك وأنفذنا له، وقد توقف هؤلاء في موت موسى بن جعفر، ومنهم من قطع

بموته وهم القطعية، ومِنهم من توقف عليه، وقال: إنّه لم يَمُت، وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم: الواقفة.

ومن الروافض أيضًا: فرقة تسوي الإمامة من علي إلى موسى بن جعفر، كما حكينا من قول المتقدمين؛ غير أنّهم يقولون: إنّ موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه أحمد بن موسى بن جعفر.

ومن الروافض كذلك فرقة تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي، وأن عليًّا نص على الحسن بن علي، ثم انتهت الإمامة إلى محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر. كما عند القطعية، فيزعمون أن محمد بن الحسن بعده إمام هو القائم، الذي يظهر فيملأ الأرض عدلًا فيقمع الظلم.

ومنهم آخرون؛ مما يجعلك تقول: إن الشيعة ليست فرقة واحدة، بل هي إلى السبعين أقرب، وإنّها إلى الأديان أقرب من المذاهب، وإلى النحل أقرب من الملل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

العنصر الثاني: أبرز كتب الشيعة ورجالهم

قديمًا أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأتباع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، وأتباع بيان بن سمعان التميمي، وأتباع رزام بن رزم، وأتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي، وأصحاب أبي الجارود، زياد بن أبي زياد، وأصحاب سليمان بن جرير، وأصحاب الحسن بن صالح بن حي، وأصحاب كثير النوى الأبتر.

ومن رِجَال الزيدية أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي، والحسن بن صالح بن حي، ومقاتل بن سليمان، والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي،

والداعي الآخر صاحب طبرستان الحسين بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، ومحمد بن نصر، وأتباع محمد بن الباقر بن علي زين العابدين، وابنه جعفر الصادق، وأتباع رجل يقال له: ناووس، وابنه عبد الله الأفطح.

وأصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، وأصحاب أبي منصور العجلي، وأصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زيزب الأسدي، وأتباع أحمد بن الكيال، وأصحاب الهشامين؛ هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول، وأصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي.

يقول الشهرستاني: رجالُ الشِّيعة ومصنفو كتبهم من المحدَثين؛ فمن الزيدية: أبو خالد الواسطي، ومنصور بن الأسود، وهارون بن سعد العجلي جارودیه، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن آدم، وعبيد الله بن موسى، وعلي بن صالح، والفضل بن ركين، وأبو حنيفة بترية، وخرج محمد بن عجلان مع محمد الإمام، وخرج إبراهيم بن سعيد، وعباد بن عوام، ويزيد بن هارون، والعلاء بن راشد، وهيثم بن بشير، والعوام بن حوشب، ومسلم بن سعيد مع إبراهيم الإمام.

ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة: سالم بن أبي الجعد، وسالم بن أبي حفصة، وسلمة بن كهيل، ونوبر بن أبي فاختة، وجيدب بن أبي ثابت، وأبو المقدام، وشُعبة، والأعمش، وجابر الجعفي، وأبو عبيد الله الجدلي، وأبو إسحاق السبيعي، والمُغيرة وطاوس والشعبي، وعلقمة وهبيرة بن برين، وحبة العرني، والحارث الأعور.

ومن مؤلفي كتبهم: هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، ويونس بن عبد الرحمن، والشكال، والفضل بن شاذان، والحسين بن إشكاب، ومحمد بن عبد الرحمن، وابن قبة، وأبو سهل النوبختي، وأحمد بن يحيى الراوندي. ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي.

العنصر الثالث: أشْهَرُ مُصَنّفات أهل السنة في الرد على الشيعة

(أصل الشيعة وأصولها) لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، (تاريخ المذاهب الإسلامية) محمد أبو زهرة، (تطهير الجنان واللسان عن الحضور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان) للمحدث أحمد بن حجر الهيثمي المكي، (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكتماني، (جامع الرسائل) لابن تيمية، (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) أغا برزك الطهراني، (ذو النورين عثمان بن عفان) محب الدين الخطيب، (الرسالة) للإمام الشافعي. (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة) للسيد محمد رشيد رضا، (الشيعة في التاريخ) محمد حسن الزين العالمي، (عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية) علي أحمد السالوس، (فرق الشيعة) الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي، (الفرق بين الفرق) أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) للإمام ابن حزم. (فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة) دكتور أحمد علي السالوس، (الملل والنحل) للإمام الشهرستاني (منهاج السنة النبوية) للإمام ابن تيمية، (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) موسى الجار الله، (مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع) دكتور علي أحمد السالوس، (بطلان عقائد الشيعة) محمد عبد الستار التونسوي، (حقيقة الشيعة) عبد الله بن عبد الله الموصلي، (الشيعة والقرآن) إحسان إلهي ظهير، (الشيعة والسنة) إحسان إلهي ظهير، (الشيعة وآل البيت) إحسان إلهي ظهير.

العنصر الرابع: فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة

وبادئ ذي بدء نوضح ما هي فكرة التقريب؛ حتى ننبه المسلمين المخدوعين، والغافلين من أهل السنة والجماعة، ومن يحسنون الظن بأعدائهم، ولا يحتاطون لأمر نجاتهم، وإلى من جهل

مذهب الشيعة فانخدع وهو سليم القلب، وإلى المتعاطفين مع الشيعة وضحاياهم، ومن يجهلون الأمر والموقف الحقيقي للشيعة من أهل السنة.

وإلى كل الداعين إلى التقريب بين أهل السنة والشيعة نقول –والكلام للأستاذ الدكتور عمر بن عبد العزيز أبو المجد قريشي–:

"يجبُ أن نعلم أن هناك دارًا في القاهرة تسمى دار التقريب بالزمالك، تعمل لصالح الشيعة كذا ما يسمى بالمذهب الجعفري أو الجعفرية، ولم يقف الأمر عند هذا، بل تم إنشاء جمعية أهل البيت سنة 73، 74 اتخذت مركزًا لها بالمعادي بالقاهرة، واستخدمت أساليب متنوعة لنشر عقيدة الشيعة بين أهل السنة.

هذا؛ وإن الذين تعاطفوا منا مع الشيعة لم يكونوا على علم بمعتقدات الشيعة، وإن عدم العلم بالشيء لا يعني عدمه، وعدم العلم هذا هو الذي أوقع كثيرًا من علمائنا ومفكرينا في الدعوة إلى التقارب معهم، وهذا هو الذي حدا بالشيخ محمود شلتوت أن يقول فتواه بجواز التعبد بالمذهب الإثني عشري، إنّ التقية الخبيثة التي يؤمن بها الشيعة دينًا هي التي ذهب ضحيتها الشيخ شلتوت وكذا الشيخ محمد الغزالي ومن قبل شيخ الأزهر الأسبق محمد الفحام. وأيضًا الشيخ حسن البنا –رحمهم الله جميعا– وغيرهم من حسني النية الذين دعوا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، أو بين الشيعة وأهل السنة، وما ذلك إلا بسبب التقية المبالغ فيها، وهي التي تأمر الشيعة بأن يظهروا عكس ما يبطنون من عقائد، وعليه فإن الشيعي قد يقر ظاهرًا ما يقر به باطنًا، وقد يُنكر ظاهرًا ما يعتقده باطنًا.

وبِسبب هذه العقيدة وقع من أهل السُّنة وصَدّق كلام الشيعة، بل وأفتى بجواز التعبد بمذهبهم؛ فمن أجل التقية والخداع يكتبون ويقولون ما لا يعتقدونه أصلًا.

إنّ هدف الشيعة من التقريب هو نشر مذهبهم بين أهل السنة، وقد نجحوا في العراق وغيرها، حيث تمكنوا من إدخال عدد من القبائل السنية في التشيع؛ فأصبح أولئك عددًا يضاف إلى

أعداء الأمة، يطعنون فيمن حمل هذا الدين أعني الصحابة رضي الله عنهم ويتربصون بالأمة الدوائر.

ولذلك فدعوة التقريب التي نراها، أو نسمع عنها في مصر تحتاج إلى نظر، وإلا كانت دعوة إلى المذهب الشيعي؛ إنّها لُعبة مكشوفة!!

وبواسطة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية نُفّذت خدعة مذهبية مدروسة، بانتزاع فتوى من الشيخ شلتوت -المخدوع- بجواز التعبد بالمذهب الشيعي، حتى فهم منها أن مذهب الشيعة متفق عليه، ومذهب أهل السنة مشكوك فيه، فلاحظ أن القوم يحيطون ويعملون من أجل نصرة مذهبهم، ونشره بين أهل السنة والجماعة، باستغلال من ليس على علم بمعتقداتهم أو بإغرائهم.

ودليل ذلك أنه أنشئت دار التقريب في مصر، ينفق عليها من الميزانية الرسمية لدولة الشيعة، وهذه الدولة الشيعية إذ آثرتنا بهذه المكرمة، واختصتنا بهذا السخاء الرسمي، وضنت في نفس الوقت بمثلها على نفسها، وعلى أبناء مذهبها، فلم تنشئ دارًا للتقريب في طهران، أو في النجف، أو غيرها من مراكز الدعايا الشيعية في السنين الأخيرة، من الكتب التي تهدم فكرة التفاهم والتقريب، ما تقشعر منه الأبدان.

ومن ذلك كتابٌ اسمُه (الزّهراء) في ثلاثة أجزاء نشره علماء النجف، وقالوا فيه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إنه كان مبتلى بداء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال. فالروح النجسة التي يصدر عنها مثل هذا الفجور المذهبي، هي أحوج إلى دعوة التقريب من حاجتنا نحن أهل السنة إلى مثل ذلك.

وبَعد إعطاء فكرة مُبسطة عن التقريب، نذكر رأينا في فكرة التقريب بصفة عامة فنقول:

إنّ التّقريب بين المسلمين في تفكيرهم، واقتناعاتهم واتجاهاتهم، وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح، وهو من الخَير لشعوبهم، وجامعتهم في

كل زمان ومكان، والدّعْوَة إلى هذا التقريب إذا كانت بريئة من الغرض، ولا يترتب عليها في تفاصيلها ضرر يطغى على ما يرجى من نفعها؛ فإنّ على كل مُسلم أن يستجيب لها، وأن يتعاون مع المسلمين على إنجاحها.

وأول ما نلاحظه في هذا الأمر، وفي كل أمر له علاقة بأكثر من طرف واحد، أنّ من أقوى أسباب نجاحه: أن يكون هناك تجاوب بين الطرفين، أو الأطراف ذات العلاقة به، لكن أن يكون المقصود هو الانتصار لفكرة واحدة، ونشر مذهب واحد، يَعْتَقِدُ في نفسه أنه على الحق، وما سواه على الباطل؛ فكيف يتحقق التقارب أو يتم التفاهم؟!

ويتحقق هذا مع الوسطية والإنصاف؛ فيقتضي الأمر مثلًا أن يبدءوا بتخفيف إحنتهم، وضغينتهم عن أئمة الإسلام الأولين، وأن يشكروا لأهل السنة موقفهم النبيل من آل البيت، وعدم تقصيرهم بشيء من واجبات الإجلال والتكريم لهم، إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت في أننا لم نتخذهم آلهة نعبدهم مع الله، كما هو المشاهد في مشاهدهم القائمة في الناحية الأخرى التي يراد التقريب بيننا وبينها.

إن التجاوب لا بد منه بين الطرفين المراد تفاهمهما، والتقريب بينهما، ولا يكون التجاوب إلا إذا التقى السالب بالموجب؛ ولم يقتصر نشاط الدعوة إليه والعمل لتحقيقه على جهة واحدة دون الأخرى، كما هو حاصل الآن.

وثانيًا: لا يجوز التقريب مبتدئًا بالفروع قبل الأصول، كالفقه والسياسة ونحو ذلك؛ فالفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلّمة عند الفريقين، والتشريع الفِقْهي عند الأئمة الأربعة من أهل السُّنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها؛ فلن يتحقق تقريب إيجابي.

والآن تستطيع أن تقول: ما هو حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة؟

إن حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة، على نحو ما هم عليه من التمسك بمذهبهم مستحيل بكل المقاييس، وذلك لأن واضعي أسس الدين الشيعي لم يتركوا في أصولهم أي وسيلة لهذا التقريب، بعد أن أقاموه على دعائم منافية لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إليه أصحابه، وتركهم على المحجة البيضاء الواضحة لا ينحرف عنها منحرف إلا هلك.

وهؤلاء القوم قد بنوا مذهبهم على الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قام الإسلام على أكتافهم، لدرجة أنهم كفروا الصحابة، عدا نفر قليل يعدون على أصابع اليد أو اليدين. وقد سمعت نموذجًا لمثل الكلام القذر، الذي قالوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

هذا؛ ومما يمنع التجاوب الصادق بيننا، ويستحيل التقارب بين أهل السنة والشيعة، اعتقادهم بمبدأ أو عقيدة التقية؛ فإنّها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به، من رغبتهم في التفاهم والتقارب، وهُم لا يريدون ذلك، ولا يرضون به، ولا يعملون له، إلّا على أن يبقى من الطرف الواحد مع بقاء الطرف الآخر في عزلته مؤمنًا بعقيدته، مُتمسكًا بمذهبه، لا يتزحزح عنه قيد شعرة.

هذا؛ وكَيف يَكُون التّقارب بيننا وبينهم، مَع عَدم وجود المرجع الذي نرجع إليه، ويجمع بيننا، فإن ربنا يقول: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: 10] كما قال: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59].

وهؤلاء القوم لا يؤمنون بالقرآن الذي نؤمن به نحن المسلمين أهل السنة والجماعة؛ فهم يُؤمنون بمصحف فاطمة، الذي هو أضعاف هذا القرآن ثلاث مرات، ليس فيه من القرآن

حرف واحد، والذي هو مع الإمام الغائب، وقد ألفوا كتبًا أثبتوا فيها تحريف القرآن، مثل: كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) لأحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي. وقد جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور، بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه.

وهذه النصوص الشيعية المكذوبة على أئمة أهل البيت قديمة العهد، ورحم الله أبا محمد بن حزم كان يتناظر مع قسس أسبانيا في نصوص كتبهم، ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن محرف أيضًا؛ فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن، ولا على المسلمين؛ لأن الشيعة غير مسلمين.

هذا؛ وعِنْد اعترافهم بهذا القرآن، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته، وصَرْف مَعانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن، وهناك فتوى عندهم بأنه لا يأثم من قرأ القرآن، كما يتعلم الناس من المصحف العثماني.

هذا؛ وكيف يتم التقريب والشيعة تزعم –خاصة الإمامية الإثني عشرية وتسمى بالجعفرية أيضًا– أنّ جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هذه الساعة، عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب حكومات غير شرعية، ولا يجوز لشيعي أن يدين لها بالولاء والإخلاص، من صميم قلبه، وإنّما يتقيهن تقاة؟

ولذلك يَلْعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان، وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي، وقد كذبوا على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى، بأنّه أقرّ شِيعته على تسمية أبا بكر وعمر بالجبت والطاغوت، وتَعبدهم بالدعاء الذي يسمونه دعاء صنمي قريش، وهو دعاء مطول وفي غاية القبح.

وبلغ من كراهيتهم لعمر بن الخطاب، أنْ سموا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي بشجاع الدين، واعتبروا يوم قتله يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة ويوم التسلية.

ومن عقائدهم الأساسية أنه عندما يقوم المهدي، وهو إمامهم الثاني عشر الذي هو حي الآن وينتظرون خروجه –أي ثورته– وإذا ذكروه قالوا: عجل الله فرجه، عندما يقوم هذا المهدي من نومته الطويلة، التي زادت على ألف ومائة سنة وسيحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين السابقين، مع الحكام المعاصرين لقيامه، وعلى رأس الجميع الجبت والطاغوت أبو بكر وعمر، فمن بعدهما فيُحاكمهم على اغتصابهم الحكم منه، ومن آبائه الأحد عشر إمامًا، ويسمى هذا الإحياء بالمحاكمة والقصاص، وهي عقيدة الرجعة، وهي من عقائدهم الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد.

وإنّ أعلام الشيعة وأحبارهم في جميع العصور، واقفون هذا الموقف من صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه أبي بكر وعمر، ومن سائر أعلام الإسلام وخلفائه وحكامه، وقادته ومجاهديه وحفظته.

إنّ قَومًا نفوا الإيمان عن أبي بكر وعمر، كما كفروا الصحابة عدا علي، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، كيف يتم التقريب معهم أو التقارب منهم؟!

وفي الوقت الذي يُنزل الشيعة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، إلى هذه الدركة المخزية؛ فإنهم يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة أنفسهم. فقد نعتوهم نعوتًا ترفعهم عن منزلة البشر بل والأنبياء، وترفعهم إلى مصاف الآلهة، ولو شئت لاكتفيت بنقل عناوين الأبواب فقط بنصها، وبالحرف عن كتاب (الكافي) للكليني وهو عندهم بمنزلة البخاري عند المسلمين، فهم لا يتفقون معنا في قرآن ولا سنة فضلًا عن غيرهما.

ومن هذه العناوين: باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنه يعلمون علمه كله، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء... إلى آخره.

وبالجملة؛ فإنه لا يجدي التقارب بين أهل السنة والشيعة، ونرجو أن يحصل الوفاق والتقارب بيننا وبينهم.

الدرس الخامس: التكفير عند الشيعة

عناصر الدرس

العنصر الأول: تكفيرهم الصحابة رضوان الله عليه.

العنصر الثاني: تكفيرهم أهل البيت.

العنصر الثالث: تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم.

العنصر الرابع: الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر.

العنصر الخامس: تكفيرهم قضاة المسلمين.

العنصر السادس: تكفيرهم أئمة المسلمين وعلماؤهم.

العنصر السابع: تكفيرهم الفرق الإسلامية.

العنصر الأول: تكفيرهم الصحابة رضوان الله عليه.

كتب الشيعة مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

وإن كانت من قبل قد تخفى على بعض أئمة الإسلام. فقد جاء في شرح مسلم للنووي بأن الإمامية يقولون بأن الصحابة مخطئون في تقديم غير علي لا كفار، ولكن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: "وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفروا لذلك صحابة النبي عليه السلام

وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي، وابن تيمية وغيرهما، ولكن العدد الذي تستثنيه الرافضة من حكمها العام بالتكفير لم أجد من أشار إليه بما يتفق مع ما جاء في كتب الاثني عشرية، فيقول عبد القاهر البغدادي" :وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبي صلى الله عليه وسلم سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم ."ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً، إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين. وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وستجد أن العدد الذي تستثنيه الاثني عشرية أقل مما يذكرون.

هذا ما جاء في كتب أهل السنة وغيرهم حول مذهب الشيعة في الصحابة، وسنرى فيما يلي ماذا تقول الشيعة من خلال مصادرها المعتمدة عندها.

تقول كتب الاثني عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك.

ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه "الأسطورة" في المعتمد من كتبها، فسجّلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها الكافي، أوثق كتبهم الأربعة، ورجال الكشي عمدتهم في كتب الرجال، وغيرها من مصادرهم كتفسير العياشي، والبرهان، والصافي، وتفسير نور الثقلين، والاختصاص، والسرائر، وبحار الأنوار.

وليست هذه مجرد آراء لبعض شيوخهم، ولكنها روايات عن معصوميهم تحمل صفة "العصمة" والقدسية عندهم.

أما السبّ لذلك الجيل القرآني الفريد، على ألسنة شيوخهم فهو قد سود معظم كتبهم، وسنكتفي بذكر بعض النصوص التي فيها التصريح بالتكفير؛ إذ هو يكشف ويغني عما دونه من سب وطعن.

روى ثقتهم الكليني في الكافي: "عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك، ما أَقَلَّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا –وأشار بيده –ثلاثة".

فالتكفير – كما نرى – يتناول أفضل صحابة رسول الله وهم المهاجرون والأنصار، ويبين أن الشيعة في عصر أبي جعفر لا يرون أحدًا من المسلمين على الإسلام إلا قلة شاذة تقول برأيهم، وهي لا تشكل بالنسبة إلى مجموع المسلمين شيئًا، حتى إنها لو اجتمعت على أكل شاة لما أتت عليها، وقد شكّوا ذلك إلى إمامهم، فقال لهم معزيًا بأن الشيعة الأوائل كانوا لا يتجاوزون الثلاثة والباقي في حكم المرتدين.

وهذا النص قد يبين أن الرافضة إلى عهد أبي جعفر محمد الباقر، كانوا قلة شاذة بالنسبة للمسلمين، وأن دعوتهم لم تجد القبول، و لم تحظ بالانتشار، وكانت تعيش في سراديب التقية والكتمان، ويعزي رؤساؤها أتباعهم بما يفترونه على أهل البيت من أمثال هذه المفتريات. و لم تكشف رواية الكافي أسماء الثلاثة الذين سلموا من الردة، حيث قالوا بمذهب الرافضة، لكن مذهب الرفض لم يظهر أصله إلا بعد مقتل عثمان، فهؤلاء ليسوا بصحابة، ولا يبعد أن يكون هؤلاء من السبئيين الذين بدأ النشاط الرافضي على أكتافهم، ولا يستبعد أن هؤلاء السبئيين يتخذون أسماء "مستعارة" وقد تكون أسماء صحابة لهم مكانتهم.

وهذا ما جاء في رجال الكشي: ".. عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير، وقال :هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع.

فهذا النص بالإضافة إلى تكفيره لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد يشير إلى الخلية الأولى لمذهب الرفض وأنها تتقنع بهذه الأسماء المستعارة. وحتى هؤلاء الثلاثة الذين تستثنيهم أخبار الشيعة، لم يسلموا من شك في "معرفة" الإمام التي هي أصل الإيمان باستثناء واحد منهم، ولذلك حينما قال أبو جعفر: ارتد الناس إلا ثلاثة، أردف قائلاً: "إن أردت الذي لم يشك، و لم يدخله شيء فالمقداد".

ولذلك فإن التعامل قائم بينهم (وهم خلص الشيعة في زعم الروافض) على أساس التقية والكتمان، "فعن جعفر عن أبيه رضي الله عنه قال: ذكرت التقية يومًا عند علي عليه السلام فقال: إن عَلِمَ أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فما ظنك بساير الخلق".

وتقول نصوص الشيعة: إن هؤلاء الثلاثة قد لحق بهم أربعة آخرون، ليصل عدد المؤمنين (أو قل: الروافض) في عصر الصحابة إلى سبعة، ولكنهم لم يتجاوزوا هذا العدد.
وهذا ما تتحدث عنه أخبارهم حيث تقول: "عن الحارث بن المغيرة النصري، قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله رضي الله عنه فلم يزل يسأله حتى قال له: فهلك الناس إذًا؟ فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال إي والله هلكوا إلا ثلاثة. ثم لحق أبو ساسان، وعمار، وشتيرة، وأبو عمرة، وصاروا سبعة.

وتؤكد جملة من نصوصهم على أن العدد لم يزد على ذلك. قال أبو جعفر: "وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة.
وكان أبو عبد الله يقسم على ذلك فيقول: "فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر. وتتفاوت أخبارهم وتختلف في تعيين بعض هؤلاء السبعة، فيما يبدو أنه اختلاف بين الفرق الشيعية في تعيين آحادهم، وكل يضع من جهته، أو لأن من طبيعة الكذب الاختلاف والتناقض. وإن كان يحتمل – كما قلت – أن الرافضة تكفر الصحابة كلهم، وأن هؤلاء السبعة رموز على "الخلية الأولى للرفض" لأن صفاتهم، وعلاقاتهم، ومذهبهم ليست من الصحابة في شيء.
والرافضة تؤول أحيانًا آيات الإيمان والثناء على الصحابة بهذا العدد اليسير الذي تستثنيه من الأصل العام في التكفير، ففي تفسير القمي في قوله سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}. قال: "فإنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وأبي ذر وسلمان والمقداد".
وفاتهم أن الشيعة إنما تثني على هؤلاء الثلاثة، وتدخلهم في عداد المؤمنين، لا لهذه الأوصاف

المذكورة في الآية ولكن لأنهم آمنوا بإمامة علي، وكفروا بإمامة أبي بكر، وهذا الأصل الذي تزن به الشيعة من خالفها ليس له ذكر في هذه الآية التي جعلوها نصًا في إيمان الثلاثة، وكذلك الشأن في آيات القرآن كلها فهي رد عليهم لا حجة لهم، وجعلوا آيات الكفر والكافرين والشرك والمشركين في سائر الصحابة أجمعين، كما نجد ذلك في عدد من أبواب الكافي وبحار الأنوار.

ومع هذا الحكم العام في التكفير لأصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وأنصاره وأحبابه، وأصفيائه، فإنهم يخصون، كبار الصحابة رضوان الله عليهم بمزيد من الطعن والتكفير، ولهم في ذلك أقوال ونصوص تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

فهم يخصون الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وزراء رسول الله وأصهاره بالنصيب الأوفى من التكفير، وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه البحار – الذي عده بعض شيوخهم المعاصرين المرجع الوحيد في تحقيق معارف المذهب بابًا بعنوان "باب كفر الثّلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم". وعقد شيخهم الآخر البحراني عدة أبواب في هذا الموضوع منها: "الباب 97: اللّذان تقدّما على أمير المؤمنين عليهما مثل ذنوب أمّة محمّد إلى يوم القيامة. والباب 98 أن إبليس أرفع مكانًا في النار من عمر، وأن إبليس شرف عليه في النار.

وجاءت رواياتهم مغرقة في هذا الكفر تضرب في كل اتجاه فيه، فهي مرة لا تكفر الشيخين فحسب؛ بل ترى أن من أعظم الكفر الحكم بإسلامهما حتى روى صاحب الكافي: "ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيبًا"، وحينًا تنعتهم بأنّهم الجبت والطّاغوت، وتارة تصبّ عليهم اللّعنات ولا سيّما في أدعية الزّيارات، و"أذكار" ما بعد الصّلوات حيث يستبدلونها باللّعن على الشّيخين وسائر المسلمين.

وقد نقل بعض من كتب عن الشيعة في هذا العصر شيئًا من سوآت الشيعة وعواتها في تكفير صديق الأمة وفاروقها، ولكن الذي يمكن أن نضيفه هنا، أن ما كتبه شيوخ الشّيعة في ظل الدّولة الصّفويّة كان فيه التّكفير لأفضل أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم صريحًا ومكشوفًا، وما كتبه أوائل الشّيعة في عصر الكليني وما بعده كان بلغة الرّمز والإشارة، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية إلى حد ما وظهرت الاثنا عشرية على حقيقتها.

فمن مصطلحاتهم الخاصة: تسمية الشيخين بالفصيل ورمع، وذلك لأنهم لا يجرؤون على التصريح بالاسم في إبان قوة دولة الإسلام.

جاء في تفسير العيّاشي: ".. قلت (الراوي يقول لإمامهم): ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية، ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله". قال شيخهم المجلسي في بيانه لهذه المصطلحات: "أبو الفصيل أبو بكر؛ لأنّ الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان".

وعند قوله سبحانه: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}. روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: "يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتبعهم.

كما تطاولوا بالسب والتكفير، وعلى سبيل التعيين على كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويختارون منهم أعيانهم وخيارهم، فكما طعنوا وكفروا الخلفاء الثلاثة، فكذلك يفعلون في آخرين من فضلاء الصحابة وعظمائهم كعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي

وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، جاء في تفسير القمي والصافي: "عن الصادق: لما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة. قال عمر: أما ترون عينه كأنما عين مجنون يعني النبي، الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي. فلما قام قال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله. قال: اللهم فاشهد، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، وسلموا عليه بإمرة أمير المؤمنين فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: {يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ}. ومثل هؤلاء أيضًا يتناولون آخرين من فضلاء الصحابة ونقلة الشريعة كأبي هريرة، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وطلحة والزبير بن العوام وغيرهم.

أما كلام شيوخهم في هؤلاء العظماء فقد سود الصفحات، فإنه لا يخلو مصنف من مصنفاتهم في مسألة الإمامة ونحوها إلا وفيه من التكفير والسب واللعن ما لا يخطر ببال مسلم، لأنهم لا يرونهم على الإسلام أصلاً، وفضلاً عن ذلك فإنهم يرونهم من ألد أعدائهم، ومن الظالمين لهم، لأنهم بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وكانوا في عهدهم على كلمة سواء، وكانوا بنعمة الله إخوانًا فأقاموا دولة الإسلام، وفتحوا البلاد ونشروا الإسلام بين العباد، وأطفأوا نار المجوسية، وحطموا طاغوت الوثنية، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، فأوغروا بذلك صدور الزنادقة الحاقدين من أصحاب تلك البلاد المفتوحة، وأتباع تلك الديانات الموضوعة، فكان من كيدهم الدخول لإفساد أمر هذه الأمة من طريق التشيع، وكان من الطبيعي أن تكون مسألة الإمامة هي هدفهم، وشغلهم الشاغل، فكان من أمرهم ما كان، ثم أصبح كيدهم وخلاصة مكرهم عقيدة لهؤلاء الشيع كفروا بها الحاكم والمحكوم.

قال ابن بابويه في الاعتقادات: "فمن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون".

فهذا تكفير للحاكم والمحكوم في مختلف العصور (ما عدا حكم على والحسن) وحينما سئل شيخهم المفيد الملقب عندهم بركن الإسلام وآية الله الملك العلام عما ورد عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه قال: لا أوتي برجل يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري. فأجاب: عليه من الله ما يستحق "إن الوجه فيه أن المفاضل بينه وبين الرجلين إنما وجب عليه حد المفتري، لأن المفاضلة لا تكون إلا بين متقاربين في الفضل، وكان الرجلان بجحدهما النص قد خرجا عن الإيمان بطل أن يكون لهما فضل في الإسلام فكيف يحصل لهما من الفضل ما يقارب فضل أمير المؤمنين؟ ومتى فضل إنسان أمير المؤمنين عليهما فقد افترى بالتفضيل لأمير المؤمنين عليهما، من حيث كذب في إثبات فضل لهم في الدين، وجرى في هذا الباب مجرى من فضل المسلم البر التقي على الكافر المرتد، ومجرى من فضل جبرائيل على إبليس، ورسوله الله على أبي جهل بن هشام".

فانظر كيف عدّ أفضل الأمة بعد نبيها بمنزلة إبليس وأبي جهل. وهذا موضع إجماع طائفته حيث يقول: "فقد حصل الإجماع على كفره (يعني عمر) بعد إظهاره الإيمان".وقال شيخهم المجلسي: "وممّا عدّ من ضروريّات دين الإماميّة. استحلال المتعة، وحجّ التّمتّع، والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية". ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًا.

ولذلك يتعبّدون الله سبحانه بعد كلّ صلاة بلعن الخلفاء الثّلاثة وغيرهم من فضلاء الصّحابة، وبعض أمّهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين. وعقد لذلك الحرّ العاملي بابًا بعنوان: "باب استحباب لعن أعداء الدّين عقيب الصّلاة بأسمائهم"، وذكر فيه ما روى الكليني عن ابن ثوير والسّراج قالا: سمعنا أبا عبد الله رضي الله عنه وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرّجال

وأربعًا من النّساء، فلانًا وفلانًا وفلانًا (الخلفاء الثّلاثة) ويسمّيهم ومعاوية، وفلانة وفلانة (عائشة، وحفصة رضي الله عنهما) وهندًا وأمّ الحكم أخت معاوية.

وفي مستدرك الوسائل لشيخهم النّوري الطّبرسي عقد بابًا بعنوان: "باب استحباب لعن أعداء الدّين عُقيب الصّلاة بأسمائهم". وساق فيه جملة من رواياتهم ومنها: "عن أبي عبد الله أنّه قال: إنّ من حقّنا على أوليائنا وأشياعنا أن لا ينصرف الرّجل فيهم حتى يدعو بهذا الدّعاء: اللهمّ ضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللّذين كفرا نعمتك، وخوّفا رسولك وحلا عقده في وصيه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادعيا مقامه، وغيّرا أحكامه، وبدّلا سنّته، وقلبا دينه، وصغّرا قدر حجّتك وحججك، وبدءا بظلمهم، وطرقا طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم، ومنعا خليفتك من سدّ الثّلم، وتقويم العوج، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن، اللهمّ العنهما، وابنتيهما، وكلّ من مال ميلهم، وحذا حذوهم، وسلك طريقتهم وتصدّر ببدعتهم لعنًا لا يخطر على البال، ويستعيذ منه أهل النّار، العن اللهمّ من دان بقولهم، واتّبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشكّ في كفرهم من الأوّلين والآخرين".

فانظر كيف لعنوا في هذه "الكلمات المظلمة" المسلمين جميعًا من الأوّلين والآخرين، وخصّوا بمزيد من اللّعن والتّكفير من أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشرا دين الله في العالمين، وعدوهما وجميع من ابتعهما (أي جميع المسلمين) من أعداء الدين، فأي دين يعتقده هؤلاء الذين يعدون صحابة رسول الله ومن اتبعهم بإحسان هم أعداء للدين؟ فليكن أي دين ونحلة إلا دين الإسلام، إن هذه "اللعنات" تؤكد أن واضعها من أتباع تلك الديانات التي قضى عليها الإسلام بقيادة أبي بكر وعمر وإخوانهما رضوان الله عليهم جميعًا.

وفي مزاراتهم يجري أيضًا –بواسطة الأدعية التي وضعها لأولئك الأتباع زنادقة العصور البائدة –غرس الأحقاد وبثّ الضّغائن، وتأجيج العداوة في لعنات متتالية ومتتابعة على خير القرون،

ففي زيارة فاطمة –مثلاً –يلعنون أبا بكر وبقيّة الصّحابة رضوان الله عليهم في دعاء يقولون فيه: "السّلام عليك يا فاطمة يا سيّدة نساء العالمين، لعن الله مانعك إرثك، ودافعك عن حقّك، والرّادّ عليك قولك، لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم".

وتلاحظ أن واضع هذا الدعاء يقصد فيه لعن صديق هذه الأمة ثم يلحق فيه كل من شايعه، فيدخل فيهم أمير المؤمنين علي، لأنه من شيعة أبي بكر وأعوانه ووزرائه. ولا تخفى هذه الحقيقة على واضع هذا الدعاء، ولكنه عدو للجميع ويتستر بالتشيع لأن العقل الشيعي في غيبوبة بفعل العواطف المشحونة –زورًا –بظلم آل البيت وقهرهم وضياع حقهم، وصراعهم مع أعدائهم وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد حشدوا في ذلك ركامًا هائلاً من الأساطير لا تبقى في قلب من يؤمن بها إلا الحقد، والتعطش لسفك الدماء، والرغبة في الانتقام. وواقعهم يشهد بذلك.

العنصر الثاني: تكفيرهم أهل البيت.

هذه الرّوايات التي تحكم بالرّدة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تستثني منهم جميعًا إلا سبعة في أكثر تقديراتها، لا تذكر من ضمن هؤلاء السّبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء على فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر. فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة.

فالحكم بالرّدّة في هذه النّصوص شامل للصّحابة وأهل البيت النّبويّ من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيد أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة؟

ولا يستعبد –كما سبق –أن تلك الأسماء التي تستثنى هي «أسماء مستعارة» للزنادقة الذين يشكلون الخلية الأولى "للرفض"، ولا يعني بهم الصحابة، وإلا لماذا لم يذكر أحد معهم من أهل البيت؟ ولماذا هؤلاء الصحابة الذين يستثنون ما ظهر منهم منابذة ومناوأة للخليفتين الراشدين بل ظهر منهم الحب والمؤازرة؟!

لقد حكموا بالردة في نصوصهم التي مر ذكرها، على الحسن والحسين وآل عقيل وآل جعفر، وآل العباس، وزوجات رسول الله أمهات المؤمنين.

بل إن الشيعة خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: {وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيف العقل. وفي رجال الكشي: "اللهم العن ابني فلان واعْمِ أبصارهما، كما عميت قلوبهما، واجعل عمى أبصارهم دليلاً على عمى قلوبهما.

وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: "هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس" وبنات النبي صلى الله عليه وسلم يشملهن سخط الشيعة وحنقهم، فلا يذكرن فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي صلى الله عليه وسلم –ما عدا فاطمة، فهل يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟!

وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيهم الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة "الاثني عشر" التي لم توجد إلا بعد سنة (260هـ).

كما باءوا بتفكير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة، وحفصة –رضي الله عنهن جميعًا –بالذم واللعن والتكفير.

وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا بعنوان "باب أحوال عائشة وحفصة" ذكر فيه رواية، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى، وقد آذوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته أبلغ الإيذاء.

حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات؛ عائشة الصديقة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم (تفسير القمي) هذا القذف الشنيع المتضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: "أجمع أهل العلم – رحمهم الله –قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن"

وقال القرطبي: "فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر"

هذا وظاهرة التكفير عند الشيعة لا تخص جيل الصحابة، وإن كان الصحابة ينالهم النصيب الأوفى من السب والتكفير باعتبار أنهم حملة الشريعة، ونقلة الكتاب والسنة، والمبلغون عن رسول الله دين الله، ولذلك صار "الطعن فيهم طعن في الدين". وكان هذا هو هدف الزنادقة من وراء الحملة الضارية عليهم، ولكن سلسلة التكفير عند الشيعة مستمرة.

فكما قالت كتب الشيعة: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة، قالت أيضًا: "ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى أم الطويل، وجبير بن مطعم.

فنرى أن هذا النص لا يستثني أحدًا من أهل البيت ولا الحسن بن علي الذي تعده الاثنا عشرية إمامها، ويبدو أنها لا تستثنيه لأنها عليه ساخطة لقيامه بمصالحة معاوية حتى خاطبه بعض الشيعة بقوله: "يا مذل المؤمنين"، ووثب عليه أهل عسكره فانتهبوا فسطاطه، وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته فردوه جريحًا إلى المدائن.

العنصر الثالث: تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم.

في دين الاثني عشرية أن كل حكومة غير حكومة الاثني عشر باطلة، وصاحبها ظالم وطاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله.

وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثني عشر حديثًا عن أئمتهم، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث، وفي البحار "باب عقاب من ادعى الإمامة بغير حق أو رفع راية جور، أو أطاع إمامًا جائرًا".

وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًا والحسن طواغيت –حسب اعتقادهم –وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: "كل راية ترفع قبل راية القائم. رضي الله عنه صاحبها طاغوت"، قال شارح الكافي: "وإن كان رافعها يدعو إلى الحق"، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة، حسب مقاييسهم.

أما من قبل سنة (260هـ) فيقول شيخهم المجلسي عن الخلفاء الراشدين: "إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين".

العنصر الرابع: الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر.

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتفكير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: "أهل الشّام شرّ من أهل الرّوم (يعني شرّ من النّصارى)، وأهل المدينة شرّ من أهل مكّة، وأهل مكّة يكفرون بالله جهرة"

"وعن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا".

ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا –ولا سيما في القرون المفضلة –يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة.

وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم القديم، منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم.

وهذا الالتزام بالإسلام قد أغاظ هؤلاء الزنادقة، فعبروا عن حقدهم بهذه الكلمات، والتاريخ يعيد نفسه، ففي هذا العصر خطب خطيبهم وقال: بأن مكة يحكمها شرذمة أشرَّ من اليهود، وقد كشف شيخهم المعاصر والذي علق على نصوص الكافي عن وجه هذه الكلمات، وأبان عن فحوى هذه النصوص فقال: "لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم، كانوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمنافقون شر من الكفار وهم في الدرك الأسفل من النار، ويحتمل أن يكون هذا مبنيًا على أن المخالفين غير المستضعفين مطلقًا شر من سائر الكفار كما يظهر من كثير من الأخبار".

فهو يرى أن هذا التكفير حق، ويخرج الحكم عليهم بأنهم شر من الكفار بأحد أمرين: إما باتباعهم للأمويين أي: بمقتضى مبايعتهم لخلفاء المسلمين من الأمويين، وهذا نفاق أكبر عندهم، أو لأن المخالف شر من الكافر، وبهذا التخريج الأخير يشمل التفكير ديار المسلمين في كل الأزمان.

وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: "أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السّلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير"، "وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها". "بئس البلاد مصر! أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل". "انتحوا مصر لا تطلبوا المكث فيها (لأنه) يورث الدياثة".

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الرضا، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم.

كل ذلك لأنها لم تأخذ بنهج الروافض، ويحتمل أن هذه الروايات قبل أو بعد الحقبة الإسماعيلية من تاريخ مصر، لأن من يشاركهم في رفضهم، ويقيم دولة تسمح بكفرهم لا ينالون منه بمثل هذا.

ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم.

وأين هذه الكلمات المظلمة في حق مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه "باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر".

وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها. ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عندهم "إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة".

العنصر الخامس: تكفيرهم قضاة المسلمين.

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ}.

فأنت ترى أنهم اعتبروا قضاة المسلمين وحكامهم طواغيت، واعتبروا أحكامهم باطلة، ومن يأخذ حقه بواسطتها فإنما يأكل الحرام، وهذا الحكم يعم قضاة المسلمين على مدى القرون وتعاقب الأجيال، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة فما بالك فيمن بعدهم.

ويبدو أنهم يريدون قضاة يحكمون بحكايات الرقاع، وبالجفر والجامعة، ومصحف فاطمة، وحكم آل داود، ولا يسألون البينة، كما جاء ذلك في أخبارهم. لا في حكم الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فهم الذين تتناولهم الآية التي استدلوا بها، لأنها نزلت في بعض المنافقين الذين فضلوا حكم الطاغوت على حكم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وهؤلاء الروافض من جنس أولئك المنافقين.

وهذه النظرة لم يتغير منها شيء في نفوس شيوخهم في هذا العصر؛ فها هو الخميني يعقب على حديثهم هذا فيقول –مؤكدًا معناه –: "الإمام عليه السلام نفسه ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم ويعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت".

ويقول المعلق على الكافي: والآية بتأييد الخبر تدل على عدم الترافع إلى حكم الجور مطلقًا، وربما قيل بجواز التوسل بهم إلى أخذ الحق المعلوم، اضطرارًا مع عدم إمكان الترافع إلى الفقيه العدل.

ولكن يظهر أن هذه المبادئ التي وضعها الزنادقة لم تجد القبول لدى بعض أتباعهم، لأنه يجد في ظل قضاة المسلمين العدل والإنصاف ما لا يجد عند قومه، وقد اعترف بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال له: أنتم (يعني أهل السنة) تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا.

وقد اشتكى بعض رجالهم لإمامه بأنهم يجدون عند أهل السنة كثرة الأمانة، وحسن الخلق، وحسن السمت، ويجدون على الضد من ذلك في الشيعة فيغتمون لذلك.

العنصر السادس: تكفيرهم أئمة المسلمين وعلماؤهم.

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك "عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إنّا نأتي هؤلاء المخالفين. فنسمع منهم الحديث يكون حجّة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة"

وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: "يا سدير فأريك الصّادّين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثّوري في ذلك الزّمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصّادّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال النّاس، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم".

فيبدوا أن الغيظ أخذ من هؤلاء الباطنيين مأخذه، وهم يرون أئمة أهل السنة يعلمون الناس القرآن والسنة، ويدعون إلى دين الإسلام والناس مقبلون عليهم، ينهلون من علمهم ويأخذون

عنهم، فترى حلقهم في المسجد، عامرة بالرواد، مزدانة بالعلم، تغمرها السكينة، وتحفها الرحمة، وتغشاها الملائكة، وكان هؤلاء العلماء الأعلام للمتقين أئمة وقادة، وأولئك الباطنيون قد قبعوا في بيوتهم، لا يلتفت إليهم، ولا يحفل بهم، قد استولت عليهم الذلة، والمسكنة وباءوا بغضب الناس، واحتقارهم. فكانت أمنياتهم التي وضعوها على ألسنة أهل البيت للتغرير بالأتباع، ومحاولة إيجاد الفتنة والعزلة بين أهل البيت وأئمة المسلمين، كانت هذه الأمنيات تكفر أئمة المسلمين وتتمنى أن تخلو الأرض منهم لتتهيأ لهم الفرصة لتحقيق أغراضهم.

العنصر السابع: تكفيرهم الفرق الإسلامية.

ويخصون كثيرًا من الفرق الإسلامية بالتكفير والطعن، ولا سيما أهل السنة والذين يلقبونهم حينًا بالنواصب، وأحيانًا بالمرجئة. جاء في الكافي: "عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية، وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء".

ويعنون بالمرجئة أهل السنة، ولهذا تجد شيخهم المجلسي يشرح حديثهم الذي يقول: "اللهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة". ويرجح أن المراد بالإرجاء في هذا النص تأخير عليّ عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة.

ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من الشيعة نالهم من الذم والتكفير مالا يخطر بالبال. قالوا –مثلاً –عن الزيدية عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدّق عليهم بشيء ولا تسقهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصاب.

وفي الكافي "عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه: إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي ولا بدّ من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية

من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره هو المكذّب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إنّ هذا نصب لك، وهذا الزّيدي نصب لنا".

ولم يشفع للزيدية عندهم أنهم "دعوا إلى ولاية علي"، وكانوا شيعة: لأنهم "خلطوها بولاية أبي بكر وعمر"، وهذا عندهم ذنب لا يغفر، بل إن مجرد محبة أبي بكر عندهم هي من الكفر. جاء في البحار "عن أبي علي الخراساني عن مولى لعليّ بن الحسين عليه السّلام قال: كنت معه عليه السّلام في بعض خلواته فقلت: إنّ لي عليك حقًّا ألا تخبرني عن هذين الرّجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران كافر من أحبّهما".

وعدوا مجرد الاعتقاد بإمامة أبي بكر وعمر من النصب الذي هو أعظم الكفر عندهم. ولهذا قال الملجسي: "قد يطلق الناصب على مطلق المخالف غير المستضعف كما هو ظاهر من كثير من الأخبار". وقال أيضًا: "لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه أو اعتزال أو خارجية أو إنكار إمامة إلا للتقية، فإن فعل (يعني صلى عليه تقية) لعنه بعد الرابعة".

وقد قال المفيد بأن كل أهل البدع كفار، ولهذا عقد المجلسي بابًا بعنوان: "باب كفر المخالفين والنصاب".

وقال المجلسي: "كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية، والواقفة".

وهذه الفرق التي يذكر كلها شيعة، فما بالك بمن دونهم -في رأيهم.- بل إن رجال الاثني عشرية يكفر بعضهم بعضًا، استمع إلى ما يرويه الكشي، ويوافقه عليه شيخ طائفتهم الطوسي، عن حال أصحابهم من التكفير والاختلاف والتنابذ، حيث يقول في روايته بأنه في سنة (190هـ) اجتمع ستة عشر رجلاً في باب أبي الحسن الثاني، فقال له أحدهم ويدعى جعفر بن عيسى: "يا سيدي، نشكو إلى الله وإليك. ما نحن فيه من أصحابنا، فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرؤون منا، فقال: هكذا كان أصحاب

علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى: صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم" وقال يونس: "جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة". وهذا حال "رعيلهم الأول" الذين ينتسبون زورًا لأهل البيت، فما حال من بعدهم؟!

الدرس السادس: تابع التكفير عند الشيعة والرد عليهم

عناصر الدرس

العنصر الأول: تكفيرهم الأمة كلها

العنصر الثاني: استحلال الروافض من الشيعة دماء أهل السنة.

العنصر الثالث: الرد عليهم

العنصر الأول: تكفيرهم الأمة كلها.

ولعن الأمة الإسلامية وتكفيرها مما استفاض في كتب الشيعة، ولذلك فإن أدعية الزيارة والمشاهد التي يلهج بها الشيعة ويرددونها لا تخلو من لعن لهذه الأمة المباركة الوسط.

ففي زيارة أمير المؤمنين علي يقولون: "لعن الله من خالفك، ولعن الله من افترى عليك وظلمك، ولعن الله من غصبك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله منهم بريء، لعن الله أمة خالفتك. وأمة جحدتك، وجحدت ولايتك، وأمة تظاهرت عليك، وأمة حادت عنك وخذلتك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورد، وبئس ورد الواردين. اللهم العن الجوابيت والطواغيت والفراعنة، واللات والعزى، وكل ند يدعى دون الله، وكل مفتر، اللهم العنهم وأشياعهم وأتباعهم، وأولياءهم، وأعوانهم، ومحبيهم لعنًا كثيرًا". وهذه اللعنات التي تجري على ألسنة هؤلاء مكان التسبيح والتهليل لها آثارها في تعبئة نفوسهم حقدًا وكراهية للأمة ودينها.

والأمة عند هؤلاء الروافض لها ألقاب وشناعات وخواص لا توجد في كتب طائفة من الطوائف، لا لشيء إلا لأن الأمة ارتضت من رضيه الصحابة والمهاجرون لهم خليفة.

فهي أحيانًا تقذف الأمة الإسلامية جميعًا وتتهمها بالفجور، وحينًا تدعي بأنهم كلهم أولاد زنا، ولذلك فإنهم يوم القيامة يظهرون على حقيقتهم فيدعون بأسماء أمهاتهم، ومرة تقول بأنهم خلق منكوس وهم ليسوا من البشر، بل هم قردة وكلاب وخنازير، ولهم أقوال ولعنات في الأمة كثيرة منكرة.

هذه نصوص الاثني عشرية لم تدع أحدًا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وتناولته بالطعن والتكفير، وخصت بذلك صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار وأهل البيت النبوي، والأمصار الإسلامية وأهلها، والفرق الإسلامية، وأمة محمد وتلعن الجميع في دعواتها وصلواتها

وزياراتها، فهل استثنت الشيعة أحدًا؟ نعم، إنها استثنت الفئة التالية ودافعت عنهم وأثنت عليهم.

الفئة التي تستثنيها الشيعة من عموم اللعن والتكفير للأمة:

وإذا كفرت الاثنا عشرية الصحابة والقرابة، والخلفاء، والقضاة، والأئمة والفرق الإسلامية بما فيها فرق من الشيعة. فمن تثني عليه؟ لقد رأيتها تثني على أقزام التاريخ، وحثالة البشر، بل تمدح وتدافع عن الكفرة الملحدين، والزنادقة والمنافقين، (والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف).

فهي تدافع عن المرتدين كأصحاب مسيلمة الكذاب، وعن الزنادقة: كالمختار بن أبي عبيد، والنصير الطوسي، وعن الكذابين والمفترين كجابر الجعفي، وزرارة بن أعين، وعن المجوس الحاقدين مثل أبي لؤلؤة المجوسي –قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه –حتى إنها تسميه بابا شجاع الدين.

كما تتلقى دينها عن الكفرة الذين يعتقدون في كتاب الله النقص والتحريف وفي صحابة رسول الله الكفر والردة: كإبراهيم القمي، والكليني وأمثالهما وتجعل منهم ثقات دينها، وعمدة رواياتها.

العنصر الثاني: استحلال الروافض من الشيعة دماء أهل السنة.

الشيعة يبيحون قتل أهل السنة بناء على فتاوى مشايخ الشيعة التي تكفر أهل السنة.

فيقول **نعمة الله الجزائري** بعد أن بين معنى الناصب: "والثاني في جواز قتلهم واستباحة أموالهم، قد عرفت أن أكثر الأصحاب ذكروا للناصبي ذلك المعنى الخاص في باب الطهارة والنجاسات وحكمه عندهم كالكافر الحربي في أكثر الأحكام، وأما على ما ذكرناه له من التفسير فيكون

الحكم شاملا كما عرفت. روى الصدوق طاب ثراه في العلل مسندا إلى داود بن فرقد قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام، ما تقول في الناصب؟ قال: حلال الدم لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال خذه ما قدرت".

ويقول **حسين الدرازي البحراني**: "أن الأخبار الناهية عن القتل وأخذ الأموال منهم -يقصد أهل السنة-، إنما صدرت تقية أو منا كما فعل علي عليه السلام بأهل البصرة. فاستناد شارح المفاتيح في احترام أموالهم إلى تلك الأخبار غفلة واضحة لإعلانها بالمن كما عرفت. وأين هو عن الأخبار التي جاءت في خصوص تلك الإباحة مثل قولهم عليهم السلام في المستفيض خذ مال الناصب أينما وقعت ادفع لنا الخمس، وأمثاله، والتحقيق في ذلك كله حل أموالهم ودمائهم في زمن الغيبة دون سببهم حيث لم تكن ثمة تقية وإن كل جاء عليهم السلام بالأمر بالكف فسبيله التقية أو خوفا على شيعتهم

ويقول شيخهم المفيد حاكياً إجماع الشيعة في موقفهم تجاه المخالفين: "اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار). أوائل المقالات.

ويقول **علامتهم المحقق عبد الله شبر**، مبيِّناً حكم جميع الفرق الإسلامية -حتى المسالمة منها- عند علماء الشيعة، فيقول: (وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب و لم يعاند و لم يتعصب، فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخر، والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة).

وقال شيخهم العلامة **نعمة الله الجزائري** مبيناً حقيقة حجم الخلاف -كما يراه هو- بين الشيعة والسنة: " لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم

هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا".

وقال الخميني عن أهل السنة: "غيرنا ليسوا بإخواننا وان كانوا مسلمين، فلا شبهة في عدم احترامهم بل هو من ضروري المذهب كما قال المحققون، بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقيعة فيهم، بل الأئمة المعصومون، أكثروا في الطعن واللعن عليهم وذكر مساوئهم".

ثم أورد الخميني هذه الرواية: عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم. فقال: "الكف عنهم أجمل. ثم قال: يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغاة –أي أولاد زنا–ما خلال شيعتنا". فقال الخميني معلقاً على تلك الرواية: "الظاهر منها جواز الافتراء والقذف عليهم".

وقال **الشيخ الأنصاري:** (ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن –أي الشيعي–فيجوز اغتياب المخالف، كما يجوز لعنه).

وقول **الشيخ الصادق الموسوي** معلقاً على رواية منسوبة للسجاد: "إن الإمام السجاد يجيز كل تصرف بحق أهل البدع، من قبيل البراءة منهم وسبهم وترويج شائعات السوء بحقهم والوقيعة والمباهته، كل ذلك حتى لا يطمعوا في الفساد في الإسلام وفي بلاد المسلمين وحتى يحذرهم الناس لكثرة ما يرون وما سمعون من كلام السوء عنهم هكذا يتصرف أئمة الإسلام لإزالة أهل الكفر والظلم والبدع فليتعلم المسلمون من قادتهم وليسيروا على منهجهم".

العنصر الثالث: الرد عليهم

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف.

ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: "لا يغلّ قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كان قلبه على المسلمين أغلّ". فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة من الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟!

ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص على إمامة علي وبايعوا أبا بكر، وقد مضى بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة. وما بني على الباطل فهو باطل.

ولقد كان حكمهم بردة ذلك "الجيل القرآني الفريد" من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الرفض من أساسه، وأنه إنما وضع أصوله شرذمة من الزنادقة، وبطلان هذه المقالة معروف بداهة، ولذلك قال أحمد الكسروي (الإيراني والشيعي الأصل) : "وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله ثم ناصروه في حروبه، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم، ثم أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب.

ومع وضوح بطلان مذهبهم -كما ترى -لمخالفته للشرع والعقل والتاريخ، وما علم من الإسلام بالضرورة، فإنه لابد من وقفة ولو سريعة في الرد عليه؛ لأنه وجد في الماضي ويوجد اليوم من يتجاهل الدلائل والبراهين في ذلك، وحسبك أن تعرف أن أحد آيات الشيعة في هذا العصر، ومن يرفع شعار الوحدة الإسلامية، ويرددها في نشراته وخطبه ورحلاته. وهو شيخهم محمد الخالصي قد كتب رسالة للشيخ محمد بهجة البيطار في تاريخ 26 ربيع الأول سنة 1382ه ـــيقول فيها: "لم أذكر الصحابة بخير لأني لا أريد أن أتعرض لعذاب الله وسخطه بمخالفتي كتابه وسنته في مدح من ذمه الكتاب والسنة، والإطراء على من قبح أعماله القرآن المجيد، والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وغاية ما كنت أكتبه وأقوله هو أن كتاب الله وسنته لم تذكر الصحابة بخير، ولا تدل على فضل لهم لأنهم صحابة".

فالخالصي هنا لا يذكر الصحابة بخير مع تواتر النصوص في فضلهم، ولكنه يقول عن أئمته: إن "الأئمة الاثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم". مع أن الاثني عشر لا ذكر لهم ولا لإمامتهم أصلاً في كتاب الله سبحانه. فانظر كيف يكذبون بالحقائق الواضحات، ويصدقون بالكذب الصريح.

وإذا كان الأمر وصل إلى هذا الحد فإننا نسوق الأدلة والبراهين على نقض مذهب الرافضة، وبيان فضل الصحابة من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة، والتاريخ، والعقل، والأمور المعلومة المتواترة. ونكشف -من خلال كتب الشيعة نفسها -مؤسس وواضع هذه العقيدة في المذهب الشيعي.

وهو بالتالي نقض لمذهبهم في تكفير الأمة جميعًا، لأن السبب الذي كفروا به الصحابة هو السبب بعينه الذي كفروا به سائر المسلمين، ولكن الصحابة -رضوان الله عليهم -يختصون بالمزيد من السب واللعن والتكفير قديمًا وحديثًا بهدف إبطال الشريعة التي ينقلونها للأمة.

أولًا: القرآن الكريم:

لقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عنهم، وأثنى الله عليهم في آيات كثيرة جلية واضحة، لا نحتاج لمعرفة معناها إلى تأويل باطني كحال الشيعة في تأويل آيات القرآن بالاثني عشر، قال جل شأنه: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

"وكفى فخرًا لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس، فإنهم أول داخل في هذا الخطاب، ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته". ولهذا جاء تأويلها عن السلف بأقوال "مقتضاها أن الآية نزلت في الصحابة، قال الله لهم كنتم خير أمة". وقال سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

فالآية صريحة الدلالة على رضاء الله سبحانه عن المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم، والخلود في جنات النعيم، ولهذا قال ابن كثير عند هذه الآية: "فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم". وقال سبحانه: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}.

قال ابن حزم: "فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة". "والذين بايعوا تحت الشّجرة بالحديبيّة عند جبل التّنعيم. كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن

العمرة. وهؤلاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ولقد خاب وخسر من رد قول ربه أنه رضي عنه المبايعين تحت الشجرة، وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير وعمارًا والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم من أهل هذه الصفة، وقد انتظمت الخوارج والروافض البراءة منهم خلافًا لله عز وجل وعنادًا.

وقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

فانظر إلى عظيم مقام الصحابة، حيث أثنى الله عليهم بهذه الأوصاف، وأخبر أن صفتهم مذكورة في التوراة والإنجيل، حتى ذكر بعض أهل العلم أنّ ظاهر هذه الآية يُوجب أنّ الرّوافض كفّار؛ لأنّ في قلوبهم غيظًا من الصّحابة وعداوة لهم، والله يقول: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}، فبيّن أنّ من كان في قلبه غيظ منهم فهو من الكفّار. وقال تعالى: {لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}.

وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ}.

فجاء النص أن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم فقد وعده الله تعالى بالحسنى، وقد نص الله سبحانه: {إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. وصح بالنص أن كل من سبقت له من الله تعالى الحسنى، فإنه مبعد عن النار لا يسمع حسيسها، وهو فيما اشتهى خالد لا يحزنه الفزع الأكبر، وليس المنافقون ولا سائر الكفار من أصحابه صلى الله عليه وسلم. وقال سبحانه: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.

وهذه الآيات تتضمّن الثّناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاًّ لهم، وتتضمّن أنّ هؤلاء الأصناف هم المستحقّون للفيء.

ولا ريب أن هؤلاء الرّافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسّابقين، وفي قلوبهم غلّ عليهم. ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة، والآيات في هذا الباب كثيرة.

ثانيًا: السنة المطهرة.

وكتب السنة مليئة بالثناء على الصحب، وبيان فضلهم عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

1-فنصوص تثني عليهم جميعًا كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا

نصيفه".

وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،» ، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرني أو ثلاثة".

2-ونصوص تثني على جماعات منهم على سبيل التعيين كأهل بدر، وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وأصحاب الشّجرة أهل بيعة الرّضوان، وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النّار – إن شاء الله – من أصحاب الشّجرة أحد، الذين بايعوا تحتها"، وغيرهما.

3-ونصوص تثني على آحادهم وهي كثيرة ذكرها كتب الصحاح، والسنن والمسانيد. ولكن الشيعة قد رضيت لنفسها أن تنأى عن هذا المورد العظيم فهي لا تعرج في مقام الاستدلال عليها، ولا تحتج بها، ولا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها، كما أنه لا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما ينبغي أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به، سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه ولذا أكتفي في هذا المقام بالإحالة على الكتب الأمهات في أبواب فضائل الصحابة؛ ففيها أحاديث كثيرة في فضل الصحابة والثناء عليهم، والنهي عن سبهم وأقيم عليهم الحجة من كتبهم أيضًا، من أقوال الأئمة التي يعدونها كأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: ثناء الأئمة على الصحابة رضوان الله عليهم.

في الخصال لابن بابويه القمي: «عن أبي عبد الله قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفًا، ثمانية آلاف في المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطّلقاء، لم يرد فيهم قدري، ولا مرجئ، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون اللّيل والنّهار".

وفي البحار للمجلسي عن الصّادق عن آبائه عن علي عليه السّلام قال: "أوصيكم بأصحاب نبيّكم لا تسبّوهم، الذين لم يحدثا بعده حدثًا و لم يؤووا مُحدِثًا، فإنّ رسول الله أوصى بهم الخير".

وفي البحار أيضًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني".

وعن موسى بن جعفر (إمامهم السّابع) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :أنا أمنة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمّتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدّين ظاهرًا على الأديان كلّها ما دام فيكم من قد رآني".

وفي معاني الأخبار لشيخهم ابن بابويه القمي (الصدوق) : "عن جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل، وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدي، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم (ثم زاد دعاة التفرقة على هذا النص الزيادة التالية) فقيل: يا رسول الله، ومن أصحابك؟ قال: أهل بيتي".

ولا شك أن تفسير الصحابة بأهل البيت فقط بعيد جدًا، وقد لاحظ صدوقهم هذا البعد فعقب على النص السالف بقوله: "إن أهل البيت لا يختلفون، ولكن يفتون الشيعة بمر الحق، وربما أفتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة".

فهو هنا يحمل "النص الذي يثني على الصحابة" على التقية، والعقل والمنطق يعترض على هذا "التأويل" فلم يكون الثناء على الصحابة الذي أثنى عليهم الله ورسوله، وشهد التاريخ بفضلهم وجهادهم تقية، ويكون السب لهم هو الحقيقة وهو مذهب الأئمة؟ إنه لا دليل لهم على هذا المذهب سوى أنه يتمشى مع منطق أعداء الأمة.

ثم إن النص السابق يرويه "جعفر الصادق" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل رسول الله يكذب على الأمة –تقية –أو أن جعفرًا يكذب على رسول الله من أجل التقية؟! وكلا الأمرين طعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ومخالفة صريحة للنصوص.

وفي نهج البلاغة يقول علي رضي الله عنه في أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما على اختلاف بين شيوخ الشيعة في ذلك: "لله بلاء فلان. فلقد قوم الأود، وداوى العَمَد، وأقام السّنّة، وخلف الفتنة، ذهب نقي الثّوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته واتّقاه بحقّه". وهذا نصّ عظيم يهدم كلّ ما بنوه وزعموه عن عداوة وصراع بين علي والشيخين رضي الله عنهم.

وقد احتار "الروافض" بمثل هذا النص؛ لأنه في نهج البلاغة وما في النهج عندهم قطعي الثبوت، وصور شيخهم ميثم البحراني. ذلك بقوله: "واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سؤالاً فقالوا: إن هذه الممادح التي ذكرها في حق أحد الرجلين تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه رضي الله عنه، وإما أن يكون إجماعنا خطأ".

ثم حملوا هذا الكلام على التقية وأنه إنما قال هذا المدح من أجل "استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام". أي: أن عليًا – في زعمهم – أراد خداع الصحابة، وأظهر لهم خلاف ما يبطن فهو خطب هذه الخطبة العامة أمام الناس، وهي مبنية على الكذب، هذا هو جواب من يزعم التشيع لعلي وما أعتقد أن عاقلاً يرضى هذا

"الجواب"، وإننا نقول بأن إجماع الشيعة ضلال، وقول علي هو الحق والصدق، وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

وقد يقول قائل: هذه النصوص المنقولة من كتبهم تناقض ما سلف من تكفير الشيعة للصحابة، وأقول: نعم، لأن هذا المذهب يحمل في رواياته هذه الصورة المتناقضة، لكن شيوخهم وضعوا أصولاً وأقوالاً نسبوها للأئمة للتخلص من هذه الأخبار، والخروج من هذا التناقض، فمن أصولهم أن هذا التناقض أمر مقصود لإخفاء حقيقة المذهب حتى لا يقضى على المذهب وأهله من قبل العامة (يعني أهل السنة).

وقالوا عند الاختلاف: "خذوا بما خالف العامة، فإن فيه الرشاد". ولذلك يحمل شيوخهم أمثال هذه الروايات على التقية، ولأنها روايات قليلة بالنسبة لأخبارهم الكثيرة التي تفكر وتلعن، فهم لا يأخذون بها، فمفيدهم يقول: "ما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر روايات المعمول به".

ولذلك تجد في تعقيب ابن بابويه إشارة إلى أن مدح الصحابة في الرواية التي ذكرها إنما هو على سبيل التقية، وكذلك في تعقيب ميثم.

وإذا كان الأمر كذلك فإني إنما ذكرت هذه الأخبار وأمثالها لإثبات تناقض المذهب أمام العقلاء، وتبصير من يريد الحق من أتباع المذهب إلى أن هذه الروايات هي الحقيقة لا التقية؛ لاتفاقها مع كتاب الله سبحانه وإجماع الأمة.

وبيان أن عقيدة التقية جعلت من المذهب ألعوبة بأيدي الشيوخ يوجهونه وفق إرادتهم، فلم يعد مذهب أهل البيت، إنما مذهب الكليني والقمي والمجلسي وأضرابهم.

رابعا: دلالة العقل والتاريخ وما علم بالتواتر وأجمع الناس عليه:

أولاً: قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة له وقربًا إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول صلى الله عليه وسلم كما قل:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال مالك وغيره: إنّما أراد هؤلاء الرّافضة الطّعن في الرّسول صلى الله عليه وسلم ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة.

ثانيًا: إن المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهرة، ومعلوم أن الشبهات والشهوات في أوائل الإسلام كانت أقوى، حيث كان الإسلام إذ ذاك قليلاً، والكفار مستولون على عامة الأرض، وكان المسلمون يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وهم صابرون على الأذى متجرعون لمرارة البلوى، وقد اتبعوه صلى الله عليه وسلم وهو وحيد فقير، ذليل خائف، مقهور مغلوب، وأهل الأرض يد واحدة في عداوته، وقد خرجوا من ديارهم وأموالهم وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعزة حبًا لله ورسوله.

وهذا كله فعلوه طوعًا واختيارً، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه؟! لاسيما والسبب الذي تكفرهم الرافضة من أجله وهو بيعة أبي بكر من دون علي، لا يوجد فيه ما يدفعهم إلى التضحية بإيمانهم، وخسارة سابقتهم وجهادهم وبيع آخرتهم من أجل أبي بكر، فما الذي حملهم على ذلك وهم يعلمون أنه كفر بربهم، ورجوع عن دينهم، وتركوا اتباع قول رسول الله في بيعة علي بن أبي طالب، وقد علموا أنها طاعة نبيهم، والثبات على دينهم، هل يعقل أن يطيع المهاجرون والأنصار أبا بكر في الكفر بالله، ويتركوا اتباع قول رسول الله في علي؟ وهم الذين خرجوا من ديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون.

ثالثًا :إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق والقرآن حق، وإنا أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة".

ولذلك اعترفت كتب الشّيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت إنه: "أوّل من أظهر الطّعن في أبي بكر عمر وعثمان والصّحابة، وتبرأ منهم، وادّعى أنّ عليًّا عليه السّلام أمره بذلك".

رابعًا :أنّ عليًّا رضي الله عنه لم يكفّر أحدًا ممّن قاتله حتى ولا الخوارج، ولا سبى ذرية أحد منهم، ولا غنم ماله، ولا حكم في أحد ممن قاتله بحكم المرتدين كما حكم أبو بكر وسائر

الصحابة في بني حنيفة وأمثالهم من المرتدين، بل كان يترضى عن طلحة والزبير وغيرهما ممن قاتله، ويحكم فيهم وفي أصحاب معاوية ممن قاتله بحكم المسلمين، وقد ثبت بالنّقل الصّحيح أنّ مناديه نادى يوم الجمل :لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ولا يغنم مال. واستفاضت الآثار أنه كان يقول عن قتلى عسكر معاوية: إنهم جميعًا مسلمون ليسوا كفارًا ولا منافقين وهذا ثبت بنقل الشّيعة نفسها، فقد جاء في كتبهم المعتمدة عندهم: "عن جعفر عن أبيه أنّ عليًّا – عليه السّلام – لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا".

ولكن عقيدة التقية عندهم تجعل دينهم دين الشيوخ لا دين الأئمة، فقد قال الحر العاملي في التعليق على النص السابق: "أقول: هذا محمول على التّقية".

وجاء في كتاب علي إلى أهل الأمصار يذكر فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: "وكان بدء أمرنا التقينا والقوم من أهل الشّام، والظّاهر أنّ ربّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتّصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء".

وقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: "إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم". فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة.

خامسًا" :إن الذين تستثنيهم الرافضة من حكمها بالردة كسلمان وعمار والمقداد، إنما استثنتهم لأنهم بزعمها على مذهب الرفض من تفكير أبي بكر وعمر، وإنكار بيعتهما، وهذا من جملة نصب الرافضة وتلبيسهم؛ لأنه لم يعهد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما منازع في إمامتهما

لا هؤلاء ولا غيرهم. وهذا سلمان كان أميرًا على مدائن كسرى من قبل عمر يدعو إلى إمامته وطاعته. وهذا عمّار كان أميرًا من قبل عثمان –رضي الله عنه –على الكوفة، وهذا المقداد وغيره كانوا في عساكر الصّحابة وغزواتهم فكيف يمشي تلبيس الرافضة".

سادسًا :من المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ وأحداثه المعلومة المستفيضة حال الصحابة رضوان الله عليهم، وأنهم لم يؤثروا على الله شيئًا، وبلغ المكروه بهم كل مبلغ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيد الله تعالى بهم نبيه، وأظهر بهم دينه، فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره؟ أم كيف يجترئ على سبهم وانتقاصهم من يزعم أنه مسلم ؟ ولهذا قال الخطيب البغدادي: "على أنه لو لم يرد من الله عز وجل فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم".

ومن يراجع أحداث السيرة وما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه من أذى واضطهاد، حتى رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحملوا اضطهاد قريش في بطحاء مكة، وقاسوا مرارة المقاطعة وشدة الحصار في الشعب، وعانوا من فراق الوطن والأهل والعشيرة فهاجروا إلى الحبشة، والمدينة، وقاموا بأعباء الجهاد وتضحياته، وحاربوا الأهل والعشيرة، إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم من حالهم.

من يتأمل شيئًا من هذه الأحوال، يعرف عظمة ذلك الجيل، وقوة إيمانه، وصدق بلائه.

سابعًا :قامت القرائن العملية، والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع ونقله حتى الروافض ما يثبت المحبة الصادقة، والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم. وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر. فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الاثني عشرية أشد كفرًا من إبليس، أفلا

يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبهم؟! إذ لو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافرًا أو فاسقًا معرضًا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض.

والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في تشيعه لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه –وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله –: "إن عليًا – عليه السلام – زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد كثيرًا من المظالم وبكى حتى غشي عليه". لشعوره بعظيم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغترًا بشبهات الروافض.

وقد حاول شيوخ الشّيعة إبطال مفعول هذا الدّليل فوضعوا روايات الأئمّة تقول" :ذلك فرج غصبناه"، فزادوا الطين بلة، حيث صوّروا أمير المؤمنين في صورة "الدّيّوث" الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي؟! "إنّ أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب؟".

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أنّ أم كلثوم لم تكن بنت علي ولكنّها جنّيّة تصوّرت بصورتها.

ومن القرائن أيضًا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إنّ عليًّا والحسن والحسين يسمّون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته، يرددها مع أهلها في يومه مرات وكرات؟

الدرس السابع : ولاية الفقيه

عناصر الدرس

العنصر الأول: تعريف ولاية الفقيه ومراحل وتطورها.

العنصر الثاني: نقد ولاية الفقيه.

العنصر الثالث: أثر قول الخميني بولاية الفقيه عند الشيعة.

العنصر الأول: تعريف ولاية الفقيه ومراحل وتطورها.

أولا: تعريف ولاية الفقيه

جاء تعريف ولاية الفقيه عند بعض علماء الشيعة بأنها: (قيام الفقيه الجامع لشروط الفتوى والقضاء مقام الحاكم الشرعي، وولي الأمر، والإمام المنتظر في زمان غيبته: من أجاء السياسات، وسائر ما له من أمور بالجهاد الابتدائي، وهو فتح بلاد الكفر بالسلاح، مع خلاف في سعة الولاية وضيقها) ، فالفقيه هو النائب عن الإمام المنتظر في أمور عديدة: من قضاء، ودفع الخمس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، على خلاف بينهم في ذلك؛ حيث مرت هذه الولاية عبر سنوات ومراحل عند الشيعة سأذكر أهمها بإيجاز.

ثانيا: مراحل تطور ولاية الفقيه في الفكر الشيعي:

لقد مرت نظرية ولاية الفقيه بعدة مراحل في الفكر الشيعي، ومن أهم هذه المراحل:

المرحلة الأولى: السراء في عصر الغيبة الصغرى:

كانت بدايات ظهور نظرية ولاية الفقيه في عصر الغيبة الصغرى، متمثلة في أشخاص السفراء الأربعة الذين كانوا –كما يزعمون – نوابا للإمام المهدي؛ فهم الواسطة بينه وبين الناس فيما يريد تبليغهم إياه، وهؤلاء السفراء الأربعة هم بإيجاز:

1–عثمان بن سعيد العمري، وكانت سفارته من سنة 260هـ حتى سنة 265 هـ، تقريبا، وقد قام بدوره سفيرا للإمام المنتظر – كما تزعم الشيعة – في سرية تامة، فقد كان (يتجر بالسمن تغطية على الأمر)، ويأخذ الأموال التي تدفع له باسم الخمس وحق أهل البيت فيضعها (في جراب السمن وزقاقه نقية وخوفا)

ومن العجيب أن الشيعة تزعم أنها لا تقبل إلا قول معصوم وترفض الإجماع بدون معصوم، وهي هنا تقبل – في أهم ما تعتقده – دعوى رجل واحد غير معصوم، وقد ادعى مثل دعواه

آخرون، كل واحد يزعم أنه الباب للغائب، وكل واحد يخرج توقيعا يزعم أنه خرج من المنتظر الغائب، ويتضمن لعن الآخر وتكذيبه، وقد ذكر الطوسي وغيره أسماءهم تحت عنوان: (ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية، لعنهم الله).

2-محمد بن عثمان بن سعيد العمري، وكانت مدة سفارته من سنة 265 هـ، وحتى سنة 305 هـ، فقد تولى البابية (نحوا من خمسين سنة، يحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسين عليه السلام إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة).

3-الحسين بن روح النوبختي، وكانت مدة سفارته من سنة 305 هـ، وحتى سنة 326 هـ، وقد كان البابية والنواب عن الإمام المنتظر يفرضون لأنفسهم القداسة ووجوب الطاعة، وإلا كان خطر اللعن والغضب منهم، ويشهد لذلك: أنه عندما تردد أحدهم في تسليم أمواله إلى الحسين بن روح، غضب منه الباب محمد بن عثمان، وقال له: ما الذي جراك على الرجوع، ولم تمتثل ما قلته لك؟ فقال له: (لم أجسر على ما رسمته لي).

إلا أن الباب أجابه وهو غاضب: (قم عافاك الله كما أقول لك)، فقال الرجل: (فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرت إلى أبي القاسم بن روح وهو في دار ضيقة فعرفته ما جرى، فسر به وشكر الله عز وجل ودفعت إليه الدنانير وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك من الدنانير).

4-علي بن محمد السمري، وكانت مدة سفارته من سنة 326 هـ، وحتى سنة 329 هـ، وبه انتهت مرحلة السفراء، حيث سئل عند موته أن يوصي، فقال: (لله أمر هو بالغه).

وقد كانت هناك نزاع بين الشيعة فيمن يكون هو الباب عند الإمام المنتظر؛ حتى يظفر بالأموال الكثيرة من السذج من الناس! وممن اعترف بذلك: محمد بن علي الشلمغاني، فقد ادعى النيابة عن المهدي، ونافس ابن روح عليها، فلم يستطع أن يظفر بها، ففضحهم، فقال:

(ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما نتهارش الكلاب على الجيف).

وعقب أحمد الكروي (وهو شيعي الأصل)، فقال: (لقد صدق فيما قال، فإن التخاصم لم يكن غلا لأجل الأموال! كان الرجل يجمع الأموال ويطمع فيها فيدعي البابية لكيلا يسلمه إلى آخر).

وبإعلان السفير الرابع: علي بن محمد السمري عن انتهاء الغيبة الصغرى بدأت مرحلة أخرى من محال النيابة والولاية عن الإمام الغائب، وهي مرحلة الغيبة الكبرى التي تطورت فيها ولاية الفقيه.

المرحلة الثانية: فتح باب الاجتهاد:

بموت السفير الرابع سنة 329 هـــ، بدأت الغيبة الكبرى لإمامهم المنتظر، وبإعلان الغيبة الكبرى؛ أصبحت المسؤولية التي وضعت للإمام من تنفيذ أوامر الله كما يزعمون متوقفة؛ لاختفائه وانقطاع السفراء بينه وبين الناس؛ فكان محرما على الشيعة تجاوز الإمام، والتعدي على اختصاصاته، ومن ذلك ما يعرف عند الشيعة بالولايات السبع وهي:

1-الولاية على أموال القصر والصغار ممن لا ولي لهم.

2-الولاية على أخذ الخمس، والزكاة، والأوقاف العامة وصرفها في مواردها.

3-الولاية على إجراء الحدود الخارجية عن منصب القضاء.

4-الولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتوقف على ضرب أو جرح أو قتل أحيانا.

5-الولاية على الحكومة والسياسة وتنظيم البلاد، وحفظ الثغور والدفاع ضد الأعداء، وكل ما يرتبط بالمجتمع والمصالح العامة التي يتوقف عليها.

6-الولاية على الأموال والنفوس مطلقا.

7-الولاية على التشريع بأن يكون له حق وضع القوانين وتشريعها بحسب ما يراه من المصالح.

فهذه الولايات السبع كان يتوقف فعلها على وجود الإمام الغائب المنتظر؛ وهو ما أحدث حالة ركود وجمود عند الشيعة بسبب تعطل هذه الأحكام، وذلك ما جعل بعض علماء الشيعة يلجؤون إلى فتح باب الاجتهاد في بعض المسائل الجديدة على الساحة الشيعية، ومن ضمن ما استندوا إليه رواية تنسب إلى إمامهم المنتظر أنه قال: (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم)، لكن اجتهادهم كان محدودا في بدايته بسبب وجود معارضة من قبل العديد من علماء الشيعة؛ حيث يعدون هذا الاجتهاد تدخلا في خصوصيات الأئمة؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن التشريعات الجديدة إنما هي خاصة بالأئمة وحدهم، فجاء الاجتهاد أيضا على مراحل، لعل من أبرزها:

1-كان من أوائل من فتح باب الاجتهاد: الحسن بن عقيل العماني، ويعد أول من هذب الفقه واستعمل النظر، وفتق البحث عن الأصول والفروع من بداية الغيبة الكبرى، ويعد كتابه: (المتمسك بحبل آل الرسول صلى الله عليه وسلم)، من أوائل الكتب التي اتجهت إلى استنباط الفروع والأحكام من الأصول الموجودة في الأحاديث لديهم.

في حين يرى بعض من الشيعة أن من أقدم من تجاوز متون الأحاديث إلى الاستنباط منها للحاجة إلى ذلك، هو الطوسي في كتابه: (المبسوط والخلاف في الفقه).

2-بعد ذلك، أعلن بعض علماء الشيعة جواز تولي الفقيه لإقامة الحدود والقضاء من قبل سلاطين الجور، وأن هذا التنصيب وهذه الولاية إنما هي من الإمام المنتظر.

ويؤكد ذلك أحمد الكاتب، فيقول عن بعض علماء الشيعة: (كانت آراؤهم هذه في باب الحدود متميزة عن آرائهم في الأبواب الأخرى التي كانوا يلتزمون فيها بنظرية التقية والانتظار،

وكانت وسيلة كبرى ساعدتهم على الخروج من سائر الموافق الأخرى، وكانت فرضية النيابة الحقيقية التي اقترح بعض العلماء افتراضها عند إجبار الحاكم الظالم للفقيه أو لغيره على إقامة الحدود قاعدة أساسية لتطوير نظرية النيابة العامة وولاية الفقيه فيما بعد).

وكان شيخهم المفيد من أوائل من ذكر أن الفقيه العادل من الشيعة إذا نصبه السلطان الجائر، فله أن يقبل هذا المنصب؛ لأنه في الحقيقة من صاحب الزمان الإمام المنتظر؛ حيث أكد ذلك بقوله: (فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله تعالى وهم أئمة الهدي من آل محمد عليهم السلام، ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان، ومن تامر على الناس من أهل الحق بتمكين ظالم له وكان أميرا من قبله في ظاهر الحال؛ فإنما هو أمير في الحقيقة من قبل صاحب الأمر الذي سوغه ذلك وأذن له فيه دون المتغلب من أهل الضلال).

3-ثم تطور الفكر الشيعي وتوسع؛ فجاء من علمائهم من يجيز إقامة الفقيه للحدود من غير إجبار لأحد، ومن أشهر من قال بذلك: ابن مطهر الحلي، واحتج لذلك بأن للفقهاء الحكم بين الناس، فكان إليهم إقامة الحدود، ولأن تعطيل الحدود فيه مفاسد عدة.

4-بعد ذلك تجاوزت الولاية مسألة إقامة الحدود إلى ما هو أوسع من ذلك:

كالنيابة عن الإمام في دفع الزكاة والخمس، وصلاة الجمعة، فنجد شيخهم المفيد يوجب دفع الزكاة للفقهاء، فيقول: (فإذا عدم السفراء بينه وبين رعيته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته؛ لأن الفقيه أعرف بموضعها ممن لا فقه له في ديانته).

وقد كانت طريقة دفع الخمس عند الشيعة على عدة مراحل:

الخطوة الأولى: تتمثل بوجوب الخمس في عصر الغيبة مع القول بدفنه، أو الاحتفاظ به حتى ظهور المهدي، أو الإيصاء به من واحد إلى واحد حتى موعد الظهور.

والخطوة الثانية هي: القول بتسليم الخمس إلى الفقهاء للاحتفاظ به حتى وقت ظهور الإمام.

ثم بعد ذلك قالوا بجواز قيامهم بتوزيعه بأنفسهم على المحتاجين.

أما صلاة الجمعة، فقد حرم عدد من علماء الشيعة إقامتها بدون حضور الإمام المنتظر، ثم في القرن السابع والثامن الهجريين قالوا بجواز إقامة الفقهاء للجمعة؛ باعتبارهم نوابا عامين لإمامهم المهدي.

المرحلة الثالثة: دور «الكركي والنواقي» في تطوير ولاية الفقيه:

لقد تطورت فكرة ولاية الفقيه تطورا وضاحا عند الكركي، والنراقي، ويتضح ذلك بعرض موجز لما قدمه كل منهما في تطوير هذه النظرية:

1-الكركي:

لقد تهيأت الظروف للكركي لنشر المذهب الشيعي وآرائه الفقهية، وذلك بعد أن استدعته الدولة الصفوية التي أعلنت المذهب الإمامي مذهبا رسميا، واحتاجت لمن يدعو لهذا المذهب وينشر أفكاره، فاستعانت به، ويظهر ذلك عندما دعاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل الصفوي للمشاركة معه في الحكم ووجوب طاعته، وأصدر قرارا بذلك، قال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم: حيث إنه يبدو ويتضح من الحديث الصحيح النسبة إلى الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول فيه: انظروا إلى من كان قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا؛ فارضوا به حكما؛ فإني قد جعلته عليكم حاكما؛ فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه؛ فإنما يحكم الله استخف، وعلينا رد، وهو راد على الله وهو على حد الشرك بالله، واضح أن مخالفة

حكم المجتهدين الحافظين لشرع سيد المرسلين هو والشرك في درجة واحدة؛ لذلك فإن كل من يخالف حكم خاتم المجتهدين، ووارث علوم سيد المرسلين نائب الأئمة المعصومين لا زال اسمه العلي عليا عاليا، ولا يتابعه؛ فإنه لا محالة ملعون مردود وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤاخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة).

فبدأ المحقق الكركي في تطبيق النيابة العامة عن الإمام المنتظر بعد هذا القرار الذي أصدره الشاه طهماسب بوجوب طاعته، والحذر من مخالفته فأكد الكركي على ذلك في العديد من مؤلفاته، ومما جاء عنه في التأكيد على أن لنائب الإمام الحق في إصدار الأحكام، ووجوب العمل بها؛ لأنه نائب من قبل إمامهم المنتظر، وكل ما يقوله حق يجب اتباعه، مما جاء في ذلك قوله: (اتفق أصحابنا رضوان الله عليهم على أن الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى، المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية، نائب من قبل أئمة الهدي صلوات الله وسلامه عليهم في حال الغيبة في جميع ما للنيابة فيه مدخل.... فيجب التحاكم إليه والانقياد إليه حكمه).

وبهذا يكون الكركي قد أسس لشرعية سياسية بتدخل العلماء في السلطة والسياسة، بل كسر الحاجز الذي كان بين الفقيه والحاكم في الفقه الإمامي؛ وذلك تطبيقه ولاية الفقيه، ولو بشكل محدود عمليا، وهذا ينفي فكرة: أن الخميني هو أول مفكر شيعي يوفق في تطبيق نظرية ولاية الفقيه عمليا، في حين يرى بعض الباحثين أن: قيام دعوة واضحة وصريحة لتسلم الفقيه المجتهد زمام السلطة الكلية للدولة نيابة عن الإمام الغائب لم تحدث إلا على يد الخميني.

2- النراقي:

للنراقي السبق في بث التفكير لدى فقهاء الشيعة عن كيفية وطريقة إقامة دولة إسلامية يتزعمها ويقوم بها الفقيه الجامع للشروط؛ فقد ساهم في ذلك عندما حمل الفقيه في بحثه مسؤولية الولاية التي كانت للمعصوم، وعدة نائبه، واستشهد لذلك بالأدلة العقلية والنقلية التي تثبت نظريته في ولاية الفقيه، ويمكن القول: إن التنظير الذي قام به المحقق النراقي لولاية

الفقيه، وما تبعه من بحوث ومناقشات حول هذه المسألة: قد مهد للخميني أن يتقدم في نقله كبرى، وهي السعي الجاد لإقامة حكومة إسلامية يتزعمها الفقيه العادل فضلا عن التنظير لها والاستدلال عليها، ونجد أن النراقي يعد أول من أفرد مسألة ولاية الفقيه تحت عنوان مستقل؛ وهو ما جعل من جاء بعده يهتم بالمسألة وبحثها؛ فقد استطاع تحقيق نقلة نوعية في صياغة نظام الحكم عصر الغيبة المتمثل بولاية الفقيه؛ فتعتبر محاولته خطوة متقدمة لتأسيس مشروع منهجي للبحث في نظام الدولة في الفقه الجعفري.

وقد ذكر النراقي وظيفة العلماء والفقهاء في أمرو الناس، وما لهم فيها من الولاية، وحددها بأمرين:

الأول: كل ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم والأئمة فهو للفقيه أيضا؛ إلا ما دل الدليل عليه من إجماع أو نص أو غيرهما.

الثاني: كل فعل متعلق بأمور العبادة في دينهم أو دنياهم لا بد من الإتيان به ولا مفر منه إمام عقلا أو عادة، فهو وظيفة الفقيه، وله التصرف فيه والإتيان به.

فنجد أن النراقي قد أعطي صلاحيات للفقهاء فشابههم حدا بولاية المعصوم عندهم.

وجعلهم حكاما في زمن الغيبة والنواب عن الأئمة، فالنراقي قد طور نظرية (ولاية الفقيه)، من كونها مرتبطة بإجازة الملوك كما عند الكركي إلى تصدي الفقهاء بأنفسهم للحكم، وتجاوز ما يسمى بـــ (نظرية الانتظار) والتخلي عنها.

هذه بإيجاز أهم مراحل ما يسمى بـــ (ولاية الفقيه)؛ حيث كانت بداياتها متمثلة في السفراء الأربعة ودورهم كنواب لإمامهم المنتظر، ثم بعد ذلك سعى العديد من علماء الشيعة لكسر الجمود الحاصل عند الشيعة بعد انقطاع السفراء وبداية ما يسمى بـــ (الغيبة الكبرى)، ثم فتح باب الاجتهاد بشكل محدود واستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة المعتبرة عندهم، فانتقلوا إلى الاجتهاد فيما يتعلق بجواز إقامة الحدود والقضاء من قبل سلاطين الجور، وبعد

ذلك أجازوا إقامة الفقيه للحدود وغيرها حتى من غير موافقة سلاطين الجور، و لم يقتصروا على إقامة الحدود، بل تجاوزوا ذلك إلى تولي القضاء ودفع الخمس والزكاة، ثم نحت ولاية الفقيه منحى آخر، تمثل في ظهور المحقق الكركي الذي بدأت على يديه ولاية الفقيه تتوسع أكثر حتى شملت الشؤون السياسية، ثم تطورت ولاية الفقيه أكثر على يد المحقق النراقي؛ بحيث أجاز إقامة دولة تكون تحت رعاية الفقيه وحكمه؛ بحكم أنه نائب عن الإمام في كل شيء، ثم جاء الخميني بعد ذلك وأفرد كتابا خاصا بولاية الفقيه وأهميتها وضرورتها لدى الشيعة، وظهرت آثار تلك النظرية واضحة في دستور إيران، وسأشير إلى أبرز ما دعي إليه الخميني في كتابه ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية بإذن الله، تعالى.

ولاية الفقيه عند الخميني:

ولاية الفقيه عند الخميني هي امتداد للفكر الشيعي وتطوره حلو هذه القضية، غير أن موضوع ولاية الفقيه كان أكثر ظهورا عند الخميني؛ نظرا لقيامه بتطبيق هذه النظرية تطبيقا عمليا، تمثل باعتماد جمهورية إيران الحالية في دستورها على ولاية الفقيه، فكان كما هو معروف أو نائب للإمام يحكم إيران، ويرجع إليه في كل أمور وشؤون الدولة هو: الخميني.

ويذكر بعض الباحثين، سببا آخر لاهتمام الخميني بولاية الفقيه، وهو: تأثره الكبير بالفلسفة ودعائها، خاصة السهروردي الذي زعم أن الزمان لا يجوز أن يخلو من ولي متأله، هو مناط السلطتين: الروحية والدنيوية، وهو الإنسان الكامل على الحقيقة؛ بل هو أفضل من الأنبياء والمرسلين؛ لأن عنده الحجج والبيانات، وهذه الفلسفة الممزوجة بدعوى التأله برزت بشكل كبير عند الخميني في أمرين:

الأول: إسباغ اليقين المطلق على اجتهاداته الذاتية؛ باعتبار أنها ناتجة من معرفة إلهامية حضورية، لا تقبل المناقشة وإعادة التأويل والتفسير، ولا تخضع لمقاييس العقل، وهو ما ينتهي

إلى منع الآخرين من الرأي والاجتهاد والمعارضة؛ لأنها حقيقية مطلقة لا مزيد عليها.

الثاني: أن الفلسفة الإشراقية بأصولها الفارسية القديمة تحتوي على قدر كبير من الوهم والخرافة، وتعتمد على علاقة اجتماعية معرفية تقوم على إلغاء هوية عموم الناس وفناء إيراداتهم في مقابل المطلق (الولي المتأله)؛ ليتحولوا في النهاية إلى قصر لا يحسنون من دينهم ودنياهم شيئا إلا أن يستسلموا فينقادوا طائعين للإرادة المطلقة.

وقد حاول الخميني إقناع الشيعة بضرورة ولاية الفقيه، فدعا ودلل عليها في كتابه (الحكومة الإسلامية) وقد تمثل ذلك بعدة أمور، من أهمها:

أولا: أهمية ولاية الفقيه وتنفيذها:

حاول الخميني بيان أهمية إقامة دولة يحكمها الفقيه، فذكر أسبابا دعنه للحديث عن ولاية الفقيه، وضرورة تنفيذها، ومن هذه الأسباب:

1-حال المجتمع الإسلامي وأوضاعه السيئة: حيث ابتلى بأعداء عدة: بداية باليهود، ثم الاستعمار الذي وجد في العالم الإسلامي ضالته المنشودة؛ فبدأ بالدعاية والكيد ضد الإسلام وأهله، ومحاولة تحريف حقائق الإسلام، وذلك بمختلف الوسائل.

وممن ساعده في ذلك علماء الدين الذين أوجدهم الاستعمار لتحقيق غاياته وأهدافه، وهو ما جعل الإسلام يعرض بشكل ناقص؛ حيث منع المسلمون من السعي والتحرك لتطبيق الأحكام الإسلامية، واكتفى المسلمون في حياتهم السياسية والاجتماعية بقوانين مستوردة غربية عن الإسلام.

لهذا كان لا بد من إقامة حكومة إسلامية يشرف عليها الفقيه الجامع للشرائط تقوم بإصلاح كل ما فسد من أمور المسلمين.

2-أن غيبة الإمام المنتظر قد تطول، وهذا يسبب تعطيلا لأحكام الإسلام، يقول الخميني:

(قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، في طول هذه المدة المديدة: هل تبقى أحكام الإسلام معطلة يعمل الناس في خلالها ما يشاؤون؟ ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج؟

القوانين التي صدع بها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاما: هل كان ذلك لمدة محدودة؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلا؟ هل ينبغي أن يخسر الإسلام بعد الغيبة الصغرى كل شيء؟)، وقد بين أن ضرورة إقامة دولة يحكمها الفقيه يحفظ النظام ويرفع الظلم من أوضح أحكام العقول.

3- صرح الخميني بأن من الأسباب التي دعته لإقامة حكومة شيعية هو تصدير ثورته إلى البلدان الأخرى، فقال: (ونحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية (أي: على المذهب الشيعي) وتحرير أراضيها من يد المستعمرين، وإسقاط الحكومات العملية لهم؛ إلا أن نسعي إلى إقامة رؤوس الخيانة، وتدمر الأوثان والأصنام البشرية التي تنشر الظلم والفساد في الأرض)، لقد بين الخميني أن من أهداف إقامة دولته القضاء والسيطرة على الدول الأخرى، وتصدير الثورة إليها، وهذا يبين لنا مدى سذاجة وغفلة الذين فرحوا وتفاءلوا من السنة بهذه الثورة الخمينية والذين كانوا ينتظرون منه مساعدة للإسلام والمسلمين، في حين أنه كما ذكر يتربص بهم، ومن معه يحرصون على نشر باطلهم ولو بالقوة، والسيطرة على بلاد المسلمين؛ لأنها في نظرهم ليست بلادا للمسلمين، بل هي في نظرهم معطلة لنظام الإسلام وأحكامه، ويقصدون به نظام الرافضة المخالف للإسلام وتعاليمه.

ثانيا: أن الحاكم الحقيقي هو الفقيه:

دعا الخميني إلى أن يتولى قيادة الدولة الفقهاء؛ لأنهم هم الحكام الحقيقيون، ومن سواهم من السلاطين وغيرهم إنما هم عمال لديهم، وعلل ذلك بعدة أمور: منها:

1-أن الفقيه يحيط بجميع الأحكام أسوة بالإمام: يقول الخميني: (الحاكم الأعلى (الفقيه) يحيط بجميع الأحكام الإسلامية، ويكتفي المبعوثون والمرسلون والعمال والولاة بالعلم بما يتصل بمهمتهم من أحكام وتشريعات، ويرجعون فيما لا يعلمون إلى مصادر التشريع المرسومة لهم).

ومن الكلام السابق يتضح أن الخميني قد (صاغ نظريته ضمن إطار فكري معين لا ينتهي إلى ادعاء النيابة العامة المطلقة عن الإمام الغائب فحسب، ولا إلى ادعاء مقامه ورتبته ومنصبه الإلهي أيضا، بل إلى أنه الإمام المعصوم بعينه؛ ولذلك رضي باللقب، وأسبغه أتباعه عليه عن رضا وقناعة)، وقد أفتى أحد علماء الشيعة بردة من لم يعتقد بعصمة الخميني، وهدد بقتله.

والخميني وهو يضفي القداسة على الفقيه بزعمه نائبا عن الإمام حتى يرفعه على درجة إمامهم المعصوم، بل إلى مقام الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا يحاول أن يقنع قارئ كلامه بأنه لا يقصد ذلك، فيقول: (ولا ينبغي أن يساء فهم ما تقدم فيتصور أحد أن أهلية الفقيه للولاية ترفعه إلى منزلة النبوة أو منزلة الأئمة؛ لأن كلامنا هنا لا يدور حول المنزلة والمرتبة، وإنما يدور حلو الوظيفة العملية)، لكن الواقع أثبت دعوة الخميني لمرتبة الإمام المعصوم ومنصبه الإلهي.

2-أن الفقيه حجة الله ومعين من قبله: يؤكد ذلك بقوله: (حجة الله تعنى: أن الإمام مرجع للناس في جميع الأمور، والله قد عينه، وأناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم، وكذلك الفقهاء: هم مراجع الأمة وقادتها).

3-مما حاول الخميني إقناع الأخرين به: كون الفقيه الحاكم في الدولة وصي للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما توصل إليه بعد عرضه لبعض الروايات عن أئمتهم، يقول: (وعلى

كل حال فنحن نفهم من الحديث أن الفقهاء هم أوصياء الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد الأئمة وفي حال غيابهم، وقد كلفوا بالقيام بجميع ما كلف الأئمة عليهم السلام بالقيام به)، ويؤكد ذلك، فيقول: (وبما أن الفقيه ليس نبيا، فهو إذا وصي نبي).

4-ذكر الخميني أن الراد على الفقيه إنما هو ردا على الإمام: واستدل على ذلك برواية: (انظروا إلى من كان قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا؛ فارضوا به حكما؛ فإني قد جعلته عليكم حاكما؛ فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه؛ فإنما بحكم الله استخف، وعلينا رد، وهو راد على الله وهو على حد الشرك بالله).

ثم قال الخميني بعد ذلك: (وفي هذه الرواية عد المجتهد حاكما، وعد الرد عليه ردا على الإمام والرد على الإمام رد على الله والرد على الله يقع على حد الشرك بالله)، وهو بهذا يرفع الفقيه إلى منزلة إمامهم المعصوم، بل إلى مقام الألوهية، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثالثا: أن الفقيه له السلطة المطلقة على البلاد والعباد:

لم تكن دعوة الخميني إلى ولاية الفقيه تنحصر في ولاية خاصة في بعض ما يحتاجه الناس: من إقامة الحدود أو القضاء، بل دعا الخميني إلى أن تكون للفقيه ولاية عامة على البلاد والعباد، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله، فيقول: (وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي صلى الله عليه وسلم منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية السياسية للناس ما كان يملكه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام، على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة).

ويقول في موضع آخر: (وبناء عليه يرجع أمر الولاية إلى الفقيه العادل وهو الذي يصلح

لولاية المسلمين؛ فالقيام بالحكومة وتشكيل أساس الدولة الإسلامية من قبيل الواجب الكفائي على الفقهاء العدول، فيجب عليهم إجراء الحدود مع الإمكان، وأخذ الصدقات والخراج والأخماس والتصرف في مصالح المسلمين، وسائر حوائج المسلمين والإسلام؛ فيكون لهم في الجهات المربوطة بالحكومة كل ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين).

فولاية الفقيه عند الخميني تتجاوز الولاية الخاصة إلى أن تكون ولاية عامة في جميع ما يحتاجه المسلمون، كما كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومون عند الشيعة، وهذا يعني: أن ولاية الفقيه لإقامة الدولة، وهو ما صرح به الخميني، وبين أن ذلك فيه فوائد: من إقامة العدل ورد الظالمين والمعتدين وهذا من الضروريات عند العقلاء، وقد جاء في الدستور الذي أشرف عليه الخميني بيان أن الفقيه له الحكم العام للناس، فمما جاء في المادة الخامسة: (تكون ولاية الأمر في غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه في جمهورية إيران الإسلامية للفقيه العادل)، وقد بين شمولية صلاحيات ووظائف الفقيه الحاكم في المادة العاشرة بعد المائة، وهي:

1-تعيين فقهاء مجلس المحافظة على الدستور.

2-تعيين أعلى مسؤول قضائي في الدولة.

3-القيادة العامة للقوات المسلحة.

4-التوقيع على نتيجة انتخابات رئاسة الجمهورية بعد انتخابات الشعب.

5-عزل رئيس الجمهورية بعد صدور حكم المحكمة بتخلفه عن وظائف، أو بعد رأي مجلس الشورى.

6-العفو أو التخفيف من أحكام المحكومين... بعد اقتراح المحكمة العليا.

إذا ولاية الفقيه التي دعا الخميني لها ونفذها هي ولاية عامة على جميع الأمور، وكأنه لا

حاجة بهم إلى إمامهم المعصوم فقد جاء من يحكم بدلا عنه في جميع شؤون الدولة؛ ألا وهم الفقهاء العدول الذين ارتقوا حتى ساووا منزلة أئمتهم المعصومين عندهم؛ فلا بد من طاعتهم وعدم الخروج عليهم، وهذا بلا شك فيه خروج عن دعوى تعيين الأئمة وحصرهم باثني عشر إماما، إذ الفقهاء لا يحصرون بعدد معين، ويلزم منه إقرارهم بضلال أسلافهم وفساد مذهبهم، وإن زعم الخميني أن الفقيه ما هو إلا نائب للإمام، فقد ناقضه بأمور عدة منها: تسمية الخميني ومناداة الناس له بالإمام الذي لا يطلق إلا على أئمتهم، وقد غلا فيه آخرون فزعموا أنه قد جاء عن أحد أئمتهم البشارة بالخميني وبمن معه.

رابعا: وسائل إقامة دولة الفقيه:

لقد دعاء الخميني لوسائل عدة تحقق إقامة دولة الشيعة على يد الفقهاء، ومن أهم تلك الوسائل:

1-النشاط الدعائي والإعلامي:

ذكر الخميني أن مما يساعد بشكل كبير على إقامة دولة شيعية يحكمها الفقيه، الدعاية لها ولأفكارها؛ لكي يقتنع الآخرون بها، ثم يكون لهم النفوذ بعد ذلك في الحكومات؛ فيغيرونها على معاييرهم ومبادئهم المخالفة للإسلام والمسلمين، يؤكد ذلك، فيقول: (علينا أن نسعى بجد لتشكيل الحكومة الإسلامية، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدم فيه؛ ففي كل العالم على مر العصور كانت الأفكار تتفاعل عند مجموعة من الأشخاص، ثم يكون تصميم وتخطيط، ثم بدء العمل ومحاولة نشر الأفكار وبثها من أجل إقناع الآخرين تدريجيا، ثم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرونها على النحو الذي تريده تلك الأفكار ويريده ذووها، أو يكون هجوما من الخارج لاقتلاع أساسها وإحلال حكومة قائمة على هذه الأفكار محلها).

فتَكوُّن الحكومة يكون عند الخميني: إما بإقناع الآخرين بأفكار الرافضة ومذهبهم تدريجيا حتى تكون حكومة قائمة على هذا الأساس، أو بتدخل الحكومة الشيعية في الدول الأخرى

وتغييرها بالقوة، وهو ما يسمّونه: الجهاد في سبيل الله، وقد صرحوا به في دستورهم الذي وضع بإشراف الخميني، وجاء فيه: (إن جيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة الإسلامية، لا يتحملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضا بحمل رسالة عقائدية؛ أي: الجهاد في سبيل الله والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم) ، ومن جهة أخرى، فإن الخميني بعد إقامته للدولة جعل الجهاد من مسؤولية الجيش وصلاحياته، ولا حاجة لتأخيره حتى ظهور الإمام المنتظر عندهم، وهذا من الأمور التي تؤكد أن الخميني كان يدعو إلى أن تكون ولاية الفقيه عامة لجميع شؤون الدولة، وما يحتاجه الناس، مع أن الخميني قد ناقض نفسه، وذكر قبل تأسيسه دولته أن الجهاد لا يكون إلا بوجود إمامهم، فقال: (في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر عجل الله فرجه الشريف يقوم نوابه، وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء، مقامه في إجراء السياسات، وسائر ما للإمام عليه السلام إلا البداة بالجهاد)، وهذا بلا شك من التناقض الواضح عند الخميني:

2-النشاط **السياسي:**

بين الخمني أهمية الجانب السياسي، فقال: (أنتم اليوم لا تملكون دولة ولا جيشا، ولكن تملكون أن تدعوا؛ فلم يسلبكم عدوكم هذه القدرة على الدعوة والتوجيه والتبليغ وعليكم إلى جانب المسائل العبادية أن تبينوا للناس المسائل السياسية في الإسلام، وأحكامه الحقوقية والجنائية والاقتصادية والاجتماعية، واتخذوا من هذا محورا لعملكم).

ومما سبق نلحظ تركيز الخميني على الجانبين: الدعائي والسياسي لقيام حكومته، كما يتضح أن الخميني دعا إلى ولاية مطلقة للفقيه في جميع الأمور، باعتباره هو الحاكم الحقيقي؛ فهو المعين من الله تعالى ووصي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمحيط بجميع الأحكام.

وحشد الخميني العديد من الأحاديث والروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أئمة الشيعة، التي تدل بزعمه على نيابة الفقيه للإمام الغائب في جميع شؤون الحياة، وهذه الأدلة

الكثيرة لا ترقى وفق ميزان النقد الحديثي عند الشيعة إلى درجة الصحة.

لكن: هل وافق جميع علماء وفقهاء الشيعة الخميني فيما ذهب إليه؟ أم أن هناك من عارضه منهم؟ الواقع أن العديد من علماء الشيعة قد عارض الخميني في قوله بولاية الفقيه المطلقة.

ومن أبرز المعارضين لها من الشيعة:

1-الشريعتمداري.

2-حسن طبطبائي القمي.

3-محمد جواد مغنية.

4-موسى الموسوي.

5-حسين علي منتظري.

6-محمد حسين فضل الله.

العنصر الثاني: نقد ولاية الفقيه.

ولاية الفقيه كما سبق بيانه بنيت على أساس باطل، وهو زعم وجود الإمام الثاني عشر، ونقض هذا الأساس كاف في بطلان ولاية الفقيه التي إنما بنيت على وهم، وهو: وجود المهدي المنتظر الغائب عندهم.

ولعل بطلان ولاية الفقيه يتضح بما يلي:

أولا: أن ما يعرف عند الشيعة بالمهدي المنتظر، وهو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري: لا حقيقة له؛ فهو شخصية وهمية لا أساس لها، وبناء عليه؛ فإن غيبته غير ثابتة لانتفاء وجوده.

قال النوبختي عن الحسن العسكري: (توفي، ولم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه)، بل إن الحسن العسكري نفسه قد نفى أن يكون

له ولد، وجعل وصيته في مرضه الذي توفي فيه لأمه، وثبت ذلك عند القاضي.

وكذلك قد رد عليهم على الرضا رحمه الله الذي يدعون إمامته، فقال مبطلا هذه الدعوى: (لو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه؛ لمد الله في أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ثانيا: لو سلمنا بوجود المهدي المنتظر الغائب، وتساءلنا عن علة غيبته، فإننا نجدهم يذكرون عللا واهية، ومن أوهى تلك العلل التي تمسكوا بها: علة الخوف من القتل بيد الطواغيت، وهذه العلة لا يمكن قبولها؛ لأن عندهم أن المهدي سيعيش إلى نزول عيسى عليه السلام، ولا يقدر أحد على قتله، وأنه سيملك الأرض بحذافيرها؛ فلماذا يختفي أو يتخوف؟.

وإذا كان سبب غيبته وخوفه قلة الأنصار والاتباع، وضعف الشيعة واضطهادهم في السابق، كما يزعمون؛ فلماذا لم يخرج الآن؟ وخصوصا أن لهم الآن دولة قوية تمثلهم؟

وكذلك؛ فإن تعليلهم بالخوف يتناقض مع ما يدعونه لأئمتهم من أنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم.

ثالثا: أن هناك أسبابا حقيقية دعت إلى زعم الشيعة غيبة مهديهم المزعوم، ومن أهمها:

1-الخروج من مأزق التناقض بين القول بوجود المهدي، وعدم إمكانية رؤيته: فقد كان سبب قولهم بولادة المهدي: خوف انقطاع الإمامة بموت الحسن العسكري دون ولد، وهنا سينشأ تساؤل لدى أتباعهم الذين يريدون رؤية إمامهم المزعوم، وهو: أين هذا الإمام؟ وهو سؤال إن لم يجب عليه بإجابة أسطورية من جنس المولد ترضى الأتباع؛ فإنه سيكون خطرا على كيان الشيعة عموما، ومن هنا فكر رؤساء المذهب في إجابة مرضية من جهة، وطويلة الأمد من جهة أخرى حتى لا يعود التساؤل في الظهور مرة أخرى، فكانت دعوى الغيبة.

2-المكاسب المادية من وراء هذه الغيبة المزعومة: فالأموال تجمع باسم الإمام الغائب، وتؤخذ من السذج منهم، ويستحوذ عليها من يزعمون ويدعون أنهم نواب للإمام الغائب.

3-تطلع الشيعة لقيام كيان سياسي لهم مستقل عن الدولة الإسلامية، وهذا يتضح في اهتمامهم بمسألة الإمامة.

ولما خابت آمالهم وغلبوا على أمرهم، هربوا من الواقع إلى الآمال والأحلام كمهرب نفسي ينقذون به أنفسهم من اليأس، وشيعتهم من الإحباط، فأخذوا يبثون الأمل في نفوس أتباعهم، ويمنونهم بأن الأمر سيكون في النهاية لهم.

4-وهناك سبب خارجي دفع الشيعة للقول بالمهدي الغائب، وهو أن الاعتقاد الشيعي له جذور في بعض الديانات والنحل؛ مما لا يستبعد معه أن لتلك الملل خاصة المجوس دور في تأسيس هذه الفكرة في نفوس الشيعة.

رابعا: أن دعوى النيابة والنواب الأربعة دعوى باطلة لأمور:

1-هي قائمة على فرض وجود إمامهم المزعوم الذي ثبت عدم وجوده أصلا.

2-وكذلك؛ فإن النيابة عن الإمام كان هدفها الحصول على المكاسب المادية، كما سبقت الإشارة إليه.

3-بطلان خط المهدي وتوقيعاته التي ينسبها إليه النواب؛ فمن يبحث عن خط المهدي في التراث الشيعي يجد أنه أحبط بهالة من السرية والكتمان، وهذه السرية جعلت بعض علماء الشيعة يضيفون ذلك كدليل على عدم وجود محمد بن الحسن العسكري.

يقول أحمد الكاتب (وهو من الشيعة): (حاولت أن أستقصي آثار خطوط الإمام المهدي في رسائله، وأبحث عن أية نسخة من رسائله وأتباع تواقيعه... وكنت أحسب في البداية أو أفترض أن يكون الشيعة في تلك الأيام، أو بالأخص النواب الأربعة أو الفقهاء أو المحدثون قد اهتموا بالمحافظة عليها والعناية بها، فلم أجد لذلك أثرا، ووجدت غموضا مريبا يلف هذا الموضوع، ووجدت في التوقيع الذي يرويه الطبرسي في الاحتجاج نصا يقول: (ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه أحدا)، وهو يكشف عن خلاف ما كان متوقعا من الاهتمام

بالتعرف على الخط، والمحافظة على رسائل المهدي، وعن عدم وجود خط معين معروف للمهدي يمكن الرجوع إليه ومقارنة بقية الرسائل به للتأكد من صحتها، ولو حصلنا على نسخ من خط الإمام المهدي، لكان باستطاعتنا المقارنة بينها والتأكد من حقيقة نسبتها إليه، أو التمييز بين الصحيح والمزور منها، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث).

خامسا: أن القول بولاية الفقيه يعارض مذهب الشيعة أنفسهم المبني على أصول يخالفون بها أهل الإسلام، ومن أهمها: وجوب القول بإمامة اثني عشر إماما، وزعم عصمتهم، فدعوى ولاية الفقيه المطلقة لجميع الأمور يلزم منها أن يكون الأئمة عندهم أكثر من اثني عشر إماما، فيتعدد الأئمة بحسب ولاية كل فقيه للدولة، وهذا باطل في مذهبهم، وهو ما جعل بعض علمائهم يعترضون على تلك الصلاحيات المطلقة للفقيه، والتي فرضها ودعا إليه الخميني.

سادسا: من أهم الاعتراضات على نظرية ولاية الفقيه: مسألة السلطة المطلقة للفقيه، والتي تمنحه التصرف المطلق في جميع الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية دون أن يعترض عليه أحد؛ لأنه يحكم باسم إمامهم الغائب؛ فمن يعترض عليه، فإنه كمن يعترض على الإمام الغائب؛ فهو مسار للإمام، وله سلطة مطلقة؛ فهو بمفرده من يتخذ القرارات ويحددها؛ فكل مؤسسات الدولة ما هي إلا تابعة له ومنفذة لأوامره؛ (فولاية الفقيه كما كتبها، وكما طبقها الخميني كانت السبب في مساواة الحاكم الفقيه المتدين بالحاكم العلماني المندفع والمتهور؛ فكل نظام حكم وكل ولاية تمنح سلطة بغير ضمانات حقيقية فعالة؛ لحساب وعقاب من يجلس على عرض هذه السلطة... تميل الولاية ويجنح النظام حتما بصاحب السلطة يوما، فيحيد عن جادة الصواب، ويصبح ديكتاتورا ينفرد برأيه سواء كان في الأصل عسكريا أو مدنيا فقيها أو علمانيا).

سابعا: أنكر الشيعة على الأمة الإسلامية اختيار الإمام لأمرين:

1-أن الإمام لا بد أن يكون معصوما؛ لأن تنصيبه راجع إلى الله، تعالى.

2-أن الأمة ليست معصومة؛ فكيف لها أن تختار معصوما؟ ومع أن الشيعة عارضوا وخالفوا الأمة في اختيار الإمام، لكن نظرية ولاية الفقيه قلبت مفهوم الشيعة رأسا على عقب، خاصة فيما يتعلق باختيار الأمة للإمام أو نائبه، وفيما يتعلق بالصلاحيات المطلقة المعطاة لنائب الإمام وكأنه المعصوم نفسه، وكذلك يلزم منها نسخ عقيدة الشيعة في انتظار المهدي الغائب.

ثامنا: أن مسألة الإمام عند أهل السنة والجماعة تختلف عن الشيعة في عدة أمور من أهمها:

1-أن نصب الإمام يعد من الواجبات، وليس من أصل الإيمان كما عند الشيعة.

قال ابن خلدون: (إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين)، بل قد دل العقل كذلك على وجوب نصب الإمام وذلك (لضرورة الاجتماع للبشر، واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين، ومن ضرورة الاجتماع: التنازع لازدحام الأغراض، فلما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم، مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية)، فالإمامة عند أهل السنة قد دل عليها الشرع والعقل.

2-أن الإمامة لا تنعقد عند أهل السنة إلا عن طريق البيعة والاختيار مخالفين بذلك معتقد الشيعة في قولهم بالنص والوصية.

3-اعتمد أهل السنة في اختيار الإمام على الشورى والانتخاب، وليس بالضرورة أن يكون فقيها، فإذا توفرت فيه شروط الإمامة، واختير من أهل الحل والعقد انعقدت بيعته، والمقصود باهل الحل والعقد: (هو الطليعة الواعية والفئة المستنيرة من أهل الاجتهاد من الأمة، هم الجديرون باختيار الإمام؛ لأنهم سيحملون وزره إذا لم يتحروا في اختياره الصواب، وسيكون شركاءه في مآثمه ومظالمه)، وقد نص العلماء على شروط الإمامة وطرق انعقادها، وقد نظمها الإمام السفاريني، فقال:

ونصبه بالنص والإجماع = وقهره فحل عن الخداع

وشرطه الإسلام والحرية = عدالة سمع مع الدرية

وأن يكون من قريش عالما = مكلفا ذا خبرة وحاكما.

طرق انعقاد الخلافة:

الأول: طريق البيعة وهو أن يجتمع أهل الحل والعقد، ويعقدون الإمامة لمن يستجمع شرائطها.

الثاني: طريق العهد، وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعده؛ فإذا مات العاهد انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه.

الثالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الخليفة، فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير عهد إليه من الخليفة السابق، ولا بيعة من أهل الحل والعقد انعقدت إمامته؛ لينتظم شمل الأمة وتتفق كلمتهم.

4-أن الحاكم عند أهل السنة: فرد من أفراد الأمة، وقراراته ليست معصومة؛ وبناء على ذلك يمكن للأمة محاسبته، والاعتراض عليه وتقويمه، وقد أكد ذلك الصديق، رضي الله عنه، يوم خطب في الناس، فقال: (أما بعد، أيها الناس! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم؛ فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله).

مما سبق، تبين لنا بطلان القول بولاية الفقيه حتى عند علماء الشيعة أنفسهم؛ فهي مخالفة حتى لما يعتقدونه من العصمة، وحصر الإمامة باثني عشر إماما.

لكن: هل كان هناك أثر للقول بولاية الفقيه عند الخميني؟ خاصة بعد قيام دولة تمثل الرافضة، ويحكمها الفقيه نفسه؟

العنصر الثالث: أثر قول الخميني بولاية الفقيه عند الشيعة.

إن القول بولاية الفقيه، وتطبقها عمليا خاصة عند الخميني أحدث آثارا عدة لدى الشيعة، ويرى بعض الباحثين أنها أحدثت نقلة إيجابية للفكر الشيعي المعاصر؛ فمن تلك الآثار:

أولا: أن ولاية الفقيه ساعدت في القضاء على آثار القول بالتقية والانتظار، ومن تلك الأمور التي خرجت فيها عن حدود التقية والانتظار:

فتح باب الاجتهاد في عصر الغيبة.

إقامة الحدود والإشراف عليها.

إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إخراج الزكاة والخمس.

العودة إلى صلاة الجمعة وإقامتها.

العمل بفرضة الجهاد.

ثانيا: أن ولاية الفقيه ساعدت على إنهاء العزلة الشيعية؛ لأنها تمثل خطا وسطا بين الفكرين السني والشيعي، وحاولت الجمع بين الشورى وعقيدة النص.

ثالثا: أن ولاية الفقيه ساعدت نسبيا في اعتماد نظام الشورى ولو على نطاق ضيق يتمثل فقط بطائفة الفقهاء الذين يختارون من بينهم القائد، كما يظهر ذلك في الدستور الإيراني، القائم على ولاية الفقيه.

غير أن تلك الآثار السابقة للقول بولاية الفقيه، والتي يعدها الدكتور أحمد سيد أحمد إيجابية، في اعتقادي لا تعدو كونها تأكيدا لعقيدة الرافضة وتمسكهم بها، وذلك يتضح من خلال عدة أمور:

1-أن ولاية الفقيه بنيت عند القائلين بها من الرافضة على اعتقاد وجود الإمام المنتظر الغائب؛ فهي في الحقيقة لم تلغ هذه العقيدة في قلوب أصحابها، بل أكدتها من خلال أن هذا

الفقيه هو نائب وممثل لذلك الإمام المنتظر الذي يترقب الرافضة ظهوره في كل وقت.

2-أن الخميني وإن كان قد أضفى على نفسه هالة من القداسة والتبجيل من خلال إعطائه لنفسه (وهو الفقيه الحاكم) صفات الإمام المنتظر، بل وأطلق عليه الإمام الخميني، إلا أنه كان يؤكد في عرضه لتلك النظرية أن الفقيه الحاكم ليس معصوما كالإمام؛ فهو يؤكد بأقواله تلك لأمته من الشيعة عقيدة عصمة الأئمة عندهم، وإن كان يخالفها عمليا.

3-أن ما يدعى من آثار حسنة في ولاية الفقيه تتمثل في فتح باب الاجتهاد للفقهاء:

هو في حقيقته ليس على إطلاقه؛ فالاجتهاد في الأحكام خاص بفقهاء محصورين عند الخميني ومن جاء بعده، ودليل ذلك سجن العديد من علماء الرافضة وفقهائهم؛ وذلك بسبب اجتهاداتهم التي كانت لا ترضى الخميني ومن جاء بعده؛ فهذا الاجتهاد ليس مطلقا لكل فقيه، بل هو خاص ومبارك لكل موافق للحاكم الفقيه، ومؤيد لسياساته القائمة على التنكيل بكل مخالف من الفقهاء وعامة الناس ويجنهم وتعذيبهم، بل قتلهم أحيانا، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

4- إن ولاية الفقيه مهدت الطريق للرافضة بعد تأسيس دولتهم للدعوة إلى مذهبهم الباطل بقوة، والتخطيط لذلك في شتى المجالات، وهذا يتضح جليا الآن، خاصة بعد غزو العراق والسعي المحموم لنشر عقيدتهم الباطلة، بل أرى أن الذي زاد في انتشار المذهب الشيعي، هو وجود دولة للرافضة في إيران تقوم في الأساس على حكم فقيه شيعي، لا على شخص مخالف لدينهم أو منحرف عنه، وهذا الحكم الديني الضال المتمثل في الفقيه، هو الذي أثمر نتائج سريعة في انتشار المذهب الشيعي، وقد تأثر بعض السذج من السنة بدولة الرافضة التي تدعي عبر حكامها والمتنفذين فيها الذين هم أعرف من غيرهم بعقائد مخالفيهم أنها راعية الإسلام ومقدساته في القدس وغيرها، والمدافعة عنه وعن المظلومين من أهله؛ فخدعت العديد من أهل السنة بذلك، ومال بعضهم إليها، بل تأثروا بعقائدها الباطلة على حين غفلة أو تغافل

من العديد من الأنظمة العربية التي تحسب من السنة وأهلها، والله المستعان.

الدرس الثامن: فرقة النُّصَيْرِيَّة

عناصر الدرس

العنصر الأول: التعريف بفرقة النُّصَيْرِيَّة، وأبرز شخصياتها وطوائفها

العنصر الثاني: أفكار النُّصيرية ومعتقداتهم

العنصر الأول: التعريف بفرقة النُّصَيْرِيَّة، وأبرز شخصياتها وطوائفها

التعريف بالنُّصَيْرِيَّة:

النُّصَيْرِيَّة من حيث التعريف: هي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجودًا إلهيًّا في علي رضي الله عنه وأَلَّهوه بذلك، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غازٍ لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العَلَوِيِّين؛ تمويهًا وتغطيةً لحقيقتهم الرافضية والباطنية.

وجاء في مادة النصيري، في (دائرة المعارف الإسلامية)، ولا تزال تلك الدائرة مرجعًا مكثفًا لعدد كبير من المفهومات والأحداث الإسلامية التاريخية، والتي كتب موادها عدد كبير من المستشرقين المتخصصين؛ فجمعت بذلك علمًا غزيرًا لكنه مشبوه، فالأولى أن تكون دائرة المعارف الاستشراقية وليست الإسلامية، وقد كانت إحدى مواد هذه الدائرة مادة النصيري، التي عرضت بشكل شديد التركيز والتكثيف حول تاريخ الطائفة النُّصَيْرِيَّة ومفهوماتها، وعدد من معتقداتها السرية، وقد كتب هذه المادة المستشرق الكبير "لويس ماسينون"، وقدمها للمسئولين عن الدائرة في 29 مارس سنة "ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين" من الميلاد، ولعل هذا المستشرق غني عن التعريف، فقد تخصص في دراسة المفهومات الصوفية عند الحلَّاج، والعقائد المتطرفة في الإسلام، واتصل بالنصيريين وزار منطقتهم، وقامت بينه وبين كبار شخصياتهم – مثل سليمان الأحمد– علاقات وطيدة ذكرها في بعض كتاباته، وبذلك تمكن من الاطلاع على عدد من معتقداتهم، إضافة إلى معلوماته السابقة عنهم.

ومن المدهش أن نجد عند المستشرقين، أمثال "ماسينون"، و"رينيه"، و"دوسو" وغيرهم معلومات ضخمة عن هذه الطائفة، حتى إنهم كتبوا عنهم أبحاثًا، وكتبًا عدة لم تترجم حتى الآن؛ لذلك ننقل للباحث ما كتبه "ماسينون"، عن هذه الطائفة المغالية مع شيء من الحذف أو تغيير الضمائر؛ لأن الكتابة في دائرة المعارف تتطلب تكثيفًا شديدًا، قال:

"النُّصَيْرِيَّة، اسم يطلق على فرقة شيعية متطرفة تعيش في سوريا، وثمة اختلافات بين الدارسين حول هذا الاسم، فبعضهم يقول: إن قول النُّصَيْرِيَّة تصغير احتقاري لكلمة نصراني، أي: مسيحي، ويستند أصحاب هذا القول إلى التشابه الموجود في بعض العقائد والطقوس بين النُّصَيْرِيَّة والنصرانية، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي المستشرق "رينان".

ويقول آخرون: "إن النُّصَيْرِيَّة تحريف لكلمة "نازريني" اللاتينية، وهي اسم لاتيني يطلق على إمارة صغيرة كانت قائمة في سوريا من بلدة "إديسا" في القرن الأول الميلادي، وقد ورد هذا الاسم في كتابات المستشرق "ييليني" التاريخية، غير أن كلمة "نازريني" لا تزال تطلق دون أي تحريف على موقع قائم حتى الآن في سوريا يقع بين تل "كلنح" وحمص، وقد ورد ذكره في الخريطة البريطانية التي وضعت عام "1918" لمنطقة حمص".

ويذهب بعضهم إلى أن أصل كلمة النُّصَيْرِيَّة هو ناصورايا، وهو اسم قرية تقع بالقرب من الكوفة، ورد ذكرها في عدة مصادر تاريخية قديمة وحديثة، ويعتقد المستشرق "رينيه دوسو" أن كلمة النُّصَيْرِيَّة ربما تكون نسبة إلى شخص أسطوري، وشهيد شيعي وهمي، أو اسم لعبد أعتقه علي بن أبي طالب، أو معاوية ويسمى نُصَير.

ولكن أرجح الأقوال: أن النُّصَيْرِيَّة نسبة إلى محمد بن نُصَير النميري العابدي من قبيلة عبد القيس، وهي عشيرة من بكر، وهذا الرجل هو أول فقيه في هذه الفرقة، والحقيقة فإن أتباع هذه الفرقة كانوا يدعون بالنُّمَيرية، وورد ذكرهم بهذا الاسم في كتابات عدد من المصنفين المسلمين، كالنبختي في كتابه (الفرق بين الفِرق)، والأشعري في كتابه (المقولات)، وقد اتخذوا اسم النصيرية منذ عهد شيخهم الكبير الخصيبي، المتوفى سنة "ثلاثمائة وستة وأربعين" من الهجرة.

وكانوا يسمون أنفسهم المؤمنين، وليست النُّصَيْرِيَّة –كما يعتقد بعضهم– اسمًا لمنطقة في شمالي سوريا تحولت تدريجيًا إلى هذه العقيدة، إنما هي اسم لفرقة شيعية متطرفة يعيش معظم أفرادها

في تلك المنطقة، ولها أتباع آخرون على امتداد نهر الفرات، وفي مصر أيضًا، وهذا الاسم هو الذي ورد في جميع الكتابات القديمة التي أرخت للفرق الخارجة عن الإسلام، بدءًا من كتابات ابن القذائري الشيعي، المتوفى عام "أربعمائة وواحد وعشرين" من الهجرة، وحتى كتابات ابن حزم الأندلسي السني، وهو أكثر الأسماء قربًا من الحقيقة، ولهذا الاسم ثلاثة جوانب لا خلاف فيها بين الباحثين، وهي الجوانب الإدارية والاجتماعية والدينية.

– الإدارية: ويطلق اسم النصير على جبل في سوريا كان يعرف سابقًا بجبل اللقام، وعلى لواء اللاذقية سابقًا باسم دولة العلويين، ومساحة هذه المنطقة ستة آلاف وخمسمائة كيلو متر، وعدد سكانها حتى عام "1933" هو "ثلاثمائة وأربعة وثلاثين ألفًا ومائة وثلاثة وسبعون" نسمة، منهم "مائتان وثلاثة عشر ألفًا وستة وستون" نسمة من النصيريين، و"مائة وواحد وستين ألفًا وثمانمائة وسبعة عشر" من السنيين، ويتجمعون في شمالي منطقة صهيون وفي "بنياس"، و"خمسة آلاف وستمائة وتسعة وستين" نسمة من الإسماعيليين يتجمعون في منطقة "القدموس"، و"يا صاف"، و"خمسة آلاف وثلاثة وخمسين ألفًا وستمائة وأربع مسيحي معظمهم من الأرثوذكس، ويتجمعون في منطقة الحصن، وفي شمالي طرطوس، وعاصمة الدولة هي اللاذقية والتي بلغ عدد سكانها "اثنتا وعشرون ألف" نسمة، وتقسم المنطقة كلها إلى محافظتين وثمانية أقضية: هي اللاذقية، وصهيون، وجبلة، وطرطوس، والمرقب ومركزها دنياس، والعمرانية ومركزها تلكلخ، والسافطة، والحصن ومركزها مصياف، ويعمل معظم السكان في زراعة التبغ، وشجر دود القز، وهم مزارعون مهرة ونشطون.

وقد درس المستشرق "هاركمان" معاني أسماء الأمكنة في منطقة النُّصَيْرِيَّة، ووجد أن الجزء الشمالي في المنطقة فيه أسماء كثيرة مختلطة بعضها آرامي، وبعضها عربي يرتبط بمهنة معينة، وأن هذه الأسماء ليس فيها شيء من الآثار الدينية المحلية، عدا الآثار الشيعية الحديثة، وليس فيها ما يدل على الثقافة الوثنية والمسيحية التي تشكل أرضية الثقافة النُّصَيْرِيَّة، على عكس ما

نجده في لبنان، ولكن حتى الآن لم تدرس المنطقة دراسة دقيقة تبين أصل السكان، والتقاليد الشعبية السائدة فيها مع وجود ما يستدعي الملاحظة والاهتمام، كتحريم عدة أصناف من الأطعمة بعضها عام يشمل الطائفة كلها، كتحريم أكل الجمال والأرانب وسمك الثعبان وسمك القطن، وبعضها خاص يشمل فئة معينة، كما عند فرقة الشميسة إحدى فرق النُّصَيْرِيَّة، حيث تحرم إناث الحيوانات والحيوانات المشوهة، والغزلان، والخنازير والكابوريا، والمحار والقرع، والبامية والطماطم، والفن المنزلي الوحيد في المنطقة هو صناعة السلاب.

– الاجتماعية: يدل هذا الاسم –أي النُّصَيْرِيَّة– على قبائل ذات مفهومات متميزة تتكلم جميعها تقريبًا اللغة العربية، وتعتنق العقيدة النُّصَيْرِيَّة، وهي موزعة كما يلي:

أولًا: في دولة العلويين: تضم دولة العلويين "مائتين وثلاثة عشر" ألف نصيري تقريبًا، ينتمي معظمهم في أصوله إلى العشائر اليمنية القديمة، من حمدان، وكندة، وغسان والمهرة وتنوخ، وهم الذين اعتنقوا النُّصَيْرِيَّة في وقت مبكر، وكانوا يتوزعون بالقرب من ضفاف نهر برَدة إلى جبل عامل، ومنطقة حلب، ولا تزال بقاياهم حتى الآن في هذه المنطقة، وهم ينتمون حاليًا إلى طائفة المتاولة، وقد ازداد عدد النُّصَيْرِيَّة عندما انضم إليهم المهاجرون من طيء في نهاية القرن التاسع الهجري، والمهاجرون من قبيلة غسان الذين هاجروا في زمن الحملة الصليبية، وجاءوا من جبال سنجار مع أميرهم حسن بن المكزون، المتوفى عام "ستمائة وثمانية وثلاثين" من الهجرة، وهو من عشيرة الحدادين، ثم اندمجوا بعائلاتهم، وهياكلهم القبلية في المنطقة، كما يقول محمد بن غالب الطويل صاحب كتاب (تاريخ العلويين).

وفيما يلي قائمة بالعشائر الرئيسة الموجودة الآن في المنطقة: الكلبية، والخياطين، والحدادين، والمتاورة:

ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي، كان تاريخ النُّصَيْرِيَّة في هذه المنطقة عبارة عن سلسلة من المصادمات والحروب والاضطهاد، كالحروب الصليبية، وحملة الظاهر بيبرس الذي ملأ المنطقة

بالمساجد، وحكاية درة الصدف؛ ابنة سعيد الأنصاري التي حضَّت "تيمور لنك" ملك التتار على تخريب دمشق، والمذابح التي حدثت في عهد سليم الأول، والحروب الأهلية التي نشبت بين العشائر النُّصَيْرِيَّة نفسها، والحروب التي نشبت بينها وبين الإسماعيلية بسبب مدينة "قدموس"، فقد ضاعت منهم ثم استعادوها عام "1808" ميلادية على يد المحارزة لمدة بسيطة من الزمن ثم خسروها، والصراع الذي نشب حول مسياف، وتحالف فيه الإسماعيليون مع الأتراك ضد النصيريين.

كما لهم تواجد في محافظة الإسكندرونة، وفي دولة سوريا في حمص وحماة، يتوزعون بنسبة كبيرة، وكذا في فلسطين، وفي "كلكا"، وعلى ضفاف الفرات، وفي كردستان، وفارس، وفي لبنان، هكذا يعيشون.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مؤسس هذه الفرقة، أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري، المتوفى سنة "مائتين وسبعين" هجرية، عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة، وهم: علي الهادي، أي: العاشر، والحسن العسكري الحادي عشر، ومحمد المهدي الموهوم الثاني عشر، زعم أنه الباب إلى الإمام الحسن العسكري، وأنه وارث علمه والحجة والمرجع للشيعة من بعده، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي، ادعى النبوة والرسالة، وغلا في حق الأئمة؛ إذ نسبهم إلى مقام الألوهية، خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب، ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجمبلاني من سنة "مائتين وخمسة وثلاثين" إلى "مائتين وسبعة وثمانين" من الهجرة من "جمبلة" بفارس، وكنيته العابد والزاهد والفارسي، سافر إلى مصر، وهناك عرض دعوته على الخصيبي.

ثم حسين بن علي بن الحسين بن حمدان الخصيبي المولود سنة مائتين وستين من الهجرة، مصري الأصل، جاء مع أستاذه عبد الله بن محمد الجنبلاني من مصر إلى "جمبلة"، وخلفه في رئاسة

الطائفة، وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب، كما أنشأ للنصيرية مركزين: أولهما في حلب، ورئيسه محمد علي الجلي، والآخر في بغداد ورئيسه علي الجسري، وقد توفي في حلب وقبره معروف بها، وله مؤلفات في المذهب، وأشعار في مدح آل البيت، وكان يقول بالتناسخ والحلول.

انقرض مركز بغداد بعد حملة "هولاكو" عليها، وانتقل مركز حلب إلى اللاذقية، وصار رئيسه أبو سعد الميمون سرور بن قاسم الطبراني، من سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين إلى أربعمائة وسبعة وعشرين من الهجرة، اشتدت هجمات الأكراد والأتراك عليهم مما دعاهم إلى الاستنجاد بالأمير حسن المكزون السنجاري، من سنة خمسمائة وثلاثة وثمانين إلى ستمائة وثمانية وثلاثين من الهجرة، ومداهمة المنطقة مرتين، فشل في حملته الأولى، ونجح في الثانية؛ حيث أرسى قواعد المذهب النصيري في جبال اللاذقية، وظهر فيهم عصمة الدولة حاتم الطوباني حوالي سنة سبعمائة هجرية الموافق ألفا وثلاثمائة ميلادية، وهو كاتب (الرسالة القبرصية)، وظهر حسن عجرد من منطقة "أعنا" وقد توفي في اللاذقية سنة ثمانمائة وستة وثلاثين من الهجرة، ألف وأربعمائة واثنتين وثلاثين من الميلاد.

نجد بعد ذلك رؤساء تجمعات نصيرية، كتلك التي أنشأها الشاعر القمري محمد بن يونس كلازي سنة ألف وأحد عشر هجرية ألف وستمائة واثنتين ميلادية قرب "أنطاكية"، وعلي الماخوس، وناصر نصيفي، ويوسف عبيدي، ثم سليمان أفندي الإذني، ولد في أنطاكيا سنة ألف ومائتين وخمسين هجرية، وتلقى تعليم الطائفة، لكنه تنصر على يد أحد المبشرين، وهرب إلى بيروت حيث أصدر كتابه (الباكورة السليمانية)، يكشف فيه أسرار هذه الطائفة، واستدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه، فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه، وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

عُرفوا تاريخيًّا باسم النُّصَيْرِيَّة؛ وهو اسمهم الأصلي، ولكن عندما شُكل حزب سياسي في سوريا باسم الكتلة الوطنية، أراد الحزب أن يقرب النُّصَيْرِيَّة إليه؛ ليكتسبهم فأطلق عليهم اسم العلويين، وصادف هذا هوى في نفوسهم وهم يحرصون عليه الآن، هذا وقد أقامت فرنسا لهم دولة أطلقت عليها اسم دولة العلويين، وقد استمرت هذه الدولة من سنة ألف وتسعمائة وعشرين ميلادية إلى سنة ألف وتسعمائة وستة وثلاثين ميلادية.

ثم محمد أمين غالب الطويل، شخصية نصيرية، كان أحد قادهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، ألف كتاب (تاريخ العلويين)، يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة، وسليمان الأحمد شغل منصبًا دينيًّا في دولة العلويين عام ألف وتسعمائة وعشرين من الميلاد، وسليمان المرشد كان راعي بقر لكن الفرنسيين احتضنوه ،وأعانوه على ادعاء الربوبية، كما اتخذ له رسولًا هو سليمان تلميذه، وهو راعي غنم، ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال، وأعدمته شنقًا عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين من الميلاد.

جاء بعده ابنه المجيب، وادعى الألوهية، لكنه قتل أيضًا على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة آلف وتسعمائة وواحد وخمسين ميلادية، وما تزال فرقة المواخسة النُّصَيْرِيَّة يذكرون اسمه على ذبائحهم، ويقال: بأن الابن الثاني لسليمان المرشد، اسمه مغيث، وقد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه.

واستطاع العلويون أو النصيريون أن يتسللوا إلى التجمعات الوطنية في سوريا، واشتد نفوذهم في الحكم السوري منذ سنة ألف وتسعمائة وخمسة وستين ميلادية بواجهة سنية، ثم قام تجمع القوى التقدمية من الشيوعيين والقوميين، والبعثيين بحركته الثورية في اثني عشر من مارس سنة ألف وتسعمائة وواحد وسبعين من الميلاد، وتولى العلويون رئاسة الجمهورية.

النشأة والنسبة:

يقول الدكتور مصطفى الشكعة:

العلويون فرقة من الشيعة الإمامية؛ ومن ثم فإن نشأتهم الأولى هي نفسها نشأة الإمامية، غير أنها اتخذت سبيلًا آخر بعد الإمام محمد الثاني عشر القائم بالحجة، وبيان ذلك أنه كان لكل إمام باب حسب المذهب الإثنا عشرية، وكان أول باب هو سلمان الفارسي الذي يحتل مقامًا رفيعًا عند العلويين جميعًا؛ لأنه كان باب الإمام علي رضي الله عنه وآخر باب هو أبو شعيب محمد بن نُصير البصري النميري، فقد كان بابًا للإمام الحادي عشر الحسن العسكري.

أما الإمام محمد القائم بالحجة، فمبلغ علمي أنه لم يتخذ بابًا؛ لأنه ولي الإمامة سنة مائتين وستين من الهجرة وعمره خمس سنوات، واختفى وعمره إحدى عشرة سنة؛ ليتولى محمد بن نصير البصري النميري، وقد شغل وظيفة الباب للإمام الحسن العسكري الحادي عشر، زعامة فريق من العلويين؛ ولهذا ذهب بعض الدارسين إلى أن اسم النُّصَيْرِيَّة الذي عرف به العلويين في سوريا وتركيا لفترة طويلة من الزمن، إنما هو نسبة إليه.

وليس في ذلك كبير غضاضة؛ فالرجل له مكانة الخضوع والإجلال من قِبلهم، وهو رئيسهم الأول من بعد انقضاء دور الأئمة الاثنى عشر، غير أن حقيقة التسمية النُّصَيْرِيَّة جاءت نسبة إلى المكان الذي عاش فيه العلويون، واتخذوا منه دريئة وملجئًا ضد الأذى، ومستقرًا ومقامًا بعيدًا عن الاضطهاد، وهو جبل النصيرة؛ فنسبوا إلى المكان، فلما زالت أسباب الاضطهاد بزوال الاستعمار، وعاودهم الاستقرار والأمان في ظل الاستقرار، استعادوا اسمهم الأصلي الذي به يعتزون وهو العلويون نسبة إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبقدر ما كان العلويون ضائقي الصدر بتسميتهم بالنُّصَيْرِيَّة، كانوا سعداء كل السعادة؛ لاستعادة اسم العلويين، فهم يرون أن إطلاق اسم النُّصَيْرِيَّة عليهم لم يكن إلا بدواعي العداوة المذهبية، كإطلاق اسم الروافض على الإمامية، واسم النواصب على السنة.

فإذا عدنا إلى تتبع مسيرة المذهب العلوي وجدنا رئاسة العلويين تنتقل بعد ابن نصير النميري، إلى عبد الله بن محمد الجنان الجمبلاني، نسبة إلى بلدة "جمبلة" في العراق العجمي، وكان ذا علم وفلسفة، وزهد وتصوف، فأسس الطريقة الجمبلانية التي سعى من جانبه إلى إدخال كثير من الناس فيها، بحيث أصبحت صفة الجمبلانية، تعادل صفة العلوية، ومن هنا غلبت الصوفية على المذهب العلوي الذي أصبح منذ ذلك الحين يجمع بين ثلاث عقائد هامة، هي: التشيع، والاعتزال، والتصوف.

صحيح أن بعض المؤرخين يذهبون إلى أن فكرة التصوف نشأت قبل ذلك بفترة زمنية غير قصيرة، إلا أن التصوف بمعناه الواسع، ومعاناته ورياضته، لم يظهر عند العلويين بشكل واضح قبل الجمبلاني، ثم ما لبث أن ازدادت جذوره عمقًا عند المنتجب العاني، والمكزون السنجاري، ومن جاء بعدهم من زعماء العلويين، وفي مدرسة الجمبلاني في "جمبلة" نشأ ونبغ مصري ذكي هو حسين بن حمدان الخصيبي، الذي كان قد التقى بشيخه حين زار مصر، وتعلق به تعلقًا شديدًا، ودخل في طريقته، فلما عاد الجمبلاني إلى موطنه "جمبلة" تبعه تلميذه، ورحل في إثره واستقر عند شيخه عبد الله، ولمع شأنه وذاع صيته، وما إن توفي الشيخ سنة مائتين وسبعة وثمانين من الهجرة، حتى نهض الخصيبي بالعبء من بعده، وخلفه في رئاسة العلويين، وترك "جمبلة" ورحل إلى بغداد، وبعد فترة من الزمن تركها متجهًا إلى حلب حيث استقر فيها على مقربة من سيف الدولة الحمداني، ولعله استمد بعض القوة والسند من سيف الدولة الذي كان متشيعًا في سماحةٍ، محبًا لآل البيت في غير غلو، وليس من شك في أن الخصيبي قد لعب دورًا خطيرًا في تثبيت الدعوة العلوية وتكريسها، ورفض الاتحاد مع الإسماعيلية، وطوف في بلاد خراسان، والديلم، وديار ربيعة، وتغلب.

ومن هنا كان الخصيبي هو ألمع الرؤساء العلويين، وأكثرهم أثرًا في العقيدة، ساعده على ذلك عمر مديد من مائتين وستين إلى ثلاثمائة وثمانية وخمسين من الهجرة، وذكاء وقدرة على

التأليف في المذهب وتطويره إياه، حتى كان يلقب بشيخ الدين؛ فقد خلَّف من الكتب (الهداية الكبرى)، و(أسماء النبي)، و(أسماء الأئمة)، و(الإخوان)، و(المائدة)، غير أن بعض مؤرخيه ذكروا أنه كان يقول بالتناسخ والحلول، وكتاب (الهداية الكبرى)، من الكتب النفيسة ذات الأثر العميق في الفكرة العلوية التي هي في أصلها خالية من الغلو، وآية ذلك أن السيد الخصيبي أهداه لسيف الدولة الحمداني الذي كان معروفًا بالاعتدال في تشيعه، ولو كان بالكتاب شبهة غلو لكان سيف الدولة قد اعترض عليه.

وأما الكتب الأخرى، فإننا نرجح أن كثيرًا من الأيدي قد لعبت فيها، وأضافت إليها أو حذفت منها، الأمر الذي جعل جانب الغلو يغلب عليها، ومن الطريف أنه ألف أيضًا لعضد الدولة البويهي، كتابًا بالفارسية أسماه (راست باش)، أي: (كن مستقيمًا)؛ ولذلك فإن العلويين كانوا يطلقون على عضد الدولة اسم "راست باش"، ولقد تناوب رئاسة العلويين بعد السيد الخصيبي، عدد من الرؤساء الذين لم يبلغوا شأوه أو ينالوا شهرته على رفعة شأنهم، مثل السيد محمد بن علي الجلي، والسيد أبي سعيد الميمون الطبراني الملقب بشيخ الديانة العلوية، ورئيس الطريقة الجمبلانية، كان مقره في اللاذقية، وإن كان مولده في مدينة طبرية سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين من الهجرة في فلسطين، وله العديد من الكتب، وقد توفي سنة أربعمائة وستة وعشرين من الهجرة، ويعرف قبره باسم الشيخ محمد الطبراني، ويقع داخل المسجد المعروف بمسجد الشعراني باللاذقية.

ومن الأسماء الكبيرة التي تولت رئاسة العلويين، أبو حسن الطرسوسي الصغير، المتبتل العابد الصائب الزاهد، وأبو حسن الطرسوسي الكبير، ونظرًا لعبث الروم بالمنطقة العلوية، فإن الطريقة العلوية –حسبما كانت تسمى– بالنسبة لنزعتها الصوفية فقد افتقدت الرئيس، وانتقلت الرئاسة إلى أسرة البلقيني منجبة العلماء، وشيوخ الإسلام في مصر في القرون

الوسيطة، على أن العلويين، وقد استبد بهم ظلم الأكراد من ناحية، وعصف الإسماعيلية من ناحية أخرى حتى أجلوهم عن أرضهم، وكان ذلك في نهاية القرن السادس وبداية السابع.

لم يجدوا بدًا من أن يطلبوا العون والمدد من أمير مهلبي النسب، علوي المذهب فارس شاعر، هو حسن بن يوسف بن خضر المعروف بالمكزون السنجاري، الذي ورث الفروسية والأريحية من جده الأعلى المهلب بن أبي صفرة؛ فهب لنجدتهم سنة ستمائة وسبعة عشر من الهجرة، ولكن الخمس وعشرين ألف فارس الذين قادهم السنجار مقره الأول، لم يستطعوا التغلب على حشود خصومهم، فعادوا أدراجهم، وعلى رأسهم أميرهم إلى "سنجار"؛ لكي يزدادوا عدة وعتادًا واستعدادًا، ولم يحل عام ستمائة وعشرين من الهجرة، إلا وكان المكزون يقود جيشًا مكونًا من خمسين ألف مقاتل، متجهًا بهم إلى حيث تخلى عنه النصر قبل سنوات ثلاث. وفي هذه المرة كتب له الظفر بأعداء أبناء طائفته، وأعاد الأرض إلى أصحابها، ورتب شئونهم وأمَّن أحوالهم، ولما أن تم له ذلك ترك الاشتغال بالدنيا، وجنح إلى التصوف والاجتهاد وقول الشعر الصوفي، ولما توفي سنة ستمائة وثمانية وثلاثين من الهجرة دفن بقرية كفر سوسة على مقربة من دمشق، ويقال إن قبره معروف حتى الآن، ويزوره المسلمون من سنيين وعلويين، غير أن ستائر النسيان وأسباب الإهمال، وموجات التعذيب والاضطهاد، وما يستتبع ذلك من آفات الجهل والتأخر والخوف قد فعلت فعلها في القوم، فكان لكل ذلك أسبابه في عاداتهم وتقاليدهم بحيث انسحبت على عقائدهم، فكان ما كان من غلو في معتقداتهم لم يكونوا على الأغلب السبب المباشر لها، وإنما شارك في ذلك حياة مضطربة غير آمنة، ومشايخ لا يعلمون من صلب المذهب إلا القشور، والصوفية ارتبطت بمذهبهم منذ ولاية السيد الجمبلاني، لم تواكبها متابعة علمية ولا تطور ثقافي، فكانت الانحرافات التي شاعت بينهم ونُسبت إليهم بعضها صحيح وبعضها مبالغ فيها.

وإذا لم يكن بد من كلمة حق تقال في العلويين على مسرى تاريخهم الطويل، فإن كثيرا من الفضل منتسب إليهم لاصق بهم، فقد تعرضوا للغزو من قبل الصليبيين، وللمذابح من قبل السلطان سليم التركي، والاعتداء من قبل الإسماعيلية، والمضايقة من قبل السنة، وهم مع ذلك كانوا أصحاب نخوة وفروسية في الحرب في صفوف جيوش سيف الدولة الحمداني، وخاضوا المعارك الباسلة ضد الصليبيين في صفوف إخوانهم من أبناء عامة المذاهب الإسلامية، وقاوموا بعض طغاة الأتراك من الحكام الغاشمين، وكانوا صورة طيبة للجهاد على مسرى حركات الاستقلال العربية الحديثة التي آخرها أحداث "1920" في سوريا، وما حديث البطل العظيم الفارس الشجاع الشيخ صالح العلي ببعيد.

وهناك فريق آخر من العلويين، فُصل منذ وقت مبكر عن الجمهرة العلوية الجمبلانية الخصيبية، هذا الفريق هو الجماعة الإسحاقية:

والإسحاقية من حيث النشأة، يحملون اسم أبي يعقوب إسحاق بن محمد النخعي، صاحب الإمام الحسن العسكري، وكان أبو يعقوب يعرف باسم إسحاق الأحمر؛ لأنه كان أبرص، ويخفي لون برصه بصبغة حمراء.

لقد كان إسحاق النخعي من أصحاب الإمام الحسن العسكري، ثم ادعى أنه الباب للإمام العسكري، منافسًا بذلك محمد بن نصير النميري، فاتبعه بعض الناس وآمنوا به بابًا، والواقع أن كل المصادر التي تحت أيدينا صورت أبا يعقوب هذا تصويرًا يضعه في مكان من الغلو يخرج به عن حظيرة الإسلام، وذكروا أنه وجماعته كانوا يؤلهون الإمام علي بن أبي طالب، ويزعمون أنه ظهر في الحسن ثم في الحسين، وأنه هو الذي بعث محمدًا، ولقد حاول أن يثبت مذهبه في قلوب أتباعه، فألف كتابًا سماه (الصراط)، وجعل موضوعه التوحيد، أكثر فيه من الخلط والزيغ، وتوفي سنة مائتين وستة وثمانين من الهجرة، ولعل أشهر خلفائه إسماعيل بن

خلاد البعلبكي، ولكن لم يقدَّر لنشاط هذه الجماعة أن يمتد طويلًا، وما لبث أن كشف أمرهم الأمير المجاهد الحسن السنجاري المكزون، فقضى عليهم بعد ذلك.

العنصر الثاني: أفكار النُّصيرية ومعتقداتهم

جعلت النُّصَيْرِيَّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه إلهًا، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني، كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص، ولم يكن ظهور الإله عليّ في صورة الناسوت إلا إيناسًا لخلقه وعبيده، ويحبون عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي، ويترضَّون عنه لزعمهم أنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطئون من يلعنه.

ويعتقد بعضهم أن عليًا يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده، وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون: إن الرعد صوته والبرق سوطه.

ويعتقدون أن عليًا خلق محمدًا صلى الله عليه وسلم وأن محمدًا خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم: المقداد بن الأسود، ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود، وأبا ذر الغفاري الموكل بدوران الكواكب والنجوم، وعبد الله بن رواحة الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر، وعثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان، وقنبر بن كادان الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

ولهم ليلة يختلط فيها الحابل بالنابل، كشأن بعض الفرق الباطنية، يعظمون الخمر ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها؛ لأنها هي أصل الخمرة التي يسمونها النور.

يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات، ولا تشتمل على سجود، وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانًا، لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء

ورفع جنابة قبل أداء الصلاة، ليس لهم مساجد عامة بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

لهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى، مثل قداس الطيب لك أخ حبيب، وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور، وقدَّاس الآذان وبالله المستعان.

لا يعترفون بالحج، ويقولون إن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام، لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا نحن المسلمين، وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون، والصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

ويبغضون الصحابة بغضًا شديدًا، ويلعنون أبا بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

ويزعمون بأن للعقيدة باطنًا وظاهرًا، وأنهم وحدهم العالمون بباطن الأسرار، ومن ذلك: الجنابة: وهي موالاة الأضداد ،والجهل بالعلم الباطني، والطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني، والصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلا وثلاثين امرأة، والزكاة: ويرمز لها بشخصية سلمان، والجهاد: وهو صب اللعنات على الخصوم، وفشاة الأسرار، والولاية: وهي الإخلاص للأسرة النُّصَيْرِيَّة، وكراهية خصومها، والشهادة: وهي أن تشير إلى صيغة: ع م س، والقرآن: وهو مدخل لتعليم الإخلاص لعليّ، وقد قام سلمان تحت اسم جبريل بتعليم القرآن لمحمد، والصلاة: عبارة عن خمس أسماء، هي عليّ، وحسن، وحسين، ومحسن، وفاطمة، ومحسن هذا هو السر الخفي؛ إذ يزعمون بأنه سقط طرحته فاطمة، وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل، والجنابة، والوضوء.

اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم ولا يصلى على من مات منهم، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامه في الثغور والحصون.

يقول ابن تيمية في فتواه عن النُّصَيْرِيَّة: هؤلاء القوم المسمون بالنُّصَيْرِيَّة، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل التتار والفرنجة وغيرهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام، وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم.

أعياد النُّصَيْرِيَّة:

لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم، ومن ذلك عيد النيروز في اليوم الرابع من نيسان، وهو أول أيام سنة الفرس، وعيد الغدير، وعيد الفراش، وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم؛ ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء، ويوم المباهلة، أو يوم الكساء في التاسع من ربيع الأول؛ ذكرى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران للمباهلة، وعيد الأضحى، ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

ويحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس، وعيد العنصرة، وعيد القديسة "باربارة"، وعيد الميلاد، وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخًا لبدء الزراعة، وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية، وعقود الإيجار والاستئجار، ويحتفلون بيوم "دالام"، وهو اليوم التاسع من ربيع الأول، ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرحًا بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية لهذه الطائفة:

لقد استمدوا معتقداتهم من الوثنية القديمة، وقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكنًا للإمام علي، وتأثروا بالأفلاطونية الحديثة، ونقلوا عنهم نظرية الفيض النوراني على الأشياء، وبنوا معتقداتهم على مذاهب الفلاسفة المجوس، وأخذوا عن النصرانية، ونقلوا عن الغنوصية

النصرانية، وتمسكوا بما لديهم من التثليث والقداسات وإباحة الخمور، كما نقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والأسيوية الشرقية، وهم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية، وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة بعامة، والسبئية -أي جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي- بخاصة.

انتشارهم ومواقع النفوذ:

يستوطن النصيريين منطقة جبال النُّصَيْرِيَّة في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخرا في المدن السورية المجاورة لهم، ويوجد عدد كبير منهم أيضًا في غربي الأناضول، ويعرفون باسم التختاجية والحطابون، فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم "القزا الباشين"، ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم "الباكتاشية"، وهناك عدد منهم في فارس وتركستان، ويعرفون باسم "العلي إلهية"، وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين.

ويتضح مما سبق أن النُّصَيْرِيَّة، فرقة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، وهي فرقة غالية خلعت ربقة الإسلام وطرحت معانيه، ولم تستبق لنفسها منه سوى الاسم، ويعتبرهم أهل السنة خارجين عن الإسلام، ولا يصح أن يعاملوا معاملة المسلمين؛ بسبب أفكارهم الغالية وآرائهم المتطرفة، ومن ذلك آراؤهم التي تهدم أركان الإسلام، فهم لا يصلُّون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة، ولهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى، ولا يعترفون بالحج، أو الزكاة الشرعية المعروفة في الإسلام.

هذا؛ وهناك كتاب للعلويين يسمى كتاب (المجموع)، وله سور: فيه السورة الأولى، واسمها الأول: "قد أفلح من أصبح من ولاية الأجلح، أستفتح بأبي عبد استفحت بأول إجابتي بحب قدس معنوية أمين النحل علي بن أبي طالب، المكنى بحيدرة أبي كراب، فيه استفتحت وفيه

استنجحت، وبذكره أفوز وفيه أنجو، وإليه ألجأ وفيه تباركت وفيه استعنت، وفيه بدأت، وفيه ختمت بصحة الدين وإثبات اليقين".

قال السيد أبو شعيب محمد بن نصير ليحيى بن معين السامري: "يا يحيى إذا نزلت بك نزلة بالحياة، ودهت بك داهية بالممات، فادع دعوة عالية خالصة مخلصة، تقية نقية بيضاء، علوية طاهرة زكية مشعشعة نورانية، تخلصك من هذه القمصان البشرية اللحمية الدموية، وتلحقك بالهياكل النورانية، فقل: فيك تباركت يا دليلًا بدلته، يا ظاهرًا بقدرته، يا باطنًا بحكمته، يا مجيبًا ذاته بذاته، يا مخاطبًا اسمه بصفاته، يا هويا كل قديم يا أزلي، لم تزل يا معلل العلل، يا مفني حركات الدول، يا غاية الغايات، يا منهي النهايات، يا عالمًا بأسرار الخفيات، يا حاضر يا موجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطنًا بغير عمود، يا من أنوارك منك تشرق، وفيك تغرب، ومنك بدت وإليك تعود، يا من جعل لكل نور ظهورًا، ولكل ظهور اسمًا، ولكل اسم مكانًا، ولكل مكان مقامًا وكل مقام بابًا يرشد الباب منه إليه، ويدخل الباب منه إليه.

وأنت يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب الدليل عليه والكل أنت، هو يا هو يا هو يا من لا يعلم ما هو إلا هو، وأسألك بمسائل السين سلكونًا سلكًا سلك سالك سلك بما سألك به السائلون بمرشد المرشدين، وبعلي زين الدين، والعابدين أن تؤلف ما بين قلوبنا، وقلوب إخواننا المؤمنين على البر والتقوى، والتقويم والعلم والدين، نذكر حضرتك الطاهرة، وقدرتك الباهرة، ورحمتك الشاملة، والفرد اللازم، والحق الواجب، هي أسرار وتذكار، وجلال وافتخار، وعز وانتصار، وطلعتك الزاهرة، وقبابك الفاخرة، وقبة العلي، وتاج الهدى والدين القيم، والصراط المستقيم، ومن عرف باطنه وظاهره فاز ونجا، والذي قد عرفنا به سيدنا سلسل السليمان يتلى، وقد دلنا إليه وأرشدنا إليه شيخنا وسيدنا، وتاج رءوسنا وقدوة ديننا، وقرة أعيننا السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدس العلي روحه؛ لأن مقامه مقام

الصفا، ومحله الصدق والوفا، بسم الله وبالله، وسر السيد أبي عبد الله العارف بمعرفة الله، سر تذكاره الصالح سره، أسعده الله". انتهت السورة الأولى.

وعلى غرار ذلك تأتي السورة الثانية، واسمها تقديسة ابن الولي، والسورة الثالثة، واسمها تقديسة أبي سعيد، والسورة الرابعة، واسمها النسبة، والسورة الخامسة، واسمها الفتح، والسورة السادسة، واسمها السجود، والسورة السابعة، واسمها السلام، والثامنة، واسمها الإشارة، والتاسعة، واسمها العين العلوية، والعاشرة، واسمها العقد، والحادية عشرة، واسمها الشهادة، والعامة تسميها الجبل، والسورة الثانية عشرة، واسمها الإمامية، والثالثة عشرة، واسمها المسافرة، والرابعة عشرة واسمها البيت المعمور، والسورة الخامسة عشرة، واسمها الحجابية، والسورة السادسة عشرة، واسمها النقيبية من التنقيب، ﴿ فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ق: 36].

نذكر أسامي السادة النقباء الذين اختارهم السيد محمد من السبعين رجلًا في ليلة العقبة في وادي منى: أولهم أبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهلي، والبراء بن معرور الأنصاري، والمنذر بن لوذان بن كناس الساعدي، ورافع بن مالك العجلاني، والأسد بن حصين الأشهلي، وعباس بن عبادة الأنصاري، وعبادة بن الصامت النوفلي، وعبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري، وسالم بن عمير الخزرجي، وأبيّ بن كعب، ورافع بن ورقة، وبلال بن رباح الشنوي، وسر نقيب النقبا ونجيب النجبا، سيدنا محمد بن سنان الزاهري، علينا من ذكرهم الرضا والسلام.

هكذا تزعم النُّصَيْرِيَّة هذه المزاعم، ولها هذا الكتاب الذي تذكر الله به وتقرؤه، ويكون بديلًا عن القرآن الكريم، فضلًا عن ما عند العلويين من عادات ترتبط بهم في أكلهم وشربهم، وفي زواجهم وما يحلون، وما يحرمون مما لا يمت إلى دين الله بصلة؛ ولذلك كان حكم علماء الإسلام فيهم –كما سمعنا فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية– أنهم أكفر من اليهود والنصارى.

الدرس التاسع: فرقة الدروز

عناصر الدرس

العنصر الأول: التعريف بفرقة الدروز، ومؤسسها، وأبرز شخصياتها

العنصر الثاني: العقيدة الدرزية

العنصر الأول: التعريف بفرقة الدروز، ومؤسسها، وأبرز شخصياتها

الدروز: فرقة إسماعيلية باطنية اتسمت بطابع الباطنية، حيث أخفوا عقيدتهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية، وقد نشئوا في إبان العصر الفاطمي، وظلوا منطوين على أنفسهم ينأون بعقيدتهم أن تذاع، ويحرصون على اعتقاداتهم أن تشيع، وتعرف بين سائر الناس، هم قوم يسكنون أنحاء متفرقة من لبنان، وبعض مناطق سوريا، ونتيجة لانطوائهم، كثرت حولهم الأقاويل وتناثرت حولهم الظنون؛ حيث عُرفوا بادعاءات باطلة، وافتراءات خبيثة.

هذا؛ والدروز فرقة تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، قد أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى "مشتكين" الدرزي، نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، وعقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس ولا تعلمها حتى لأبنائها، إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

هذا، ويُجمع الكتاب والمؤرخون على أن هذه التسمية، تسمية مذهبية دينية نشأت منذ أوائل القرن الخامس الهجري، نسبة إلى داعية من دعاة تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي حكم مصر، وهو محمد بن إسماعيل الدرزي، المعروف باسم "مشتكين" الدرزي، المتوفى سنة "ألف وتسعة عشر" من الميلاد، لكن المؤرخين للطائفة يذكرون أن الطائفة لا تزال حتى الآن تلعنه، وأنها هي التي قتلته، وكانت له ميول يهودية مجوسية، وتتحدث عنه (الموسوعة العربية الميسرة)، على أنه واحد من منشئي عقيدة الدروز، وليس أهمهم، ويقال: إن حمزة أهم هؤلاء، بدأ حياته داعيًا باطنيًّا، وفد إلى مصر سنة "ألف وسبعة عشر" ميلادية، أيام الحاكم بأمر الله بعد أن اعترف بإمامة حمزة، وخدم الحاكم ونال رضاه، حتى سعى إلى خلع حمزة والحلول محله، أي: في إمامة الدعوة لتأليه الحاكم؛ ومن هنا قام صراع عنيف بينهم، وبسبب ذلك غادر مصر، وجاء إلى وادي التين –الموطن الأصلي للطائفة– يدعو لفكره، لكن خلافه مع حمزة تابعه هناك، فقتلوه وتبرؤوا منه.

ويقول الدكتور الشكعة: "إن هناك آخر اسمه أبو منصور أنشتوكين الدرزي بضم الدال، كان أحد قواد الحاكم بأمر الله، ويقال إن الطائفة تنتسب إليه، ولا تزال الطائفة حتى الآن تجله، وسواء كان الانتساب لهذا أو لذاك فهو انتساب مذهبي عقدي ناشئ".

أبرز الشخصيات لهذه الطائفة في محور العقيدة الدرزية:

هو الخليفة الفاطمي أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، الملقب بالحاكم بأمر الله، ولد سنة "ثلاثمائة وخمسة وسبعين" من الهجرة الموافق لسنة "تسعمائة وخمسة وثمانين" من الميلاد، وقتل سنة "أربعمائة وإحدى عشرة" هجرية، "1021" من الميلاد، كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك، والمؤسس الفعلي لهذه العقيدة، هو حمزة بن علي بن محمد الزلزني من سنة "ثلاثمائة وخمسة وسبعين" هجرية إلى "أربعمائة وثلاثين" هجرية، وهو الذي أعلن سنة أربعمائة وثمانية من الهجرة أن روح الإله قد حلت في الحاكم، ودعا إلى ذلك وألف كتب العقائد الدرزية.

ومن أشهر المؤسسين وأبرز الشخصيات أيضًا، محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بـــ"مشتكين"، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز، إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة أربعمائة وسبعة من الهجرة؛ مما أغضب حمزة عليه، وأثار الناس ضده، حيث فر إلى الشام، وهناك دعا إلى مذهبه وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه؛ لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبر لقتله سنة أربعمائة وإحدى عشرة هجرية.

والحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع، وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس، وبهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف، كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب، وقت غياب حمزة سنة أربعمائة وإحدى عشرة من الهجرة، وقد ألف كثيرًا

من نشراتهم، مثل رسالة (التنبيه والتأنيب والتوبيخ)، ورسالة (التعنيف والتهجين) وغيرها، وهو الذي أغلق باب الاجتهاد في المذهب؛ حرصًا على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي.

أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي، صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة، وهو الذي يليه في المرتبة.

وأما من الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة: كمال جمبلاط، زعيم سياسي لبناني، أسس الحزب التقدمي الاشتراكي، وقتل سنة "1977" من الميلاد، وليد جمبلاط، وهو زعميهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب، والدكتور نجيب العسراوي، رئيس الطائفة أو رئيس الرابطة الدرزية بـــ "البرازيل"، وعدنان بشير رشيد رئيس الرابطة الدرزية في "استراليا"، وسامي مكارم الذي ساهم مع كمال جمبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز.

هذا؛ والناس في الدرزية على درجات ثلاث: العُقَّل، وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه، وهم ثلاثة أقسام أيضًا: رؤساء، أو عقلاء، أو أجاويد، ويسمى رئيسهم شيخ العقل، والأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها، والجهال: وهم عامة الناس، والدروز يفضلون أن يطلق عليهم اسم الموحدين، وإن كانوا لا ينكرون تلقيبهم بالدروز.

وقد اختلف المؤرخون في لفظ الدرزي، وهل هي بضم الدال وسكون الراء، أو بفتح الدال والراء كليهما دَرَزي؛ ذلك أن هناك شخصين ارتبط كل منهما بالدروز سلبًا أو إيجابًا، فهناك محمد بن إسماعيل الدَّرَزي بفتح الدال المشددة وفتح الراء، وهو أحد الداعين لتأليه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، وقد بشر بمذهبه هذا في وادي التين الموطن الأول للدروز، وكانت له ميول يهودية مجوسية، يقال: إن الدروز قتلوه وهو المعروف باسم "مشتكين" الدرزي، وهناك آخر اسمه أبو منصور أنشتكين الدُّرْزي بضم الدال المشددة وسكون الراء، وهو أحد

قواد الحاكم بأمر الله، ويقال إن الطائفة تنسب إلى هذا الأخير دون الأول، وما زال الدروز حتى اليوم يلعنون "مشتكين"، ويجلون "أنشتكين".

واختلف المؤرخون إذن في نسبة الدروز إلى أيّ من الشخصين سالفي الذكر، ومهما كان الأمر، فإن "أنشتكين"، قد بشر بألوهية الحاكم في واديتيم الله بن ثعلبة، ووجد بعض الأنصار الذين خُدعوا بدعوته، وظل هؤلاء على مسرى التاريخ عنصر فساد في صفوفهم ودعاة بدعة، وفرقة لما تنطوي أهدافهم عليه من سوء الطوية إزاء الإسلام، وصفوف المسلمين.

والدروز عرب خلص، وهم لخم وتنوخ، وهما قبيلتان عربيتان لكل منهما ماضٍ مشرق، وإن لم يكن كل أبناء القبيلتين ممن اعتنقوا المبادئ الدرزية، حتى إننا نجد أحيانًا الأسرة الواحدة، وقد ضمت فروعها سُنِّيين وإمامية ودروزًا، وقد لعب الدروز دورًا مشرفًا إبان المحن التي تعرض لها الوطن الإسلامي؛ فقد حاربوا الصليبيين تحت راية صلاح الدين، وحاربوا التتار تحت راية بيبرس، وكانوا المرابطين الساهرين على الثغور البحرية الشامية، ولم يزل للدروز نصيبهم في الكفاح متصل الحلقات.

ويسكن الدروز حاليًا بعض مناطق جبال لبنان، مثل: مناطق الشوف والمتن والجنوب، ولهم مدن ذات تاريخ مجيد في حركتهم، مثل: أبية، والشويفات، وبعقلين، وكان لهم في هذه المدن إمارات، وهناك قرى كانت درزية في الماضي، مثل دار القمر المعروف بدير القمر التي كانت بلدة الدروز الرئيسية في القرن التاسع عشر، وكانت في يوم ما عاصمة للمعنيين، والأمر كذلك بالنسبة لـــ"بسكنتا"، و"بكفيا"، بل وكثير من قرى الجبل كسروان، وفي سوريا، ويكثر الدروز في جبل حوران، المعروف حاليًا باسم جبل العرب، كما يسكنون في جبل السماق، والجبل الأعلى، وقرى قنسرين وبعض قرى أنطاكية في لواء الإسكندرونة، ويكثر الدروز أيضًا في بعض أقاليم فلسطين المحتلة، مثل: صفط ،وعكا، وجبل الكرمل، وطبرية.

وإذا كنا قد عرضنا لتاريخ الدروز، ونسبتهم وأصلهم القبلي في بساطة في قولهم إنهم ينتمون إلى قبائل لخم وتنوخ، فإن بعض المؤرخين الدروز يميلون للغوص بنسبهم إلى أغوار بعيدة سحيقة، ولكن في حوزة العروبة، حيث يقولون إنهم من عرب سوريا والعراق، وجِدوا فيهما منذ فجر التاريخ، ولبثوا قائمين على الدهر بمن اندمج فيهم وانضم إليهم من عرب اليمن والحجاز الذين قدموا هذه البلاد واستوطنوها؛ فامتزجت دماؤهم قبل النصرانية والإسلام، وقبل بعث موسى وعيسى ومحمد الذين اعتنقوا دياناتهم على التعاقب.

فالدروز إذن، فرقة إسماعيلية باطنية، وهم يعتبرون أنفسهم الآن ولألف سنة مضت أو أكثر في دور الستر؛ فلا يكشفون عن أمر عقائدهم وأئمتهم، ما يلقي بعض الضوء على مذهبهم، الأمر الذي ربما شجع الكثيرين من المزيفين على أن يخترعوا بين الحين والحين بعض الرسائل وينسبوها إلى الدروز.

وأغراض الاستعمار واضحة في التطاول على الدروز، فطبيعة الاستعمار لكي يسود ويعيش يعمل على التفرقة بين صفوف الأمة الواحدة؛ فهو يغري السنة ضد الشيعة، والجعفرية ضد الدروز والدروز ضد السنة وهكذا؛ حتى يستطيع أن يقيم لنفسه سندا ودعامة، ولكننا لا نبرئ أنفسنا من الإهمال، فبالاستطاعة أن يكشف كل فريق من الفرق الإسلامية عن طبيعة مذهبه؛ حتى نقطع الطريق على المزيفين؛ خاصة أننا في زمان كُفلت فيه حرية العقيدة إلى حد بعيد، بل إلى أقصى الحدود، ويعرف الزهد عند الدروز ففيهم زهاد ولهم أدباء.

العنصر الثاني: العقيدة الدرزية

العقيدة الدرزية: يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع، ويقول الدكتور/ مصطفى الشكعة : "الحديث عن العقيدة الدرزية أمر لا يخلو من كثير من الحرج، فالقوم وإن كانوا يتصفون بالأخلاق الكريمة، والمروءة والوفاء والوطنية، لكن طبيعة الستر

الذي يسدلونه على عقائدهم جعلت الناس يذهبون في ذلك المذاهب شتى، فإن من الكتَّاب من نسب إليهم ما يخرج بهم عن حظيرة الإسلام، بل ما يسيء إلى مسلكهم الخلقي، ومن أجل ذلك سأحاول أن أقدم عقيدة الدروز من واقع الكتب التي تعرضت لهم سواء أكان ذلك لهم أم عليهم، مع معرفتي واتصالي بكبار رجالهم، ومن قد سمحت لهم طبيعة المذهب أن يصرحوا به.

فهم يؤمنون بألوهية الحاكم، والذي لا شك فيه أن الدروز أتباع للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي المعروف، وقد كثرت أقوال المؤرخين حول الحاكم، فأكثر المؤرخين أيد أن الحاكم قد ادعى الألوهية فترة من حياته، ثم عاد وعدل عنها، ثم عاد مرة أخرى وادعى تجسم الإله وحلوله في شخصه، وظل على دعواه تلك إلى أن اختفى، موتا أو قتلا أو غيبة حسب اختلاف مسميات وفاته، وأن داعية من دعاته اسمه "مشتكين" الدرزي، قد بشر بألوهيته بين سكان وادي التيم في الأقطار الشامية، فآمن القوم به، بل هناك من يقول بأن من المحتمل أن يكون ادعاء الحاكم للألوهية، ليس إلا نتيجة لتعاليم "مشتكين" المذكور.

وأصحاب هذا الرأي لا يقصرون أمر تأليه الحاكم على "مشتكين" وحده، بل يذكرون أن حمزة بن علي أكثر الناس التصاقًا به، وصفيه وفيلسوف المذهب قد صنف كتبًا ذكر فيها أن روح الله سبحانه وتعالى حلت ثم انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى العزيز، ثم إلى ابنه الحاكم؛ وإذن فالحاكم في نظر حمزة، واتباعه إله بطريق الحلول، كما أن له في تأليه الحاكم كلاما كثيرا، وكان لحمزة أنصار كثيرون آمنوا بفكرته في الحاكم، وجاهروا بنشر هذه الدعوة الجديدة، ولعل أكثرهم حماسًا، رجلًا يقال له حسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم، وقد قرَّب الحاكم هذا الرجل إليه وخلع عليه، ولكن فكرة تأليه الحاكم لم تلقَ غير الاشمئزاز والسخرية من الناس، فتقدم رجلٌ كرخي ذات يوم من الأخرم، وألقاه عن فرسه ثم

قتله، فما كان من الحاكم إلَّا أن أمر بقتل الكرخي، غير أن الناس انتهزوا الفرصة، فهاجموا دار الأخرم ونهبوها.

فالدروز في نظر تلك الطائفة من المؤرخين، هم الذين آمنوا بألوهية الحاكم، وقد أدى ذلك إلى فتنة كبرى في صفوف طائفة الإسماعيلية، الأمر الذي استدعى حميد الدين الكرماني -أكبر علماء الإسماعيلية- إلى أن يترك مقره بالعراق، وأن يفد إلى مصر؛ لكي يساهم في القضاء على تلك العقيدة الجديدة، وأن يكتب رسالة عُرفت باسم (الرسالة الواعظة)، يثبت فيها كفر من تحدثه نفسه بتأليه الحاكم بأمر الله، و لم يترك الكرماني مصر إلَّا بعد قتل الحاكم بأمر الله؛ ولذلك فإن الدروز يعتبرون أول فرقة انشطرت عن فرقة الإسماعيلية.

تأليه الحاكم في مصحف (المنفرد بذاته):

لقد كان حمزة بن علي، مؤسس العقيدة الدرزية والملقب في مصحف (المنفرد بذاته)، بالرقيب العتيد، قد وضع ميثاقًا أطلق عليه ميثاق وليّ الزمان، ذهب فيه إلى تأليه الحاكم بأمر الله تأليهًا صريحًا، وأوجب على كل من يمارس شعائر دينه أن يعترف بكل محتوياته، وأن يتعهد بالإيمان بكل فقراته، أما مقدمة الميثاق فهذا نصها طبقًا لما جاءت في مصحف (المنفرد بذاته):

هذا هو الميثاق والعهد الذي أمر مولانا الحاكم -جل ذكره- بكتابته على جميع الموحدين الذين آمنوا به -جل ذكره- وليوفوا بعهدهم الذي عاهدوا يا أبناء إسحاق، ثم وليشهد بذلك ذَووا عدل من الموحدين السابقين على كل ميثاق، ومن آب من آمن من الكفر، و لم يول وجهه قبل القادر القاهر مولانا الحاكم البار، فلسوف يجعل له مولانا فتنة ومتاعًا إلى حين، وهذا ما يكتبه ويشهد به الشاهدان ذوا العدل بلسان الفرد وإيقانه، وهاك هو، أي: أن هذا الميثاق، فذلك نصه:

"توكلت على مولانا الواحد، توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، ألا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، ومن هو في السماء إله، وفي الأرض إله، قد أقر فلان بن فلان إقرارًا أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه في جميع أدواره في الصحة من عقله وجسمه وخالص أمره، طائعًا غير مكره ولا مجبر، بظاهره وبباطنه، ومؤمنًا غير منافق ولا مخاتن، إنه قد تبرأ من جميع الديانات والمذاهب والمقالات، والاعتقادات جميعًا بتباينها واختلافها، وأنه لا يشرك في عبادة مولانا الحاكم -جل ذكره- أحدًا ماضيًا أو حاضرًا أو آتيا، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله، وولده، وجميع ما ملكته يداه في جميع أدواره، ما كرَّ الجديدان ومر الملوان، وما كور الليل على النهار، وكور النهار على الليل، هو وذريته في شتى أدوارهم ومحياهم لمولانا الحاكم -جل ذكره- ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض أو منكر شيئًا من أفعاله، ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم -جل ذكره- وهو ما كتب على نفسه، وأشهدنا به على روحه، أو أشار بالرجوع عنه إلى غيره، أو خالف شيئًا من أوامره، كان فلان بن فلان محرومًا من جميع الحدود، وكان مولانا الحاكم -جل ذكره- بريئًا منه والمؤمنون الموحدون في جميع أدوارهم، واستحق العقوبة من الباري العلي -جل ذكره- بأيدي المؤمنين، وأن فلان بن فلان هو قد أقر أن ليس في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم -جل ذكره، وتعالت مطالعه ومشارقه- وبذلك دخل فلان بن فلان، وأصبح من الموحدين المؤمنين الفائزين السابقين. كُتب في شهر كذا، من سنة كذا، منسين عبد مولانا -جل ذكره- ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين بسيف مولانا -جل ذكره- وبشدة سلطانه وحده، ثم يوثق على هذا الميثاق شاهد وكاتب.

إن هذا النص، مأخوذ من مصدر موثق غير مطعون فيه، يدل دلالة واضحة على أن الحاكم بأمر الله، مؤلَّه عند كثير من الطائفة المتدينة من الدروز.

هذا؛ وتدور أعراف مصحف (المنفرد بذاته)، أي: سوره -إن صح أن تسمى سورًا- على محور واحد، هو تأليه الحاكم بأمر الله، ففي عرف صلاة الفجر يرد هذا النص: "تفكر بهذه الصلاة يا أبا إسحاق، وتمعن في بيانها بالتوجه إلى مولانا الحاكم الخالق، وصل له غب كل فجر؛ كي يمر عليك طيب نسيم العرفان".

وهكذا، إلى آخر تلك النصوص، أو إلى آخر تلك الترهات.

إذن؛ فهم مع قولهم بألوهية الحاكم، يعتقدون وجود مصحف يؤمنون به يسمى (المنفرد بذاته)، ونلحظ في هذا المصحف، وفي أعرافه عدة أمور تلفت النظر بشدة:

أولها: تأليه الحاكم بأمر الله تأليهًا صريحًا

وثانيها: اقتباس آيات من القرآن الكريم، أو فقرات من بعض الآيات، وربطها بجمل العرف وكأنها جزء منه.

وثالثها: تحريف بعض جمل القرآن الكريم واستبدال لفظة غير قرآنية بأخرى قرآنية، مع المحافظة على المعنى القرآني في نطاق هذه الجملة وتلك.

ورابعها: الإتيان بالجمل القرآنية، واستبدال اللفظة غير القرآنية بأخرى قرآنية مع مخالفة المعنى القرآني.

وخامسها: تقليد الإيقاع القرآني والإتيان بفقرات قرآنية من سورة ما، ومحاولة الربط بين هذه وتلك في نطاق المعنى المستهدف.

على أن مصحف (المنفرد بذاته)، أحيانًا لا يكتفي في أعرافه بمجرد تأليه الحاكم بأمر الله، وسوق عبارات تسبيحه، وإنما يعمد إلى استعمال تعبيرات وتوجيهات، واتهامات يجد القارئ نفسه مضطرًا لأن يقف عندها طويلًا، محاولًا استنطاقها مجهدًا ذهنه في فهم كنهها، مستهدفا إدراك ما ترمي إليه؛ ذلك لأن فيها الكثير من ألفاظ الضلالة والمخادعة والكفر والنفاق،

مقرونة بذكر الصلوات ذات الركوع والسجود، وهي خمس صلوات كل يوم، وأن الذين يؤدون هذه الصلوات يتجهون بأجسادهم إلى بيت الحجارة.

إن هذه الصيغ المثيرة، تحتشد بشكل ملفت للنظر في عرف صلوات الشرائع، وإن لم يوضح أي الشرائع هي، وقد يكون من المفيد إثبات نص هذا العرف، وهو كما يلي: "يا أيها الموحدون خذوا حذركم، يود الذين ظلوا على أصنامهم عاكفين لو يرجعونكم إلى دينهم وعقائدهم الباطلة، فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وحق، إن صلاتهم ذات الركوع الجسدي والسجود الظاهري، واتخاذهم كلام الكتاب رئاءً، ووسيلة يخادعون بها الله الحاكم البر والموحدين، وما يخدعون إلا أنفسهم وهم يعلمون، لقد ضل قوم اتجهوا بأجسادهم إلى بيت حجارة قلوبهم، وغلوا في كفرهم، فألبس عليهم كل يوم خمس صلوات، وضلوا عن نهج صاحب البيت -جل ذكره- وهو معهم، وتجلى لهم في مشرق شمس ناسوتية ذات المشرقين والمغربين، تعالى الله مولى الموالي عن نقص المنتقصين، وبهتان المتكبرين وفي أنفسهم وما يبصرون، وغرتهم الأماني أماني أصنام كعبتهم وأربابها، يا أيها الذين سمعوا بآذان قلوبهم، شدوا طير التوحيد على أفنان أشجار العرفان والتأييد، زكوا أنفسكم من القرب والاستماع إلى ضلالات قوم استحبوا العمى على الهدى، واعلموا أن مولاكم هو رب المشارق والمغارب، وأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله مولاكم الحاكم".

ومجمل القول في مصحف (المنفرد لذاته)، أنه فيما تدل نصوصه كتاب منزل من الحاكم بأمر الله على وزيره ومشيره حمزة بن علي، الذي يعتبر رسول الحاكم إلى الناس، ومن يطلع على هذا الكتاب تقع عيناه على عبارات تأليه الحاكم بأمر الله في كل عرف من أعرافه، وفي أكثر صفحاته، ثم هو بعد ذلك محاولة لتقليد أسلوب القرآن الكريم، ويضم عددًا غير قليل من آيات القرآن، ولكنه يجريها في خدمة تأليه الحاكم بأمر الله هذا، فضلًا عن تحريف كثير من آيات القرآن الكريم، أو الإتيان بآية من هنا وجملة قرآنية من هناك، ومحاولة الربط بينها،

والذهاب بها جميعًا بعيدًا عن معنى النص القرآني، وتكريسها لهدف تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وتأتي بعد هذا الكتاب رسائل حمزة في تأليه الحاكم، كما يؤكد كتاب (النقط والدوائر)، على ألوهية الحاكم تأليهًا شديدًا، وقد ذكر بعض التصرفات التي كان يقوم بها الحاكم بأمر الله إبان خلافته في القاهرة، مثل المظاهر الفخمة كالخروج بالعساكر في المواكب حينًا، وإظهار الزهد وركوب الأتان حينًا آخر، فيقول: "فلما انوجد العزيز والحاكم، كملت المقامات الخمسة، وهي الإمامة الظاهرة، ومعنى ظاهرة؛ لأنه رحمه الله تولى الخلافة والملك والسلطنة، وأقام بدين التأبولية، وظهر بالمعجزات الباهرة، وبالقدرة العظيمة، وأفاض السجلات والمجالس وظهر بالعساكر العظيمة والجاه، وتم على هذه الحال مدة، ثم ظهر بالزهد وتنزه عن الدنيا، ولبس الصوف، وتربية الشعر وركوب الأتان، فلما تقضت مدة الإمامة تجرد الحاكم –تعالى بالوحدانية– في أول الثامنة، وأعطى الإمامة لصاحبها ومالكها بالحقيقة، حمزة بن علي –صلى الله عليه – وأعطى لعليّ الظاهر السلطنة ودين التأويل..." إلى آخر هذا النص.

وأما صور بعض الأنبياء، كما يراها مؤلف (النقط والدوائر)، يؤكد مرات عديدة على ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي، برسالة موسومة باسم (كشف الحقائق)، وهنا في وثيقة أخرى يعود؛ لكي يؤكد هذه الألوهية، ولكن صاحبها –أي: الحاكم بأمر الله– يظهر في فترات زمنية متباعدة، ثم لا يلبث أن يختفي لكي يعود إلى الظهور في فترة أخرى وهكذا دواليك، على أن النص الذي نحن بصدد تقديمه هنا، لا يكتفي بموضوع تأليه الحاكم بأمر الله في إحدى مراحل ظهوره وحسب، ولكنه يعرض لظهور بعض الرسل الكرام والأنبياء البررة، ثم آدم وشيث، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، ويجعل مؤلف الكتاب لكل نبي أساسًا، فآدم أساسه شيث، وإبراهيم أساسه إسماعيل، وموسى أساسه هارون، وعيسى أساسه شمعون، ومحمد أساسه علي بن أبي طالب.

والأمر الجدير بالغرابة، أن يذكر الأئمة الإسماعيلية السبعة، ويجعل من محمد بن إسماعيل صاحب أساس وكتاب وشريعة، أي: أنه نبي مرسل، كما أنه يحمل على شريعة نوح، ويصفها بأنها شريعة مذمومة، ويذكر سيدَنا محمد بما لا يليق أن يذكر به، وأعزف عن ذكر هذا النص الذي ضم كفرًا بواحًا.

فالدروز ينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، بل ويلقبونهم بالأبالسة، ويعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة، ويبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة، ويستبيحون دمائهم وأموالهم، وغشهم عند المقدرة، ويعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام، وعبادات الإسلام وأصوله كلها، ويحج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند، متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند، ولا يكون الإنسان درزيًّا إلا إذا كتب أو تلا الميثاق الخاص، ويقولون بتناسخ الأرواح، وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسد أسعد أو أشقى، وينكرون الجنة والنار، والثواب والعقاب الأخرويين، وينكرون القرآن الكريم، ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحفهم الخاص بهم المسمى بـــ(المنفرد بذاته)، الذي أشرنا إليه.

ويرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا، ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة، وإلى حكماء الهند القدامى، ويبدأ التاريخ عندهم من سنة أربعمائة وثمانية من الهجرة وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم، ويعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة، وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين، ويعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء، هم: حمزة، وإسماعيل، ومحمد الكلمة، وأبو الخير، وبهاء، ويحرمون التزواج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة، ويحرمون البنات

من الميراث، ولا يعترفون بحرمة الأخ والأخت من الرضاعة، ولا يقبل الدروز أحدًا في دينهم، ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.

وينقسم المجتمع الدرزي المعاصر -كما هو الحال سابقا من الناحية الدينية- إلى قسمين: الروحانيين: وبيدهم أسرار الطائفة، وينقسمون إلى: رؤساء، وعقلاء، وأجاويد، والجسمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية، وهم قسمان: أمراء، وجهال.

أما من الناحية الاجتماعية، فلا يعترفون بالسلطات القائمة، إنما يحكمهم شيخ العقَّل ونوابه وفق النظام الإقطاعي الديني، ويعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي، وبواسطته وجدت النفس الكلية، وعنها تفرعت المخلوقات.

ويقولون في الصحابة أقوالًا منكرة، منها: قولهم الفحشاء والمنكر هما: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما وبرأهما مما يقولون.

التستر والكتمان من أصول معتقداتهم، فهي ليست من باب التقية إنما هي مشروعة في أصول دينهم، ومناطقهم خالية من المساجد، ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها، ولا يسمحون لأحد بدخولها، ولا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، إنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولة بمحافظة دمشق، ولا يتلقى الدرزي عقيدته، ولا يبوحون بها إليه، ولا يكون مكلفًا بتعاليمها إلا إذا بلغ الأربعين، وهو سن العقل لديهم.

ويصنَّف الدروز ضمن الفرق الباطنية؛ لإيمانها بالتقية، والقول بالباطنية ،وبسرية العقائد، وتؤمن بالتناسخ، بمعنى: أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنسانًا آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنسانًا ثالثًا، وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.

وللأعداد: خمسة وسبعة، مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

والعقيدة الدرزية حسب كتاب (النقط والدوائر)، الذي يعد أهم كتب العقيدة الدرزية، والذي تغلب نسبته إلى حمزة بن علي، الذي يحتل من العقيدة فوق ما يحتل أي نبي بالنسبة لرسالته، وإن كان من المحتمل أن يكون الكتاب ليس من وضع حمزة وحده، وإنما هو من وضع حمزة وآخرين ممن اعتنقوا هذا المذهب، والحجة في ذلك هو اختلاف أسلوب الكتاب من باب إلى آخر، مع تباين النمط الفكري والتعبيري من فصل إلى فصل، ومن رسالة إلى أخرى، فبينما نراه عذب الأسلوب متقن الصياغة، متسلسل التفكير في رسالة بعينها، لا نلبث أن نجده رديء الأسلوب، مهلهل الصياغة، عي التعبير في رسالة أخرى، ربما كانت مقدمة الكتاب هي أبلغ ما فيه من حيث رشاقة الأسلوب، ووضاءة العبارة، وفيها يسميه مجموع الدرر والنوادر وكتاب (النقط والدوائر).

ويشرح المؤلف مقصده من ذكر النقط والدوائر، ومدلولات كل منها، فيقول في مقدمته: "إن الكتاب يحتوي على ذكر نقطة النور، ونقطة الظلمة، ونقطة الإبداع، ونقطة الحياة، ونقطة الطبائع الأولية الجزئية، ونقطة الطبائع الضدية الجزئية، ونقطة الهيول، ونقطة العالم العلوي، ونقطة العبادات، ونقطة البيكار، ونقطة الطبائع الدينية، ونقطة الفرض، ونقطة الإسقاط، ونقطة المقابلة بين الطبائع الولية والضدية".

هذا ما كان من أمر النقط، أما الدوائر، فإن المؤلف يذكر أنها دائرة النور، ودائرة الظلمة، ودائرة الإعلالية، ودائرة النفس، ودائرة الطبائع الضدية، ودائرة الطبائع الولية، ودائرة الأفلاك، ودائرة العبادات التوحيدية والتلحيدية، ودائرة الطبائع الدينية، ودائرة الفرائض الدينية، وبين الدعائم الناموسية، ودائرة المقابلة بين الطبائع الولية والضدية.

ويربط مؤلف (النقط والدوائر)، بين كل نقطة ودائرة، مصلحًا أساليب الفلاسفة عامدًا إلى الرمز حينًا، وإلى الإلغاز حينًا أخرى، فيقول: "فتوجهت لجمع ذلك معترفًا بضعف سيري، مغترفًا من بحر غيري، متوكلًا على ذي الجلال الإنسي، مستمدًّا طالبًا هداية الروح القدسي،

فأقول وبالله المستعان بأنه لما كان الباري –سبحانه– موجودًا في وجوده السابق بذاته وكبريائه، وأزله اللائق بقدسه وعليائه ولا بدء لمعناه، ولا غاية لمنتهاه... إلى آخر هذا الكلام. ويتحدث عن أهل التنزيل، وأهل التأويل، وعالم الهدى، ومسيرة الدعوة ،ويذكر قضية الأسس والمفرد أساس، كأن يكون فلان أساس فلان، والحديث عن دائرة البيكار، وفيها أربعة معان: مركز، ونقطة، ودائرة، ومقادير، ثم ينتهي مؤلف كتاب (النقط والدوائر)، إلى إصدار حكمه عن السابق، والتالي، والناطق، والأساس، على النحو التالي، فصار متولدًا عن السابق والتالي طبع الوجود والحياة، وعن الناطق والأساس طبائع العدم والموت والإحراق والفناء، ولما كان الناطق هو الرسول والنطقاء هم الرسل، فإن صاحب (النقط والدوائر)، يكون قد حمل عليهم، وذكرهم بما لا يليق أن تذكر به الأنبياء، ويصل مؤلف (النقط والدوائر)، إلى موضوع تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي للمرة الأخيرة، كما يتحدث عن الأركان الجديدة، أو البديلة عن أركان الإسلام.

ويذكر أيضًا دلالة الأعداد في العقيدة، فلبعض الأعداد دلالات خاصة في عدد من العقائد الدينية، وفي العقيدة الدرزية، يحتل كل من العدد: خمسة والعدد سبعة مكانة خاصة، فأما العدد خمسة: فتتمثل قدسيته في أن الحدود خمسة، وهؤلاء الحدود هم الممدون لكل ناطق وأساس، وللعدد سبعة مكانة لا تقل تقديسا عن مكانة العدد خمسة إن لم تزد عليها؛ لأنه فيما يذكر صاحب (النقط والدوائر)، علل العالم الروحاني سبعة، هم: الحدود الخمسة والناطق والأساس، وكذلك مدبرات العالم الجسماني سبعة، هي: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر، والأيام سبعة، والنطقاء سبعة، والأوصياء سبعة، والأئمة سبعة، والشرائع الظاهرة سبع، والشرائع الباطنة سبع، والفرائض التوحيدية سبع، ويستطرد المؤلف قائلًا: "واعلموا أن مولانا –جل ذكره– قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية، وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية".

ويمضي إلى أن يحدثنا عن التقمص والتناسخ، حيث يؤمن الدروز بعقيدة التقمص، بمعنى: أن الإنسان إذا انتهت حياته وصعدت روحه، فإنها لا تذهب إلى الحياة البرزخية المعترف بها عند المذاهب الإسلامية، ولكنها تتقمص مولدًا جديدًا، روح الرجل تتقمص طفلًا وليدًا، وروح المرأة تتقمص طفلة وليدة، والتقمص كما فسر جانبًا منه كتاب (أضواء على مسلك التوحيد)، هو: تقلب الروح في شتى الأحوال؛ لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال، فمن لم يتقبل نداء الحق حسب المعتقد الدرزي، لا يمكنه إلا أن يحصد نتيجة أعماله في حيواته التالية، والمفهوم من ذلك استنتاجًا هو العقاب الذي يكون مختلف الأنواع في حياة الشخص القادم في أدواره التالية، أو في قمصانه التالية حسب التعبير الحقيقي، وقد يكون العقاب فقرًا، أو تشويهًا، أو شقاءً، ولا أعتقد أنه يكون مسخًا.

كما يشير الكتاب إلى النطق، والنطق: هو أن الروح حين تنتقل من جسد إلى جسد، تحمل معلومات عن دورها في الجيل السابق، يعني: في الجسم الذي كانت تتقمصه قبل قميصها الحالي، وفي هذه الحالة تتحدث أو تنطق بما تذكره من وقائع عن حياتها السابقة.

ويشير الكتاب إلى الكلام عن الثواب والعقاب، حيث يكون الثواب والجزاء بمقدار ما تكتسبه النفس من المعرفة والعقيدة في أدوار تقمصها المتعاقبة، والعدل الإلهي اقتضى أن تحاسب الأرواح بعد مرورها في الدهر طويلًا، لا في مدى حياة واحدة بخيرها وشرها، وقصرها وطولها، حيث يمنحها الدهر الطويل فرص الاكتساب، والتطور، والامتحان، والتبدل؛ لكي تحاسب حسابًا عادلًا.

ويتحدث الكتاب عن يوم الدين، الذي هو ليس يوم قيامة إذ ليس فيه موت الأرواح، ولا قيامة، ولا بعث، ولا نشور، فالأرواح لا تموت لتبعث، ولا تنام لتوقظ؛ بل إن يوم الحساب، أو الدينونة هو نهاية مراحل الأرواح وتطورها؛ إذ يبلغ التوحيد حسب العقيدة الدرزية غايته من الانتصار على العقائد الشركية، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية؛ لتتصل الأرواح

الصالحة بالعقل الكلي، كلٌّ على قدر تكاملها؛ هذا هو يوم الحساب في العقيدة الدرزية، فهو نهاية النهايات، أما العقاب فهو: العذاب عن التقصير في الوصول إلى هذه الدرجات، وتلك المراتب والغايات.

هذا؛ ونشير إلى كتب الدروز:

لهم رسائل مقدسة، تسمى (رسائل الحكمة)، وعددها مائة وإحدى عشرة رسالة، هي من تأليف حمزة، وبهاء الدين، والتميمي، ولهم مصحف يسمى (المنفرد بذاته)، وكتاب (النقط والدوائر)، وينسب إلى حمزة بن علي، ويذهب بعض المؤرخين في نسبته إلى عبد الغفار تقي الدين البعقلي، الذي قتل سنة تسعمائة هجرية، و(ميثاق ولي الزمان)، كتبه حمزة بن علي، وهو الذي يؤخذ على الدرزي حين يعرف بعقيدته، و(النقض الخفي)، وهو الذي نقض فيه حمزة الشرائع كلها، وخاصة أركان الإسلام الخمسة، و(أضواء على مسلك التوحيد)، للدكتور/ سامي مكارم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

لقد تأثرت الدروز بالباطنية عمومًا، وخاصة الباطنية اليونانية متمثلة في "أرسطو"، و"أفلاطون"، وأتباع "فيثاغورث"، واعتبرهم أسيادهم الروحانيين، أخذوا جل معتقداتهم عن الطائفة الإسماعيلية، وتأثروا بالدهريين في قولهم بالحياة الأبدية، وقد تأثروا بالبوذية في كثير من الأفكار والمعتقدات، كما تأثروا ببعض فلاسفة الفرس، والهند، والفراعنة القدامى.

الانتشار ومواقع النفوذ:

يعيش الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين، وغالبيتهم العظمى في لبنان، ونسبة كبيرة من الموجودين منهم في فلسطين المحتلة قد أخذوا الجنسية الإسرائيلية، وبعضهم يعمل في الجيش

الإسرائيلي، وتوجد لهم رابطة في "البرازيل"، ورابطة في "استراليا" وغيرهم، ونفوذهم في لبنان الآن قوي جدًّا تحت زعامة وليد جمبلاط، ويمثلهم الحزب الاشتراكي التقدمي، ولهم دور كبير في الحرب اللبنانية، وعداوتهم للمسلمين لا تخفى على أحد، ويبلغ عدد المنتمين إليها حاليًا حوالي مائتي وخمسين ألف نسمة، موزعين بين سوريا "121" ألفًا، ولبنان "90" ألفا، والباقي في فلسطين وبعض دول المهجر.

ويتضح مما سبق، أن الدروز فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، نشأت في مصر وهاجرت إلى الشام، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا، ويعتقدون أن المسيح هو داعيتهم حمزة، وحسب هذا دليلًا على ضلالهم.

وصلة الدرزية بالباطنية أمر واضح ومعروف؛ فالعقيدة الدرزية لا تخرج عن معتقدات الباطنية بما زادوا عليه، ولهم تنظيمات درزية معروفة، والعقيدة الدرزية عقيدة باطنية، ولا يجوز لأحد الإطلاع على الكتب الدينية للدوز.

ويبقى بعد عرض الكلام عن الدروز، بيان فساد معتقداتهم:

أقول كما قال الأولون: يكفي في فضح الباطل عرضه، ويكفي أن يكون على رأس معتقدات الدرزية أنها آمنت بألوهية الحاكم، فجعلت البشر إلها، وزعمت فيه ما زعمت من حيث الكلام الذي أشرنا إليه، وهذا هو الخطر الأهم، والغلو بعينه، والكفر الذي لا يضاهيه كفر، حين يُزعَم في إنسان أنه إله، وأنه خالق مبدع، وأنه واحد أحد فرد صمد إلى آخر ما زعموه، فيما لا يكون إلا لله تعالى ، وقد جاء في أشعار شعرائهم في مدح الأئمة الخلفاء، مثل قول ابن هاني يمدح المعز:

ما شئت لا ما شاءت * فاحكم فأنت الواحد

وهكذا أعطوا الأئمة اختصاصات الله –تعالى الله علوًّا كبيرًا عما يقولون– على أساس أن لها عندهم اختصاصات العقل الأول.

ونرى التعقيد والتحايل في عقيدة الدروز، فهم يسمون الإله بالعقل الأول، الذي صدر عنه في النهاية هذا الكون، والإمام يمثل العقل الأول الكلي في الأرض، فيأخذ كل صفاته، وحين يجد الناس أن الإمام يوصف بهذه الصفات "فأنت الواحد القهار" مثلا، فما الذي يصدهم عن أن يؤلِّهوا الإمام، وهكذا سهَّلوا على الناس اعتقاد ألوهية الأئمة، ومهدوا لهم الطريق، ومن هنا كان شيوع القول بألوهية الأئمة.

وادعاء ألوهية الأئمة الفاطميين، لم يكن جديدًا على الشيعة، بل نجد أناسًا من قبلهم ادعوا ألوهية الأئمة، مثل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم إن أبا الخطاب الأسدي –تلميذ الإمام جعفر الصادق، والذي كان له تأثير كبير على ابنه إسماعيل– ادعى ألوهية جعفر، والإسماعيلية الأغاخانية الآن يدعون ألوهية إمامهم كريم خان، كما كانوا يدعونها لأغا خان، ومن قبلهم ادعى آخرون ألوهية الملوك والأشياء العظيمة كما في الهند، ويدعي كثير من المسيحيين ألوهية المسيح، فليس الإسماعيلية أول من ادعى ذلك، ولكنهم صاروا على الدرب القديم والحديث عند آخرين.

والباحث يستطيع أن يتعقب هذه العقائد ويردها إلى أصولها القديمة؛ ليجد أن دين الدروز هو خليط من أديان قديمة وحديثة من القدماء المصريين، والعبرانيين، والبابليين؛ حيث كانت البابلية تؤمن بعقيدة الأدوار السبعة، والأفلاطونية الحديثة، وعن "أفلاطون"، و"الزرادشتية"، و"فيثاغورث"، أخذوا عقائد أخرى وصبغوها بصبغة إسلامية، فكانت الدرزية جسمًا غريبا ألبسوه ملبسًا مكتوبًا عليه شعار إسلامي، والإسلام منهم براء؛ حيث لا يلتقون مع الإسلام لا من قريب ولا من بعيد، ولا ينبغي مناكحتهم، ولا ينبغي التزاور معهم.

وما قيل عن النصيرية في الحكم عليها، يقال عن الدرزية أيضًا.

الدرس العاشر: فرقة البابية

عناصر الدرس

العنصر الأول: توطئة

العنصر الثاني: فرقة البابية: نشأتها وأفكارها وأبرز شخصياتها

العنصر الأول: توطئة

حين ارتفعت ألوية الحق خفاقة مع إشراقة نور الإسلام، وتبدد ظلام الأرض لانتصار المسلمين، واستقر لهم حكم البلاد، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان ذلك إيذانًا بانحسار القوة الباغية، والأنظمة الجائرة، والعادات الفاسدة، وعز على أعداء الإسلام أن يسود النور وأن يتبدد الظلام، فغدوا كالخفافيش لا يرون إلا في الظلام، ولا يتآمرون إلا تحت جنحه، يحاولون التغرير بالسذج، والإيقاع بين المؤمنين، والقضاء على مجد بناه المسلمون بجهادهم، وحضارة إنسانية سليمة شيدها لهم قرآنهم، وتربية اجتماعية فاضلة رباهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كانوا يريدون أن يرجعوا بالناس إلى عصر الطغيان والاستبداد، عصر الوثنية والإلحاد، عصر الفساد والإباحية، و لم يكن سلاحهم في معركتهم الخفية هذه إلا نشر الأكاذيب، وبث الحقد وإثارة التفرقة وإلقاء الشكوك في قلوب ضعاف الإيمان والنفوس، لفد وجد المسلمون أنفسهم وجهًا لوجه أمام التآمر اليهودي، والكيد المجوسي والحقد الصليبي، وضلالات الفرق الباطنية التي امتدت من السبئية إلى البابية، ثم البهائية، ثم القديانية.

فما هذه الحركات إلا حلقات من سلسلة حلقات هدامة أرادت تحريف الإسلام، وتشويه مبادئه والقضاء على أصوله وأحكامه، ودعت إلى الإباحية في النساء والأموال، وقالت بالحلول والرجعة والتناسخ وغير ذلك، هذا وقد كان للبيئة أثر كبير في ظهور البابية، ثم البهائية، وخلفتهما القديانية؛ حيث كانت الحياة في إيران يسودها الفساد في جوانب الحياة المختلفة، وساعدت عوامل متعددة على ظهور تلك النِّحل:

أولًا: أبرز هذه العوامل، الاستعداد الذهني الذي ينتظم جمهور الشيعة، وهو انتظار ظهور الإمام الغائب، فقد كان معظم الناس يدينون بمذهب الشيعة الاثنا عشرية، ويرقبون ظهور الإمام الغائب، أو المهدي المنتظر، ويعتقدون أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري

من سنة "255" إلى "260" من الهجرة اختفى و لم يمت، بل نزل في سرداب، وسيظل مختفيًا حتى يظهر بشخصه في زمن ما في المستقبل؛ ليملأ الأرض عدلًا بعد أن مُلأت جورًا، فإذا جرى الحديث بينهم عن موعد ظهور الإمام الغائب، أو المهدي المنتظر، فإن ذلك يكون أمرًا مألوفًا عندهم، ولديهم الاستعداد الذهني لقبوله.

ثانيًا: تهيئة الجو النفسي العام الذي كان يسود عددًا كبيرًا من الناس آنذاك؛ نتيجة لما كانت تنادي به طائفة الشيخية، التي تنسب إلى الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن الظاهر بن رمضان بن راشد، الذي ولد بالمطرفي من قرى الإحساء، وإليها ينسب في المنطقة الشرقية من المملكة السعودية الآن، في شهر رجب سنة "1166" هجرية، إبريل سنة "1753" من الميلاد، وتوفي بالقرب من المدينة المنورة في الحجاز سنة "1242" من الهجرة، "1827" من الميلاد، ودفن بالبقيع.

كان من كبار علماء الإمامية في عصره، ويعتبر مجددًا للفكرة الباطنية الرامية إلى الحلول والتناسخ والرجعة، ويستخلص من أقواله وإشاراته الكثيرة الواردة في مؤلفاته، أنه لم يكن ليعتقد بعودة شخص غاب عن الأنظار منذ ألف عام، وأن الذي يعتقده يقينًا حقًّا هو أن المهدي المنتظر يوجد ويظهر بالولادة لا محالة، وأخذ يبشر تابعيه ومريديه بظهور المهدي، ودنو قيام القائم المنتظر، وهو بهذا الاعتقاد يعد خارجًا عن العقيدة الشيعية الإثنا عشرية السائدة في إيران آنذاك، وينكر بعض الباحثين نسبة هذا الرجل إلى الإحساء، ويرون أنه أحد القساوسة الغربيين في "أندونيسيا"، وأُرسل منها إلى العراق حسب خطة مرسومة، تهدف إلى تغيير الفكر الشيعي حول مبدأ الإمام المعصوم، والمهدي المنتظر، ولو في نفسية عدد محدود من الأتباع والرواد كنقطة البداية؛ لإفساد العقيدة وتغيير أحكام الدين.

والشيخ أحمد لا يستطيع القيام بهذا الدور إلا إذا أثبت لأتباعه أنه شخصية ممتازة عما سبق من الأنبياء والرسل، أو هو مساوٍ لهم على الأقل؛ ولذا رأيناه يشرح فكرة الحقيقة المحمدية

عنده شرحًا عقليًّا ممزوجًا بالأوهام والضلالات، فهو يقول: "إن الحقيقة المحمدية قد ظهرت في الأنبياء قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ظهورًا ضعيفًا، ثم ظهرت ظهورًا أقوى في شخص النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من أهل البيت، ولكن ظهورها الكامل قد تجلى في شخصه هو ومن سيأتي بعده ممن سيخلفونه على دربه نحو الهدف، والشيخ الإحسائي حين يقوم بمهمته فهو يعتمد على الرؤى والأحلام، وهو بذلك الأسلوب قد استطاع أن يلعب بعواطف الجماهير من حوله، والذين لم يقدر لهم أن يأخذوا قسطًا من العلم.

وقد ورث الزعامة الشيخية من بعده السيد كاظم الرشتي، نسبة إلى رشت إحدى مدن إيران الشهيرة، وكانت ولادته فيها عام "1205" من الهجرة، "1790" من الميلاد، وتوفي في كربلاء بالعراق في عام "1259" من الهجرة، "1843" من الميلاد ودفن بها، وقد صار كاظم الرشتي على نهج أستاذه، وكان يحث التلاميذ على التهيؤ والاستعداد، وأخذ الأهبة لاستقبال القائم ولقائه، والإيمان به، وعلى مجالس الرشتي كان مؤسس البابية يتردد، وفي ظل طائفة الشيخية نبعت البابية، ثم البهائية، ويحترم البابيون والبهائيون الإحسائي، والرشتي، احترامًا عظيمًا ويعدونهما مبشرين بالظهور، ويلقبونهما بالنجمين الساطعين.

ثالثًا: تعاون الصليبية واليهودية في اصطناع أعوان لهما يخدمون مصالحهما، ويعملون على إفساد العقيدة الإسلامية وتغيير أحكام الإسلام؛ فقد عملت القيصرية الروسية الصليبية –بعد استيلائها على مملكة القوقاز من الدولة الإيرانية –على انشغالها عن التفكير في استرجاع ما غُصب منها مما صنعته "روسيا"، لتحقيق ذلك لا بد من ضرب المسلمين ضربة تقضي على وحدتهم وجمعيتهم، وكان من أسهل الطرق الموصلة إلى هذا، إحداث الخلافات الدينية ونشرها، وإسعار نارها فيما بينهم، وجندت لذلك أحد موظفيها في السفارة الروسية في طهران، وهو المسمى "كناز دول غورقي"، وقد ارتقى بخدماته الجاسوسية إلى منصب السفير.

ولقد تعلم هذا الجاسوس اللغة الفارسية، وأتقنها، ثم أظهر التدين والإسلام وتزيى بزي أهل العلم ولازم صلاة الجماعة، واشتهر اسمه بالشيخ عيسى اللنكراني، ثم جال في عواصم إيران، وأثناء جولاته اطلع على الطائفة الشيخية فوجد فيها ضالته المنشودة، فدخل في حلقة السيد كاظم الرشتي، وكان كثير الحديث عن المهدي، يقول "كناز دول غورقي" في مذكراته التي نشرتها مجلة سوفيتية "الشرق" سنة "1924" ميلادية، سألت الرشتي يومًا عن المهدي أين هو؟ فقال: أأنا أدري؟ ربما يكون هنا في هذا المجلس؛ فلمح الخيال في خاطري كالبرق الخاطف، وأردت إنجازه وإبداله في صورة الحقيقة، رأيت في المجلس الميرزا علي محمد الشيرازي الباب فتبسمت، وصممت في نفسي أن أجعله ذلك المهدي المزعوم، ومنذ ذلك اليوم بدأت كلما أجد الفرصة والخلوة أرسخ في ذهني أنه هو الذي سيكون القائم المنتظر، ويوميًّا كنت أخاطبه: يا صاحب الأمر، ويا صاحب الزمان، فكان في أول الأمر يترفع ويتأنف، ولكنه لم يلبث إلا قليلًا حتى كان يبدي السرور والفرح من هذه المخاطبات.

وكان للحشيش دوره وأثره مع تلك الرياضات والمشقات التي كان يعاودها لتحقيق هذه الأمنية، كما كان للتعليمات الشيخية القائلة بعدم بقاء المهدي ابن العسكري حيًّا إلى ألف سنة، وأن مجيئه سيكون بصورة شخص آخر تحل فيه روحه، فأثمرت هذه الأعمال، وبعد انتقاله من كربلاء إلى مدينة "بوشهر"، فاجأني فجأة بخطابه في مايو "1844" يخبرني ويدعوني إلى بابيته، بأنه هو نائب صاحب العصر، وباب العلم، فجاوبت بأنني أومن بأنه صاحب الزمان وإمام العصر، لا بابه أو نائبه، ورجوت منه بالإلحاح ألا تحرمني حقيقتك ولا تحجبني من أصلِك، فأنا أول المؤمنين، حمدت الله أن سعيي لم يضع، وتجارتي لم تبر، التي بذلت من أجلها الجهد الكبير، وصرفت فيها الوقت الكثير، كذا في مذكرات الجاسوس الروسي "دارغوركي".

وقد منح الروس البابيين منطقة روسية، يقيمون ويتدربون فيها على أفضل وأحدث أنواع السلاح في ذلك العصر، فكانت بلدة "عشق آباد" معقلًا هامًّا متاخمًا للحدود الإيرانية، ثم مُنحوا بالإضافة إلى هذه المنطقة بلدة أخرى هي "باكو"؛ لتكون معقلًا آخر لهم، والظاهر أن ذلك الجاسوس، والذي كان حلقة الاتصال بين البابيين والحكومة القيصرية، وكان حريصًا على قيادة البابيين، وتعليمهم فنون الحرب ضد الجيش الفارسي.

أما الصهيونية العالمية، فقد كان لها في التخطيط دور آخر متميز يتناسب مع الهدف المشترك مع الصليبية، وهو هدم الإسلام والقضاء عليه، والنيل من أصحابه ومبادئه، ثم إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين؛ فعملت الصهيونية العالمية على دعوة اليهود في إيران للدخول بشكل جماعي في هذا الفكر المنحرف، وهذه النحل المارقة رغم ما عرف عن اليهود من امتيازهم في اعتقادهم على غيرهم دينًا وتكوينًا.

واستخدام هذه النحل المارقة وزعمائها في إعلان أهداف الماسونية الصهيونية التي تتستر خلف المحبة الإنسانية، والدعوة إلى السلام العالمي ونبذ الحروب، والعمل على توجيه الرأي العام العالمي لقبول هذا الفكر المنحرف، واعتباره دينًا عالميًّا، وتجنيد الباحثين من المستشرقين المغرضين، والمفكرين اليهود وغيرهم؛ لكي يتحدثوا عن هذا الفكر، مع حماية هذا الفكر المنحرف وأصحابه، والتنديد بكل مقاومة له، وإسباغ العظمة والجلال على أتباعه؛ جائزة لهم على خيانتهم لأوطانهم وعقيدتهم، وعلى عمالتهم للصهيونية العالمية، ولا زال التعاون قائمًا بين الصليبية الدولية والصهيونية العالمية على حماية هذه النحل المارقة على أعلى المستويات.

وجملة القول، أن هذه العوامل التي تهيأت في إيران، من حيث الاستعداد الذهني لدى جمهور الشيعية في انتظار ظهور الإمام الغائب، والجو النفسي الذي تركته الطائفة الشيخية، والتعاون

بين الصليبية والصهيونية، هذه العوامل ساعدت في ظهور البابية، ثم البهائية، على يد رجال توفرت فيهم الصفات التي تؤهلهم لخدمة أسيادهم المستعمرين، وتحقيق أحلام الصهيونيين.

العنصر الثاني: فرقة البابية: نشأتها وأفكارها وأبرز شخصياتها

البابية إحدى الحركات المنحرفة الضالة التي ظهرت في إيران في القرن التاسع عشر، وهي صورة مكررة للحركات الإلحادية والباطنية التي شهدها العالم الإسلامي منذ القرن الأول حتى أيامنا هذه؛ نتيجة لمؤامرات حاقدة كافرة مبغضة للإسلام عجزت عن مواجهته صراحة، فأخذت تمكر بأتباعه وتنفث سمومها فيهم؛ لتفسد عقائدهم وتشيع الإلحاد والتحلل، وتبث الفتنة في صفوفهم؛ تحقيقا لأهدافها الخبيثة الماكرة، متذرعة بحب آل البيت؛ حتى يلتبس على الناس أمرها.

وقد بدأ هذه الحركة الماكرة اليهودي عبد الله بن سبأ، الذي أخذ يوهم الناس أن لكل نبي وصيا، وأن عليًّا وصي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم تدرج في مكره حتى أوهم بعض الأغرار أن عليًّا حل فيه جانب إلهي، وأنه إله، ثم قال إنه لم يمت وأنه سيرجع، وتتابعت المؤامرة على الإسلام، يحملها جيل من المتآمرين بعد جيل، مستغلين حب الناس لآل البيت، محاولين بث الفتنة في المجتمع الإسلامي، باحثين عن ذوي الأطماع في السيادة والقيادة، عاملين على جمع الجموع من حولهم انتصارًا لعليّ وأبنائه في الظاهر، مدبرين لهدم الإسلام من أساسه في حقيقة الأمر، واقتلاع جذوره النقية من قلوب الناس، متذرعين في الوصول إلى أهدافهم بكل وسيلة تجمع من حولهم الأغرار الذين يسهل قيادتهم، وكانت من وسائلهم التي شكلت قاسمًا مشتركًا يجمع حركاتهم على مدى التاريخ أمور ثلاثة:

الأول: الدعوة إلى الإباحة في النساء والأموال.

الثاني: القول بالحلول والرجعة.

الثالث: القول بالتناسخ.

انتقلت هذه الأفكار من السبئية، إلى الكيسانية، إلى الروندية، إلى الباطنية، إلى النصيرية، إلى الإسماعيلية، إلى القرمطية، إلى الحزمية، إلى الحديدينية وهكذا، هذه السلسلة التي تواصت بالكفر، واستعانت بالخديعة والمكر والتظاهر نفاقًا بحب آل البيت؛ لتصل إلى أهدافها، وإعادة مجد أسلافها القديم من يهودية ومجوسية؛ ولذلك كانت منطقة خراسان أرضًا خصبة لتتابع هذه الحركات؛ نظرًا لتأثرها بعقائدها القديمة، حتى آلت رايتها المشبوهة أخيرًا إلى البابية والبهائية.

استعمالات كلمة باب:

يستعمل الإسماعيلية كلمة باب؛ للدلالة على الشيخ أولًا الأساس الذي يعلم الناس، ويستعملها الصوفية للدلالة على المدخل الذي يدخل منه الإنسان، أو الوسيلة التي يتصل بواسطتها بما هو في الداخل، والنصيرية أول من أطلقوا كلمة باب على سلمان الفارسي، أما الدروز فيطلقون اسم الباب على الوزير الروحاني الأول الذي يستعمل العقل الكلي.

سبب تسمية البابية:

سميت البابية؛ لأن مؤسسها زعم أنه باب الإمام الغائب الذي تنتظره طوائف الشيعة، وأنه باب مظهر الحقيقة الإلهية، فمن هو الباب إذن الذي نسبت إليه البابية؟ الباب هذا لقب يدعى به مؤسس هذا المذهب وهو علي محمد الشيرازي.

ولد في مدينة شيراز جنوب إيران سنة "1235" من الهجرة، في أول المحرم الموافق 20 من أكتوبر سنة "1819" من الميلاد على أصح الأقوال، توفي والده محمد رضا الشيرازي، وهو طفل صغير وقام بكفالته خاله، وتعلم في طفولته القراءة والكتابة والتعليم الأوليّ، ثم اشتغل مع خاله في التجارة، ثم هجر التجارة وانصرف إلى دراسة الروحانيات، وعلوم الكواكب والنجوم والجن، وبدأ يعاود الرياضات الشاقة؛ فكان أحيانًا يقف في حر الظهيرة المحرقة تحت

أشعة الشمس على سطح البيت عاري الرأس، مكشوف البدن، مستقبلًا قرصها، متحملًا حرارتها ساعات وساعات حتى كان يعتريه الذهول والوجوم، وقد تأثر عقله.

كل ذلك بسبب اتصاله بأحد تلامذة الرشتي، السيد جواد الكربلائي الطباطبائي، الذي كان يحرضه على تلك الخرافات، ويهيجه إلى هذه الرياضات، ولما رأى خاله هذه الأحوال أرسله إلى النجف، وكربلاء للاستشفاء بزيارة مشاهد آل البيت هناك حسب زعمهم؛ رغبة منه في صحته وتسليته عن وفاة ابنه، ولما وصل كربلاء واستقر فيها اتصل بطائفة الشيخية، وتلميذ الإحسائي الأكبر، السيد كاظم الرشتي، وفي مجالس الرشتي، التقى علي محمد الشيرازي، بالجاسوس الروسي "كايزاد الغركي"، المتظاهر باسم الشيخ عيسى اللنكراني، الذي نجح في استغلال علي محمد الشيرازي، كعميل للتفرقة بين المسلمين، ومبايعته في دعواه المهداوية التي أدخلها في عقله المختل، كما سبق بيانه.

رجع الشيرازي من كربلاء إلى "بوشهر" وبدأ يؤلف ويخطب، ويصوغ الأدعية والأذكار وبحسب الخطة المدروسة، والمؤامرة التي نسجت خيوطها وأحكمت من قبل في كربلاء، فأعلن في سنة "1260" من الهجرة، في الليلة الخامسة من جمادى الأولى الموافق 23 من مارس سنة "1844" من الميلاد، أنه هو الباب الموصل إلى الإمام الغائب المنتظر عند الشيعة، وكان أول من آمن به الملا حسين البشروني، كبير تلامذة الرشتي، ولم يمضِ الكثير من الزمن حتى آمن بالباب أغلب طائفة الشيخية، وسُموا بالبابيين، وقد أرسل الباب تلاميذه، وعددهم ثمانية عشر إلى جهات مختلفة في إيران و"تركستان"؛ لنشر أخبار مجيئه وظهوره، وكان عمره يوم دعواه خمسة وعشرون عامًا، ولقد كتب تفسيرًا لسورة يوسف دليلًا على صدق دعواه حسب زعمهم أن المهدي سيكتب تفسيرًا لسورة يوسف، والحقيقة أن ما كتبه يؤكد اختلال عقله وفكره الباطني العميل.

ثار العلماء على دعاة البابية في شيراز، فقبض واليها حسين خان عليهم، ثم أمر الحاكم بإحضار الباب من "بوشهر" فأحضر وأذاقه الحاكم ألوان الإهانة والتعذيب، ورضي الباب أن يطاف به في الأسواق على دابة شوهاء، ويعلن توبته وكفره بدعوته، وكان لهذا رد فعل في ذيوع أنباء الباب لدى بعض القلوب التي تسيطر عليها العواطف، بالإضافة إلى حماية حاكم أصفهان الصليبي "منجهر خان" للباب وإطلاق سراحه سرًّا، وإنزاله في قصره معانًا على أمره بكل ما يملك من قوة، بعد أن أذاع أن الشاة قد استدعى الباب إليه، ولما هلك "منجهر خان" وولي من أمر أصفهان بعده أحد أقاربه "كركين خان" نفى الباب إلى أذربيجان بعد اكتشاف أمره، وظل الباب مسجونًا في قلعة هناك تدعى قلعة "ماهكو" وأتباعه يحاولون الاتصال به بكافة الوسائل من الرشاوي والخديعة والعنف، فتم نقله من قلعة "ماهكو" إلى قلعة "جهريق" حتى لا يمكن الاتصال به، ولكن حدث في السجن الجديد ما كان قد حصل في السجن القديم، ولبث الباب في قلعة "جهريق" حتى انتقل الشاة محمد إلى رحمة ربه في سادس شوال سنة "أربعة وستين ومائتين وألف" من الهجرة، ونودي بولي عهده، وكبير أولاده –ناصر الدين– شاهًا على إيران.

على إثر اعتقال علي محمد الشيرازي الباب في قلعة "ماهكو" عقد أقطاب البابية مؤتمرًا في بيداء "بدشت" على نهر "شهرود" بين "خراسان" و"مازندران" في شهر رجب سنة "أربعة وستين ومائتين وألف" من الهجرة، وقد تناول المجتمعون البحث في أمرين رئيسيين هما:

أولًا: إنقاذ الباب من اعتقاله ونقله إلى مكان آمن، وذلك بالوسائل السلمية، وإلا اضطروا إلى استعمال القوة.

ثانيًا: وضع حد فاصل بين مبادئ البابية، والدين الإسلامي، واعتبار البابية ناسخة للشريعة الإسلامية.

ويعتبر مؤتمر "بدشت" لقاء الفسق والفجور لشباب مجنون مع امرأة صنعت منها الشهوة والذكاء، وتوهج الشباب والجمال، فتنة متوقدة عاصفة، وهي المرأة التي صنعت بأنوثتها الفاجرة قضية نسخ البابية للشريعة الإسلامية، إنها فاطمة أو هند بنت ملا صالح القزويني، المولودة سنة "اثنتين وثلاثين ومائتين وألف" من الهجرة، وكانت تكنى بأم سلمى خانن؛ ولجمالها سميت "زرين تاج"، أي: التاج الذهبي، وقد لقبها الرشتي بقرة العين، ونعتها أتباعها في مؤتمر "بدشت" بالطاهرة، تزوجت وهي صغيرة من ابن عمها، وقد فجرت وحرضت على قتل عمها، وبعد انتشار روائح فجورها وفضائحها في كل مكان، اتهمها زوجها بالخيانة، وطعنها علنًا في شرفها، وقد كانت قرة العين تقول بحل الفروج، ورفع التكاليف بالكلية، وظلت بالعراق زمنًا أشاعت فيه الفاحشة، ثم رجعت إلى إيران، فألقي القبض عليها بتهمة قتل عمها، ثم استطاعت الفرار بمعاونة المرزا حسين البهاء، ثم قبضت الحكومة عليها بعد مقاومة شديدة، وصدر الحكم بإحراقها، وكان ذلك سنة "أربعة وستين ومائتين وألف" من الهجرة.

ويقول أحد البهائيين عبد الحسين أوراه، في كتابه (الكواكب الدرية في تأثير البهائية): "إن أول المتفوهين بكلمة بهاء الله، كانت قرة العين، فلعلها سمعت هذا اللقب عن الباب بواسطة أو بدون واسطة".

أمر الباب أتباعه، وهو في قلعة "ماهكو" أن يعملوا يدًا واحدة لنشرِ الأمر الجديد في خراسان، ومن ثم ابتدأت سلسلة حوادث دامية بين البابيين والحكومة الإيرانية، وحدوث اضطرابات وقلاقل وفتن وانتهاك حرمات، وقتل ونهب، إلى ذبح أطفال وحرق نساء، وأفتى العلماء بقتل الباب في صبيحة يوم الاثنين الموافق 27 من شعبان سنة "ستة وخمسين ومائتين وألف" من الهجرة، تم تنفيذ حكم الإعدام في الباب وأحد الغلاة في حبه السيد محمد علي الزانوزي، وكان معهما ثالث، وهو السيد حسين البزدي، الذي أظهر التبري من الباب، وأخذ يمطره

سبًّا ولعنًا فأطلق سراحه، وقد نقل فيما بعد رفات الباب في سنة "ألف وثلاثمائة وستة وعشرين" من الهجرة، إلى حيفا في فلسطين.

فالبابية، حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية، والاستعمار الإنجليزي؛ بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

ويتبين لك أيضًا من خلال ما عُرض أبرز الشخصيات لهذه الفرقة، علي محمد رضا الشيرازي، والذي أعلن أنه الباب، نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي، ثم أعلن أنه رسول كموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم السلام- بل -وعياذًا بالله- أفضل منهم شأنًا، فآمن به تلاميذ الرشتي، وانخدع به العامة، واختار ثمانية عشر مبشرًا لدعوته، أطلق عليهم حروف الحي، إلا أنه في عام "ألف ومائتين واحد وستين" من الهجرة قُبض عليه، فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل، بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فسادًا وتقتيلًا وتكفيرًا للمسلمين.

ومن أبرز الشخصيات أيضًا قرة العين المشار إليها سلفًا، والميرزا يحيى علي -أخو البهاء- والملقب بـــ"صبح أزل" الذي أوصى له الباب بخلافته، وسُمي أصحابه بالأزليين، فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة، ثم في الرسالة والإلهية، وحاول كل منهما دس السم لأخيه، ولشدة الخلافات بينهما وبين الشيعة، تم نفيهما إلى "أدرنة" بتركيا عام "ثلاثة وستين وثمانمائة وألف" من الميلاد، حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع "صبح أزل" وأتباع البهاء، نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى "عكا"، ونفى "صبح أزل" مع أتباعه إلى "قبرص" حتى مات ودفن بها في التاسع والعشرين من أبريل سنة "1912" ميلادية، عن عمر يناهز اثنين وثمانين عامًا، مخلفًا كتابًا اسمه (الألواح تكملة

البيان) بالفارسي، و(والمستيقظ ناسخ البيان)، وأوصى بالخلافة لابنه الذي تنصر وانفض من حوله الأتباع.

ومن أشهرشخصياهم أيضًا، الميرزا حسين علي، الملقب بهاء الله، المولود سنة "1817" من الميلاد، والذي نازع أخاه خلافة الباب، وأعلن في بغداد أمام مريديه، أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب، وأنه رسول الله الذي حلت فيه الروح الإلهية؛ لتنهي العمل الذي بشر به الباب أن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية، وإلى أن جاء بعد ذلك عباس أفندي، الملقب بعبد البهاء، وشوقي أفندي.

التعاليم البابية:

زعم الميرزا علي محمد، أنه نزل عليه البيان من سماء المشيئة الإلهية، فنسخ به القرآن الكريم، فصار فرضًا على كل مسلم أن يؤمن به ويخضع لما فيه، وإلا فالكفر مصيره ولعنات الميرزا تلاحقه، والإبادة سبيله، وجاء البيان الذي رتبه الباب على تسعة عشر واحدًا، وقسم كل واحد إلى تسعة عشر بابًا، خص الواحد الأول بنفسه، أما بقية الثماني عشرة فتشير إلى كبار أتباعه، ولكل منهم رقم واحد.

ومما يلاحظ في البيان جملة الأخطاء اللغوية، وغموض الفكرة، ورداءة العبارة، وأهمية حساب الجفر والأرقام، وأنه في جملته فكر مصنوع ومزيج من أديان، وفلسفات مختلفة، وتفسير الحروف الهجائية تفسيرًا باطنيًّا، والاعتماد على التأويل، واشتمل البيان على دين البابية فكرًا وسلوكًا فهو منبع تعاليمها.

وجاء البيان باللسان العربي والفارسي، وقد ترك الباب بالإضافة إلى البيان آثارًا أخرى تزيد على الثلاثين، لكن يبقى البيان هو المصدر الأساسي للتعاليم البابية، وذلك على النحو التالي:

أولًا: في مجال الاعتقاد: ادعى علي محمد الشيرازي أنه باب ونائب ومتحدث باسم مهدي مستور، وأخذ يدلي بآراء عجيبة ويفسر القرآن تفسيرات باطنية، ولما وجد عند بعض الناس قبولًا لأفكاره، خطا الخطوة الثانية، وادعى أنه المهدي وأنه نبي يوحى إليه، ثم زاد غروره وادعى أن روح الإله حلت فيه، ويعتقد البابيون فيه أنه أتم وأكمل هيكل بشري ظهرت فيه الحقيقة الإلهية، وأنه هو الذي خلق كل شيء بكلمته، والمبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء، وهو حقيقة كل نبي ورسول وقديس، فأولى صور الاعتقاد في البابية: القول بالحلول، والتناسخ، والرجعة، ووحدة الوجود.

ثانيًا: يعتقد البابيون أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس بآخر الأنبياء والرسل، وحتى الشيرازي ليس بخاتم المظاهر، وأنه يكون بعد ظهوره ظهورات أخرى إلى ما لا نهاية لها، وهذا الاعتقاد ينفي ختم نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في زعم البابيين.

ثالثًا: كفر الباب بالقيامة وأحوال الآخرة كما وصفها القرآن، وفسرها الباب تفسيرًا باطنيًّا خاصًّا به، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قوله عن القيامة: أنها قيام الروح الإلهية في مظهر بشري جديد، وعن البعث: أنه هو الإيمان بألوهية هذا المظهر، وعن لقاء الله يوم القيامة: أنه لقاء الباب؛ لأنه هو الله –تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا– وعن الجنة: أنها الفرح الروحي والذي يشعر به من يؤمن بالمظهر الإلهي، وعن النار: أنها الحرمان من معرفة الله في تجلياته في مظاهره البشرية، وعن الميزان: أنه البيان، وكل من آمن به فهو في ميزان العدل والفضل.

شرعة الباب:

جاءت شرعة الباب لإفساد التشريع الإسلامي، فجاءت في صورة ممسوخة، واضطراب واضح، وغموض بين، حيث نلاحظ ما يلي:

1- أطال الباب الكلام في الوضوء وأهميته؛ حيث قال: "أنتم بالخلال والمسواك بعد ما تفرغون من رزقكم، أفواهكم تلطفون، ثم لترقدون، ثم وجوهكم وأيديكم من حد الكف تغسلون، إن تريدون أن تصلون، ثم بمنديل تلطفن وجوهكم وأيديكم، ولا توضعن على هيكل واحد بماء طيب مثل ورد، لعلكم بين يدي القيامة بماء الورد والعطر تدخلون، وإن ريحكم لن يغير عملكم، وأنتم أن تقرءون البسملة بسم الله الأمنع الأقدس خمس مرات ليكفيكم عن وضوئكم إذا أنتم الماء لا تجدون، أو يصعب بأمر عليكم لعلكم تشكرون"، وقرر الباب أن الطهر من الجنابة غير واجب، ولا تحكم البابية على شيء بالنجاسة، فالإنسان حينما يعتنق البابية، يصبح طاهرًا ويصبح كل ما يملكه طاهرًا.

2- من العجيب أن يطيل الباب الكلام في الوضوء، وفي نفس الوقت يلغي الصلوات الخمس، ويلغي صلاة الجمعة والجماعة إلا في الجنازة، والصلاة في البابية يحيط بها الغموض من كل جانب، والاضطراب في كل ناحية، فليس هناك اتفاق على عددها، أو وقتها، أو كيفية أدائها، بل إن أحد البابيين يعلن صراحة أن الصلاة ليست لها أهمية عندنا، ومع ذلك فقد شرع الباب لهم أذانًا خاصًا خمس مرات، والعجيب أيضًا أن القبلة عندهم هي البيت الذي ولد فيه الباب بشيراز، أو مكان سجنه، أو البيوت التي عاش فيها هو وأتباعه، وهي نفس الأماكن التي فرض على أتباعه الحج إليها، والتي آلت بعد ذلك إلى عكَّا في فلسطين.

3- الصوم من شروق الشمس إلى غروبها، ومدته شهر بابي، وعدته تسعة عشر يومًا، وهو شهر العلاء، ويقع دائمًا في أول الربيع، والصوم مفروض على من بلغ إحدى عشرة سنة إلى اثنتين وأربعين فقط، وقد أباح الباب لأتباعه قضاء خمسة أيام قبل الصيام في لهو ومجانة، تنطلق فيها النفس انطلاق الشهوة العارمة لا تأبه بدين، ولا قانون ولا مجتمع.

4- الزكاة خُمس العقار، وتؤخذ في آخر العام من رأس المال، وتعطى للمجلس البابي المؤلف من تسعة عشر عضوًا، بجانب ذلك جعل الباب على ملَّاك الأرض أن يدفعوا له أو لمن يأتي

بعده مائة وأربعين مثقالًا من الذهب كل عام، وجعل على الوزير الأعظم مائتين وتسعين مثقالًا، وجعل على الحاكم الأعظم مائة وستين مثقالًا.

5- الزواج إجباري بعد بلوغ الحادية عشرة، ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة، وعدة المطلقة تسعة عشر يومًا، ولا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية، وإلا بعد انقضاء عدتها ومقدارها خمسة وتسعون يومًا، وقد أباحت البابية الانحلال والإباحية، والسفور، وألغت جميع العقوبات المادية والأدبية، إلا تلك الدية.

6- الميراث لسبعة أنواع: الولد ذكرًا أو أنثى بالسوية، والزوج أو الزوجة، والوالد، والوالدة، والأخ والأخت، والمعلم أو الجد، ومما جاء في توزيع الأنصبة ما يلي:

الولد: 60/9، والزوج أو الزوجة 60/8، والأب 60/7، والأم 60/6، والأخ 60/5، والأخت 60/4، والمعلم أو الجد 60/3، ويلاحظ عدم استغراق الأنصبة للتركة كلها، إذ تبلغ 42 من ستين.

7- توجب البابية دفن الميت في قبر من البلور أو المرمر المصقول، ووضع خاتم في يمناه منقوش عليه فقرة من كتاب البيان، وتظل جثة الميت في بيته تسعة عشر يومًا بعد التحنيط وغسلها بالورد، وتكفينها في الحرير، وإيقاد السرج والمصابيح طوال التسعة عشر يومًا، والتعطل عن العمل والبقاء في البيت جوار الميت ليلًا ونهارًا.

8- للعدد تسعة عشر، قدسية خاصة عند البابيين، والأعداد والحروف لها منزلة كبيرة عندهم بصفة عامة، أما سبب تخصيص العدد تسعة عشر بالقدسية؛ لأنه يمثل القيمة العددية لكل من مجموع أحرف للكلمتين العربيتين "واحد" أو "وجود" ومن هنا قسَّم الباب السنة إلى تسعة عشر شهرًا، والشهر تسعة عشر يومًا، ومجموع ذلك ثلاثمائة وواحد وستين يومًا، وتضاف إليها الأيام الخمسة وتسمى أيام الهاء؛ فيكون المجموع ثلاثمائة وستة وستين يومًا، ويلاحظ في قضية قدسية الأعداد والحروف عدة أمور منها:

أ- النسب اليهودي للبابية: حيث استعمل اليهود حروف الأبجدية للدلالة على الأرقام، ولعل ذلك إمعانًا في السرية، والمتأمل مثلًا في مجموع كلمة واحد، يجد قيمتها العددية على النحو التالي: واو يساوي: ستة، ألف يساوي: واحد، حاء يساوي: ثمانية، دال يساوي: أربعة، فيصير مجموعها تسعة عشر، كما أن التعبير بأيام الهاء عن الأيام الخمسة، التزام كذلك بقواعد اللغة العبرية، فالحرف هاء يساوي خمسة فيها.

ب- الفكر الباطني الذي يعتقد وحدة الوجود وما يتعلق به من الحلول والتناسخ، وذلك واضح كله في اختيار رقم تسعة عشر لمجموع إحدى الكلمتين "واحد" أو "وجود" وهذا الفكر الباطني هو جوهر الحركة البابية؛ ولذا كان سر تغلل هذا الرقم في مختلف التعاليم البابية، ولا تنس أن الرقم يمثل تقديسًا لميلاد الباب أيضًا.

جـ- أن الأيام الخمسة الهاء، أيام يباح فيها كل شيء من اللهو، والمجون، والمنكر.

9- أبرز الأعياد عند البابيين، هو عيد النيروز 21 من مارس، وهو عيد مجوسي اختاره الباب ثم البهاء عيدًا لنحلتهما؛ ليضيف إليهما صلة أخرى بالمجوسية بعد النسب اليهودي، والفكر الباطني، وقد جعله بعض المسلمين عيدًا للأم.

تلك خلاصة لتعاليم الباب التي أثار بها الفتن والقلاقل، وتسبب في هلاك الكثير من المسلمين وأتباعه في حياته وبعد إعدامه؛ حيث حل الخلاف بين أتباعه على من يتولى الزعامة، وتفرقوا إلى فئات مختلفة وحركات متصارعة، كانت الغلبة في النهاية للحركة البهائية، التي كانت امتدادًا للبابية من جانب، وتطويرًا لها وتوسيعًا لدائرتها من جانب آخر.

هذا؛ وكما اعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء، كانوا يقولون بالحلول، والاتحاد، والتناسخ، وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال، وقالوا بنبوة "بوذا"، و"كنفشيوس"، و"برهما"، و"زرادشت" وأمثالهم من حكماء الهند، والصين، والفرس الأُول،

ويوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح، ويؤولون القرآن تأويلات باطنية؛ ليتوافق مع مذهبهم، وينكرون معجزات الأنبياء، وحقيقة الملائكة والجن، كما ينكرون الجنة والنار، ويحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة، وشيوعية النساء، والأموال.

ويقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكَّا بفلسطين، بدلًا من المسجد الحرام، والصلاة تؤدَّى في تسع ركعات ثلاث مرات، والوضوء بماء الورد، وإن لم يوجد فالبسملة باسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات، وتحريم الجهاد، وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية، هذا أيضًا من أبرز ما وضح في تعاليم البابية.

وينكرون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مدعين استمرار الوحي، وقد وضعوا كتبًا معارضة للقرآن الكريم، مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب، ويبطلون الحج إلى مكة، وحجُّهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكَّا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية لتلك النِّحلة:

الرافضة الإمامية، والشيخية أتباع الشيخ أحمد الإحسائي، والماسونية العالمية، والصهيونية العالمية.

هذا؛ ومما يدل على نهم البابية الشديد، وحرصهم على جمع المال، واكتنازه؛ ليدبروا به المؤامرات، ويثيروا به القلاقل، ويشتروا الذين يلبسون على السذج من الناس الحق بالباطل، كانت مسألة جمع الأموال خلال الزكاة، وكفارة اليمين، وما يفرض على الناس.

أما أسماء الشهور عند البابية، فقد علمت أن الباب جعلها تسعة عشر شهرًا؛ مخالفًا بذلك سنة الله في الكون، وما جرت عليه كل الأمم والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها؛ حيث يقول

الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [التوبة: 36].

وأما أسماء أيام الأسبوع: فالجلال، والجمال، والكمال والفضال، والعدال، والاستجلال، والاستقلال، وكتاب (البيان)، هو الكتاب الذي ادعى الباب أنه أوحي إليه، وفيه هذه التعاليم التي أشرنا إليها، وهو مزيج من المانوية، والزندقة، والإلحاد، والزرادشتية، والإسلام.

وقد قسم الباب (البيان) إلى تسعة عشر واحدًا، وكل واحد مكون من تسعة عشر بابًا، و(البيان) بالعربية والفارسية، والذي كتبه من (البيان) العربي أحد عشر واحدًا، والذي كتبه من (البيان) الفارسي ثمانية آحاد وعشرة أبواب من الواحد للتاسع، وترك إكمال (البيان) لمن يظهره الله على حد قوله، وقد لوحظ أنه يجعل قبل كل واحد التعبير التالي: بسم الله الواحد الأقدس، تقليدًا للبسلمة في سور القرآن، وأسلوب (البيان)، أسلوب سقيم مهلل، لا يليق بطفل يخطو الخطوات الأولى في صناعة الكتابة أن يكتب شيئًا مثل ذلك، وهو مليء بالأخطاء اللغوية والنحوية، حتى أنه ادَّعى أن الوحي قد جاءه بإعفائه من قواعد اللغة والإعراب، وقد قال ذلك؛ ليداري فشله وانكشاف أمره.

وبذا تكون البابية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام، بحكم إنكارهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وادعائهم أن روح الله تعالى حلت في الباب، وإنكارهم العقوبات الإلهية، وموالاتهم المستمرة لليهود، وسعيهم الدائم لتهويد المسلمين، وإعلانهم أن كتابهم (البيان)، قد نسخ القرآن الكريم، وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية بتكفيرهم، وبيان ردتهم عن الإسلام، وأن أتباع البابية، وكذا البهائية، يعدون كفارًا كفرًا بواحًا سافرًا لا تأويل فيه.

هذا؛ والبابية كانت مقدمة وتمهيدًا للبهائية؛ فقد كانت الغلبة في النهاية للحركة البهائية، التي كانت امتدادًا للبابية من جانب، وتطويرًا لها وتوسيعًا لدائرتها من جانب آخر، وهكذا جاءت

البهائية على أثر البابية لتصبح امتدادًا لها، ويبقى الكلام عن البهائية بدلًا من البابية، إذن كان الكلام عن البابية، كالأصل لهذه البهائية.

الدرس الحادي عشر: فرقة البهائية

عناصر الدرس

العنصر الأول: من البابية إلى البهائية

العنصر الثاني: البهاء والبهائية

العنصر الثالث: التعريف بالبهائية

العنصر الرابع: تعاليم البهائية

العنصر الأول: من البابية إلى البهائية

لقد خنست البابية مكرهة بعد مقتل الباب، ولكنها كانت تسارق الثورة النظر، وتعمل بجد في الخفاء؛ بغية الأخذ بثأر الباب، وكان البابيون مختلفين على أنفسهم في عقيدتهم وشريعتهم؛ إذ كانت آراء الباب الموروثة نفسها متناقضة متباينة، وكان ما عند جماعة من كتبه وأقواله يخالف ما عند الآخرين؛ ولهذا كثر القول بالنسخ، وما كانت تحكم جماعة منهم بنسخه تثبته جماعة أخرى، هذا إلى ما كان يقترفه البابيون من خطايا وفواحش جعلت كلمة "باب" مرادفة في مفهومها لكلمتي الكفر والخطيئة، على أن البابية رغم اختلافهم كان يوحد بينهم هدف واحد، هو الرغبة في الثأر والانتقام؛ لهذا ألَّفوا جمعية سرية كانت غايتها الفتك بكل معارض، وبخاصة إذا كان من المسلمين، وكانت هذه الجمعية برئاسة سليمان خان أحد رجال تشريفات الشاه، وابن أكبر زعيم في قبيلة الأفشار، وكان الميرزا حسين علي الذي لقب بعدُ بالبهاء، هو الرأس المدبر المفكر لهذه الجماعة، وكان أعضاء هذه الجماعة يقضون على أعدائهم إما بالذبح، وإما بالسم، وإما بالخناجر المسممة.

والبابية حاولت قتل الشاه، وكلفت الجمعية السرية البابية، اثنين من أعضائها بقتل الشاه، ولكنهما فشلا وقُبض عليهما، فقتل أحدهما وجرح الآخر، فأفضى هذا بأسماء أعضاء الجمعية، ثم تجرع الموت، ثم كانت الإبادة، حيث قرر الشاه وحكومته إبادة البابيين ففتكت بمن وقع في يدها منهم، وعلى رأسهم سليمان خان، أما مرزا حسين علي وهو رأس الفتنة، فقد أودع السجن فقط؛ إذ أسرع الاستعمار الروسي لمساندة الخائن الجديد.

العنصر الثاني: البهاء والبهائية

البهائية نحلة ورثت البابية، وورثت الدماء التي أريقت في سبيل أوهامها، وضلالاتها البعيدة؛ لتعبد من دون الله صنمًا جديدًا يلقب بالبهاء، واسمه حسين علي بن الميرزا عباس بزرك بن زندراني النوري.

مولد البهاء:

ولد بطهران سنة "ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف" من الهجرة، وقد ورث زعامة العائلة بعد موت أبيه الذي كان مأمور مالية، وكان عمر البهاء إذ ذاك يقارب اثنين وعشرين عامًا، وقد توفي أبوه عن زوجتين وسبعة ذكور.

تعليمه:

لقنه المعلمون في المنزل مبادئ العلوم التي كانت منتشرة في زمنه، ثم عكف بعد هذا على التلقي من شيوخ التصوف، فأخذ عنهم أسرار التصرف ورموزه، وتدبر كتبه واستوعبها.

صلته بالبابية:

عرف البهاء البابية على يد أحد دعاتها في طهران، فآمن بها وعمره سبعة وعشرون سنة، وقد تلبدت آفاق نفسه بأطماعه، فعمل منذ أن اتصل بالبابية على أن يكون هو صاحب الكلمة النافذة، وقد استغل في سبيل هذا تلك الغانية الهلوك قرة العين بعد أن عرك أنوثتها، فكان أن دعت بتوجيه منه إلى الإيمان بنسخة الشريعة الإسلامية، على أنه لم يرم بنفسه في أتون أية معركة أججتها البابية، إنما كان يدع هؤلاء المأفونين يقتحمون الموت، ويتردون في هاويته؛ ليبقى حتى يرث الزعامة على من يبقى منهم.

فقد كانت السيطرة على هؤلاء، هي الحلم الحقير الذي استخف أطماعه ونزوات شبابه، كان يحرض الفتنة على البغي، ويكيد بها، ويدبر لجرائمها، وهو قابع وراء سدل صفيق من الرياء والنفاق حفظ عليه حياته زمنًا، فلم يقبض عليه من قبل، و لم يلق عنتًا أو ملامة، كان

يعد الخنجر ويلوثه بالسموم الفتاكة، ويضعه في يد السفاح، ويدله على الطريق وعلى كيفية القتل، حتى إذا تمت الجريمة، وقف على جثة القتيل يندبها بدموعه، ويلعن القاتل، بل كان يضع أحيانًا في ثياب المجرم الذي يدفع به إلى اقتراف الجريمة خطابًا يبرأ فيه من القتل والقاتل؛ لينجو هو إذا وقع المجرم في يد القصاص، وقد ظل هكذا إلى أن حدثت محاولة قتل الشاه، فأُخذ بها بعد أن ثبت أنه المجرم المدبر للجريمة، فذاق لأول مرة مرارة السجن، وجرِّد من أملاكه التي ورثها عن أبيه، وترك بيته نهبًا للذين خرجوا عقب حادث الشاه يدمرون على البابيين بيوتهم، ويقتصون من جرائرهم، أما أخوه يحيى –وكان له عند البابية المقام الأعظم– فقد استطاع الفرار، ومضى يضرب في الأرض صعدًا في زي الدراويش.

الاستعمار الروسي يتدخل لإنقاذ البهاء:

ظل البهاء سجينًا أربعة أشهر يترقب في كل ساعة منها المصير الرهيب الذي لقيه أعضاء الجمعية السرية، ثم كان أن تقدم السفير الروسي إلى الشاه، واقترف شهادة زور، قرر بها أن البهاء طاهر اليد من محاولة قتل الشاه، واستطاع بدهائه وسطوته حمل الشاه على إصدار قرار بالعفو عن المجرم الآثم، وبنفيه إلى عراق العرب، وأبى الروس إلا أن يثبتوا ويظهروا جهرةً للملأ أنهم يبسطون على هذا المجرم حمايتهم، فأرسلوا جماعة من الفرسان لحراسته، وهو في طريقه إلى العراق، ومعه من أهل بيته اثنا وعشرون.

البهاء يمد ويمهد للفتنة في العراق:

استقر البهاء في بغداد، فجد يُعد لنفسه السبيل إلى زعامة البابيين الذين فروا إلى العراق، وكان جلهم يدينون بزعامة يحيى، وهذا مما جعل نفس أخيه البهاء تمور بالكراهية له، وتغلي بالحقد عليه، ويستفزها دائما إلى الكيد بغية القضاء عليه، فكان أن شجر النزاع بين عصبته القليلة،

وبين عصبة أخيه يحيى، وكان أن جاء كبار زعماء البابية إلى البهاء، يذكرونه بنقائصه التي تشينه كرجل وكإنسان، فلم يجد البهاء بُدًّا من الفرار حتى تسكن ثائرة هؤلاء، ويستطيع بعيدًا التفكير في مؤامرة جديدة يقضي بها قضاء مبرمًا على أخيه يحيى وجماعته.

وفر اللئيم إلى بادية السليمانية بالعراق، وما عليه سوى رداء واحد وعلى شغاف جبل "سركلو" في "كردستان" العثمانية، وفي مغاراته السود، كان الناس يرون ضبعانًا أشعث أغبر في مرقعات الدراويش البلد، تشمئز الأجواء من نتنه الكريه ،وتنساب من تحت مشفريه همهمة مبهمة غامضة تثير في النفس الفزع، إنه البهاء يخاتل مكره بأوراده الصوفية، ونفاق زهادته المدعاة.

وشم علماء السليمانية، وأكثرهم من أهل السنة من حديث البهاء نتن كفره، فهمُّوا به ففر وعاد مكرهًا إلى بغداد.

ويقص البهاء قصته في السليمانية، فيقول: إنه أقام في صحارى الفراق، وصرف سنتين وحده في فيافي الهجر، وجرت من العيون عيون، ومن القلب بحور ومياه، فكم من الليالي لم أملك فيها قوتًا، ثم يفتري كعادته الكذب –وما أوقح جرأته فيه– فيقول: "وأخيرًا صبرنا إلى أن صدر الحكم من مصدر الأمر بالرجوع، وقد امتثلت، يزعم الكذوب أنه ما عاد إلى بغداد إلا بوحي من الله، وأمر صريح منه، على حين يذكر كتاب البهائيين مقالة سائح كذبة أخرى، فيزعم أن نفرًا من البابيين أسرعوا إلى البهاء في تلك الناحية ناحية السليمانية وتضرعوا إليه، وانتحبوا بين يديه مستعطفين؛ فحدا به ذلك الاسترحام إلى العودة، إن التلطخ بأشنع الكذب لا يضير بهائيًّا واحدًا، فهو من خُلق ربهم البهاء.

كما كان لهم مجال واسع في المجون، فمن عادة الشيعة إذا بدأ شهر المحرم كانت إقامة المناحات، والمآتم والمنادب؛ إحياءً لذكرى مقتل الحسين، ومن عادة البابيين الإسراف في اللهو والمجون

كلما استُهل شهر المحرم؛ احتفاءً بذكرى مولد الباب، وقد اقترف البابيون هذه المنكرات وهم في بغداد فهمَّ الشيعة بالفتك بهم، ولولا حكمةٌ سيطرت على عقلاء بغداد لقُضي عليه.

هذا المجون الموغل في التحدي، وهذه الهمسات التي يهمس بها الميرزا حسين حول قدسيته، مع محاولته إثارة فتنة بين العجم لصالح الروس، كل هذا حمل شيوخ الدين، وزعماء العراق على أن يطلبوا طرد البابيين، فانتظم هؤلاء في سلك التبعية لدولة العثمانية؛ لينالوا حمايتها، وخنس الشيطان، وشعر البهاء أنه يحفر بيديه لنفسه القبر المظلم، ولاح له من وراء الماضي الرهيب شبح مخيف يذكره بمصرع الباب فلاذ بالصمت، غير أن هذا الأفعوان كان إذا جن الظلام يزحف في الدروب المظلمة؛ ليلتقي بمن خدعهم ويوزع رسائله على من فتنهم، وما كانت هذه الرسائل تجشمه من النصب إلا ما يتجشمه الناقل من الكتب، فقد كان البهاء ينفض الأكفان عن وثنيات شيطانية الإسماعيلية والصوفية، ثم يزعم مستغلًّا جهالة أتباعه أن ما يكتبه، إنما هو فيض من الوحي الإلهي المقدس.

ثم تم نفي البابية من بغداد، وأكدت الأحداث لشاه إيران أن البابيين رغم مقامهم في بغداد –وهي ليست بعيدة عن حدوده– ما زالوا يمثلون خطرًا داهمًا، فطلب من الخليفة العثماني إخراجهم من العراق، ونفيهم إلى مكان بعيد، فاستجيب للشاه، وصدر الأمر بالنفي إلى "الأستانة" سنة "واحد وثمانين ومائتين وألف" من الهجرة.

العنصر الثالث: التعريف بالبهائية

البهائية نسبة إلى البهاء، وهو حسين علي المازندراني، الذي سمى نفسه بهاء الله، وقد وقفنا على دوره في مساندة الحركة البابية، وتخطيطه لها من وراء ستار، واستغلاله لكل الظروف والشخصيات؛ ليدفعها لتُحَقِّق له مآربه وهو مختف؛ حتى لا ينكشف أمره، وأَظْهَرُ مثلٍ لذلك، موقفه من مؤتمر "بدشت"، وإيحائه لقرة العين بما يريدها أن تعلنه؛ مما يدلل على أنه كان أخطر

شخصية في هذه الحركة، ولا يبالي مع من يتعاون ولا بمن يستعين، ولا من يستغل ما دام كل ذلك يحقق له أهدافه ومراميه التي تشتعل حقدا على الإسلام، وكراهية له، ومحاولة النيل منه، وزلزلة آثاره في النفوس؛ ومن أجل ذلك تعاون مع الروس وعملائهم لَّما كان في إيران، ثم لما انتقل إلى تركيا وفلسطين، أخذ يتعاون مع المؤسسات اليهودية العالمية، والاستعمار الإنجليزي، ما دام ذلك يحقق له أغراضه، ويقربه من أطماعه التي سعى إليها منذ البداية، وهو الحلم بالزعامة والقيادة.

وقد وجد في اليهودية العالمية، والاستعمار الإنجليزي، وسائل تُعاونه على تحقيق مآربه فتفانى في خدمتهما، ورأيا فيه أيضًا صنيعةً تحقق لهما أهدافهما كل في مجاله، فوقف هؤلاء وهؤلاء من ورائه، وقدموا إليه من العون المادي والأدبي ما أرضى غروره، وفي سبيل الوصول إلى أغراضه، لم يتورع عن ارتكاب أشنع الجرائم وأحط الأساليب، حتى همَّ بقتل أخيه لَّما رآه يقف حجر عثرة في سبيل أطماعه، ودبر مذبحةً من أشنع ما عرف التاريخ، فقضى فيها على أعوان أخيه قتلًا بالسواطير، والخناجر المسمومة، في وحشية يندى لها جبين الإنسان خزيًا وعارًا.

وعلى الرغم من أن البهائية وارثة البابية، إلا أن مؤسسها قد زعم أن الباب كان مبشرًا بظهوره وأنه أعظم من الباب؛ لأن الباب هو القائم، والبهاء هو القيوم، لقد صنعت منه الأساطير والخرافات والأوهام إلهًا يُعبد من دون الله، فمن هو هذا البهاء؟!.

هو الميرزا حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء، كان الولد الثالث لأبيه الميرزا عباس بزرك النوري، الذي أنجب خمسة عشر طفلًا، خمسة منهم إناث والباقون ذكورًا، وكانت أمه الزوجة الأولى لأبيه، الذي تزوج بأكثر من واحدة يرفع عددهن إلى أربع زوجات صاحب (الكواكب الدرية)، ولكن دائرة المعارف الأردية، تذكر أنه تزوج بتسع زوجات، وكان أبوه من موظفي وزارة المالية في إيران، وقد اختلف في تاريخ ولادة البهاء، كما اختلف في مكان ولادته،

فبينما تذكر بعض المصادر، أنه ولد في واحد وعشرين من أكتوبر سنة "سبعة عشر وثمانمائة وألف" من الميلاد؛ إذ تذكر بعض المصادر الأخرى، أن ولادته كانت في اثني عشر من نوفمبر سنة "سبعة عشر وثمانمائة وألف" من الميلاد، وسواء كان هذا أو ذاك، فإن الاختلاف بين التاريخين لا يتجاوز ثلاثة أسابيع، أما مكان ولادته فلم يُتفق عليه أيضًا، فبينما تقول بعض الروايات، أنه ولد في قرية نور إحدى قرى منطقة "المازندران"، إذ تذهب أخرى إلى أن مولده كان في طهران.

وقد كان لأسرته صلات وثيقة بالسفارة الروسية في طهران؛ إذ كان أخوه الأكبر يعمل في الوظائف الكتابية بالسفارة الروسية، وكانت له مكانة طيبة بين الروس، ويبدو أن العلاقة قد توثقت بينه وبينهم، وأنه كانت هناك خدمات متبادلة بحكم الصلة الممتدة بينهما، وفي الوقت نفسه كان زوج أخت الميرزا حسين علي، يعمل سكرتيرًا للسفير الروسي بطهران، وكان الصدر الأعظم لإيران "أفا خان" صديقا حميمًا لأسرة الميرزا حسين علي، وكان في نفس الوقت يعمل لحساب الروس، ولعل هذه الصلات الوثيقة بين أسرته، وبين سفارة "روسيا" تكشف عن وقوف الروس من ورائه، ومحاولة التدخل لدى حكومة إيران كلما أشارت إليه أصابع الاتهام.

وقد تتلمذ منذ صغره على علماء الشيعة، وكان اهتماماته بكتب الشيعة ورواياتهم التي تتحدث عن المهدي والمهداوية، وقد عرف عنه في سن الرابعة عشرة الاشتهار بالعلوم، حتى قال عنه ابنه عباس عبد البهاء إنه اشتهر بالعلوم، وكان يتكلم في أي موضوع، ويحل أي معضلة تعرض له، ويتباحث في المجامع مع العلماء، ويفسر أعوص المسائل الدينية، وقد ضم إلى كل ذلك اطِّلاعه على كتب الصوفية، والباطنية، وآراء الفلاسفة القدامى، والفلسفة السوفسطائية القديمة، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يدَّعي أنه لم يدرس و لم يبحث؛ محاولًا أن يوحي إلى أتباعه أن هذا جاءه دون بحث ولا درس.

وينقل صاحب (البهائية نقد وتحليل)، دعوى البهاء أنه لم يدرس و لم يبحث قوله: إنا ما دخلنا المدارس، وما طالعنا المباحث، اسمعوا ما يدعوكم به هذا الأمي إلى الله الأبدي، ويناقش صاحب (البهائية نقد وتحليل)، هذه الدعوى ويطيل في التدليل على كذب صاحبها، ويثبت أنه قرأ وطالع الآثار والأفكار والآراء التي خلفها أصحاب الدعوات الباطنة من السابقين، والمتصوفين، والفلاسفة، والكتب المنزلة؛ مما يبدو أثره واضحًا في كتبه ورسائله، ويقف صاحب (البهائية نقد وتحليل)، عند دعوى البهاء أنه لم يقرأ (البيان)، ولا الآثار التي كتبها الباب، ويرد عليه قائلًا: إنك ما رأيت كتبه وآثاره، فكيف اعتنقت ديانته وآمنت بخرافاته؟.

هذا ولما صدر أمر الباب العالي بنفي البابيين من بغداد إلى "الأستانة"، سبق البهاء وأهله وأتباعه إلى حديقة نجيب باشا خارج بغداد، فأقاموا فيها تحت الحراسة اثنا عشر يومًا، من واحد وعشرين إبريل سنة "ثلاثة وستين وثمانمائة وألف" من الميلاد، إلى الثاني من مايو سنة "ثلاثة وستين وثمانمائة وألف" من الميلاد.

وفي اليوم الأول من نزولهم بالحديقة وكان يوم أربعاء، أسرَّ البهاء إلى الخاصة من الأحبة والصفوة من الأتباع الذين هم معه في الحديقة، بأنه الموعود الذي بشر الباب بظهوره، وطلب منهم كتمان السر لا يبوحون به إلا بإذنه، فما أذن لهم بالبوح به إلا في "أدرنة" الذي سماها أرض السر، لكن الحديقة تقدست وتعظمت فبدلًا من حديقة نجيب باشا صارت حديقة الرضوان، وتباركت أيام الحديقة فهي عيد الرضوان الذي يحتفل به البهائيون اثنا عشر يوما كل عام، والذي جعلوه بداية تاريخهم البهائي، وقد قال لهم الباب من قبل: "قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرًا، والشهر تسعة عشر يومًا"، فجاءت شهور الحول البهائي كما يلي:

شهر البهاء، والجلال، والجمال، والعظمة، والنور، والرحمة، والكلمات، والكمال، والأسماء، والعزة، والمشيئة، والعلم، والقدرة، والقول، والمسائل، والشرف، والسلطان، والملك، والعلاء، وأصبح للبهائيين عيدان: عيد الفيروز؛ وقد شرعه الباب، وعيد الرضوان الذي أضافه البهاء،

ويقول في (الأقدس): "طوبى لمن فاز باليوم الأول من شهر البهاء، الذي جعله لهذا الاسم العظيم، طوبى لمن يظهر فيه نعمة الله على نفسه، إنه محن أظهر شكر الله بفضله المذل على فضله الذي أحاط العالمين، قل إنه لصدر الشهور ومبدؤها، وفيه تمر نفحة الحياة على الممكنات، طوبى لمن أدركه بالروح والريحان تشهد أنه من الفائزين".

وفي "أدرنة" التي سماها البهاء في (الأقدس) أرض السر، كان الكشف عن السر والجهر بظهور بهاء الله الذي بشر به الباب، وبشر به الرسل جميعًا بأنه هو الموعود، وأنه المظهر الأكمل للتجلي الإلهي؛ ليبلغ بالرسالة مرتبتها العليا من الكمال، وزعم البهاء أنه هو الذي أنزل (البيان) على الباب، وأوصى به إليه، فيقول في (المبين): "قل نزلنا البيان وجعلناه بشارة للناس؛ لئلا يضلوا السبيل، وإذا قيل لهم بأيّ حجة آمنتم بالله؟ يقولون: (البيان) فلما جاءهم منزله كفروا بالرحمن، ألا إنهم من الخاسرين، قل: البيان نزل لنفسه وزين بذكرى، لولا ظهوري ما نزل حرف منه، ومع أنه عدا على أخيه "صبح أزل"، واغتصب الأمر منه، فإنه يقول عن الباب: لو أن الباب حضر اليوم لقال بأنني أول العابدين، ومن ثم ينادي البابيين جميعًا إلى الإيمان به، والتصديق له والخضوع لأمره، يا ملأ البيان قد أتى منزله ومرسله، اتقوا الرحمن، ولا تكونوا من الظالمين، وفي عكّا تنزلت عليه الشياطين، وأوحت إليه بكل إفك مبين، فهو يدعو من اتبع أخاه أن ينفض عنه؛ لينال رضوان من أظهره الله، وليحظى بتزكية بهاء الله له. فيقول في (الأقدس): "يا ملأ البيان اتقوا الرحمن، ثم انظروا ما أنزله في مقام آخر، قال: إنما القبلة من يظهره الله متى ينقلب تنقلب إلى أن يستقر، كذلك نزل من لدن مالك القدر إذ أراد ذكر هذا المنظر الأكبر، تفكروا يا قوم، ولا تكونن من الهائمين، لا تنكرونه بأهوائكم، إلى أيّ قبلة تتوجهون يا معشر الغافلين".

ويتوجه بالدعوة إلى أخيه أن يترك العناد والإعراض ويثوب إلى رشده، ويتبرأ من ذنبه، ويعود إليه تائبًا مستغفرًا؛ فيعفو عنه ويتجاوز عن خطاياه وتمرده، فيقول له في (الأقدس): "قل يا

مطلع الإعراض دع الأغماض، ثم انطلق بالحق بين الخلق، تالله لقد جرت دموعي على خدودي بما أراك مقبلًا إلى هواك، ومعرضًا عمن خلقك وسوَّاك، اذكر فضل مولاك إذ ربيناك في الليالي والأيام بخدمة الأمر، اتق الله وكن من التائبين، إياك أن تمنعك الحمية عن شطر الأحوية، توجه إليه ولا تخف من أعمالك، إنه يغفر لمن يشاء بفضل من عنده لا إله إلا هو الغفور الرحيم، إنما ننصحك لوجه الله، إن أقبلت فلنفسك، وإن أعرضت إن ربك غني عنك، وعن الذين اتبعوك بوهم مبين".

ويصل تبجح البهاء غايته، وينزلق إلى الدرك الأسفل في كفره الدنس، ورجس الضلالة وهو يقول في (الأقدس): "يا ملأ البيان إنّا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون، ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون، تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله وأنتم غافلون، وقد أحطنا بالكتاب إذ كنتم في الأصلاب، هذا ذكري على قدركم لا على قدر الله، يشهد بذلك ما في علم الله لو أنتم تعرفون، ويشهد بذلك لسان الله لو أنتم تفقهون، تالله لو انكشف الحجاب أنتم تُصعقون".

إن الإنسان ليدهش وهو يقرأ هذا الكلام، كيف يمكن لعاقل أن يتفوه به فضلًا عن أن يسطره في كتاب يسميه (الأقدس)، مع دناسة كل حرف فيه، ورجس كل فكرة وتهافتها، لكنه لا عجب أن تكون زهور الشجرة الخبيثة نتنة الرائحة خبيثة الثمرة.

والتعاليم الشيخية التي بذر بذرتها الإحسائي، كانت زهرتها الباب نتنًا وعفنًا، وثمرتها البهاء خبثًا وضلالة ومروقًا، تقول الشيخية: "إن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال، وإن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال، هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديمًا وحديثًا، هم مظاهر أمر الله، ومهابط وحيه في زعمهم، وهذا ما جعل الباب على ضعفه وذله يدعي أنه المهدي، ثم إنه المسيح، ثم إنه المظهر الإلهي، ومن بعده جاء البهاء الأفاك، فسلك نفس الطريق وترقى على شاكلة الباب؛ فإنه لم يكتف بإعلان نفسه خليفة للباب، بل ادعى أنه المسيح، وقال: "واعلم أن الذي صعد إلى السماء قد نزل بالحق، وكان ربك على ما أقول

شهيدًا، قد تعطر العالم برجوعه وظهوره"، كما قال: "قل يا قوم قد جاء الروح مرة أخرى ليتم ما قال من قبل، كذلك وعدتم به في الألواح إن كنتم من العارفين".

ولم يلبث أن جعل نفسه نبيًّا، بل أعلن عن ألوهيته، فهو أحق بذلك من الباب؛ فبهاء الله أعظم من الباب؛ لأن الباب هو القائم، وبهاء الله هو القيوم، أي: الذي يظل ويبقى، وهذا ما يقوله البهاء عن نفسه في سورة الهيكل: "لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي إلا كينونته، ولا في ذاتي إلا ذاته، ولا في حركتي إلا حركته، ولا في سكوني إلا سكونه، ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود".

ويقول البهاء في كتابه (المبين): "يا قوم طهروا قلوبكم، ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارئكم في هذا القميص اللميع".

إن البهاء الذليل المهان، يدعي الألوهية ويستخف أتباعه فيطيعوه؛ لأنه أباح لهم الفسق والفجور، وشرع لهم اللهو والمجون واللذات الدنيئة، والإله الحق عزة وجلال وكبرياء عظيم، والبهاء المتأله لم يكن حتى بشرًا أبيًّا كريمًا، بل كان منافقًا سمجًا ذليلًا، فقد كتب من سجن طهران رسالة يستعطف بها الشاه ويسترحمه، يقول فيها: "يا ملك الأرض، اسمع نداء هذا المملوك، انظر بعين العدل إلى الغلام، ثم احكم بالحق فيما ورد عليه، إن الله جعلك ظله بين العباد، وآية قدرته لمن في البلاد، احكم بيننا وبين الذين ظلمونا من دون بينة ولا كتاب منير، إن الذين حولك يحبونك لأنفسهم، والغلام يحبك لنفسك، وكان ربك على ما أقول شهيدًا، إن الذين يرتفعون من تحت الأقدام ليكونوا فوق الرءوس، ثم ليكونوا آلهة، لا بد وأنهم صادفوا أناسًا لا خلاق لهم، ولا كرامة عندهم، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، وإلا لما سبحوا بحمد هذا التافه، ولما قدسوا هذا المأفون، ولما ألهوا المقت والهوان والرذيلة..." إلى آخر ذلك.

العنصر الرابع: تعاليم البهائية

على سنة الباب قام البهاء يؤلف ويزعم دينًا جديدًا، يخرج به على الناس يدعوهم فيه إلى ما يلي:

أولًا: في مجال الاعتقاد: ادعى الميرزا حسين علي أنه الموعود الذي ظهر إلى الوجود، وأنه الكلمة التي فر منها العلماء والنقباء، ثم ادعى بعد ذلك أنه المسيح نفسه نزل من السماء بالحق، و لم يقف البهاء عند هذا الحد، بل تعداه إلى ادعاء الربوبية، فزعم أن الله يتجلى فيه، فيفنى منه العرض ولا يبقى إلا الجوهر الرباني الخالص، وهو أتم وأكمل وأبهى ما له من تجليات، أما عيسى وغيره من الأنبياء، فلم تكن لهم من مهمة سوى إعداد النفوس لظهور الله في صورة البهاء؛ فالبهاء هو الاسم الأعظم لله تعالى، كما صرحت المصادر البهائية.

الثاني: يعتقد البهائيون أن الرسل حقيقة واحدة تتناسخ في الهياكل البشرية، وتتصف بالحقيقة الإلهية، وتعتقد بامتياز البهاء، وتنكر البهائية ختم النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن من يدعي أمرًا قبل إتمام ألف سنة كاملة بعد البهاء فهو كذاب.

الثالث: أنكر البهاء القيامة وأحوال الآخرة على نحو ما جاء في القرآن، وشرحها شرحًا باطنيًّا خاصًّا به، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: قال عن القيامة: أنها نوعان صغرى: وتعني قيامة كل نبي ورسول قبله بتهيئة النفوس لاستقباله، وقيامة كبرى: وهي قيامة البهاء بالأمر. وقال عن البعث: "إنه هو اليقظة الروحية"، وقال عن الحساب: "هو الفصل بين المؤمنين بتجسد الله في البهاء، وبين الكافرين بهذا" والجنة: "هي رياض المعرفة التي فتحت أبوابها في عهد البهاء، والإيمان بأن البهاء هو رب السموات والأرض –تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا– وأما النار: فهي الحرمان من تلك المعرفة بمخالفة البهاء، والكفر به حيث يؤدي ذلك إلى ما زعموه من الموت والغفلة، والورود في نار الكفر والغضب الإلهي، والملائكة: هم أئمة

الهدى وأئمة الضلال، أما ملائكة النار المذكورون في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر: 30]، فهم التسعة عشر رجلًا الذين كفروا بالبهاء، واتبعوا أخاه يحيى.

وجملة القول أن البهائية في اعتقادها، تسير في طريق البابية بالقول بالحلول، والتناسخ، والرجعة، وعدم انقطاع الوحي بإنكار آخرية نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والكفر بالعقيدة الإسلامية، والاعتماد على التفسير الباطني، والاختصاص -في زعمهم- بأن معرفة هذه الأمور الاعتقادية لا يعلمها إلا أمثال الباب والبهاء.

شرعة البهاء:

صنع البهاء صنيع سلفه الباب، في مسخ الشريعة الإسلامية ونسخها، فجاءت تعاليمه على النحو التالي:

1- يزعم البهاء أن كل شيء أصبح طاهرًا منذ حلت فيه روحه، وهو في حديقة الرضوان، حديقة نجيب باشا في بغداد، وأمر المازندراني بالغسل في كل أسبوع مرة، وغسل الأرجل في الصيف مرة في اليوم، وفي الشتاء مرة كل ثلاثة أيام، ومن لم يجد الماء يذكر خمس مرات بسم الله الأطهر الأطهر.

2- فرض البهاء على أتباعه في أقدسه، الصلاة تسع ركعات حين الزوال، وفي البكور والآصال، يؤديها البهائي فرادى، وقد رفع البهاء في أقدسه حكم الجماعة إلا في صلاة الميت، والظاهر من دراسة البهائية في بداية ظهورها، أن الصلاة فيها كشأن البابية يحيط بها الغموض من كل جانب، وليست مقصورة على استعمال صيغ معينة، ومختلَف فيها اختلافًا كبيرًا، والقبلة في الصلاة هي التوجه إلى عكَّا؛ مقر مدفن البهاء، وفي حياته كانت إلى المكان الذي يقيم فيه، لكن البهائية يقولون: إن الصلاة على ثلاثة أنواع: كبرى، ووسطى، وصغرى، و لم يأت في كتب البهاء سوى ما تقدم ذكره.

3- الصيام في البهائية، كما هو عند البابية في شهر العلاء، ويبدأ من اثنين مارس لمدة تسعة عشر يومًا، يحتفلون بعده بعيد النيروز في 21 مارس كل عام، والمريض، والهرم ونحوهما لا صلاة عليهما ولا صيام.

4- الحج مفروض على الرجال فقط، ومهوى حجّهم قبر ميرزا حسين علي البهاء، أما في حياته فكان إلى المكان الذي ينزل فيه.

5- الزكاة، من يملك مائة مثقال من الذهب يؤخذ منه تسعة عشر مثقالًا إلى بيت العدل الذي تأسس في سنة "ثلاثة وستين وتسعمائة وألف" ميلادية في فلسطين، بعد هلاك البهاء إلى ثلثي قرن.

6- للرجل الحق في توثيق صلته بالمرأة التي يرغب في الزواج منها قبل أن يستشير والديها قبل العقد في المحفل البهائي، ولا يحرم على الرجال النكاح بأي امرأة سوى زوجة الأب، ويجوز للمرأة التي سافر عنها زوجها أو غاب عنها، أن تختار زوجًا آخر بعد خمسة أشهر وعشرين يومًا على التقريب دون طلاق، والزاني والزانية يدفعان إلى بيت العدل تسعة مثاقيل من الذهب، وقبل الطلاق يفترق الزوجان عامًا بهائيًّا كاملًا، فإذا لم يكن التوفيق انفصلا بالطلاق، والمهور تسعة عشر مثقالًا من الذهب للمدن وللقرى من الفضة، ولا تتجاوز خمسة وتسعين مثقالًا.

هذا؛ وقد كان لحسين علي ثلاث زوجات: نوابا خانن أو هانم أم الكائنات، ولدت عباس أفندي الغصن الأعظم عبد البهاء، والميرزا مهدي، وبهائية خانن وثلاثة ذكور صادق علي محمد، وعلي محمد الثاني، والزوجة الثانية مهد عليا، وكانت بنت عمه، ولدت له الميرزا محمد علي الغصن الأكبر، والميرزا بديع الله، والميرزا ضياء الله، والبنت هدية خانن، وولدًا وبنتًا ماتا طفلين، والزوجة الثالثة كوهر خانن، وولدت له بنتًا واحدة سماها فروحة خانن، لكنه يحرم الزواج بأكثر من اثنين.

7- والميراث في البهائية كما في البابية، ومن مات و لم يكن له ذرية ترجع حقوقهم إلى بيت العدل.

8- ويعاقب السارق بالنفي والحبس، وفي الثالث يجعل على جبينه علامة يعرف بها.

9- والربا مباح كسائر المعاملات المتداولة بين الناس.

10- والمأكولات والمشروبات والملبوسات لا شيء فيها، ولا حرمة في أكل ميتة ونحوها، كما هو المتبادر إلى الذهن والظاهر من تعاليمهم، فكل شيء طاهر حلال عند البهائيين.

11- تلك الشريعة ترتبط بالأيام والشهور، وهي كالبابية، وبالمناسبة نذكرها على النحو التالي: الشهور: شهر البهاء من 21 مارس، وشهر الجلال من 9 أبريل، وشهر الجمال من 28 أبريل، وشهر العظمة من 27 مايو، وشهر النور من 5 يونيو، وشهر الرحمة من 24 يونيو، وشهر الكلمات من 13 يوليو، وشهر الأسماء أول أغسطس، وشهر الكمال من 20 سبتمبر، وشهر العزة من 8 سبتمبر، وشهر المشيئة 27 سبتمبر، وشهر العلم 16 أكتوبر، وشهر القدرة من 4 نوفمبر، وشهر القول من 23 نوفمبر، وشهر المسائل من 12 ديسمبر، وشهر الشرف من 31 ديسمبر، وشهر السلطان من 19 يناير، وشهر الملك من 7 فبراير، ومن 26 فبراير إلى أول مارس أيام الهاء؛ وهي أيام زائدة، والشهر التاسع عشر هو شهر العلاء من 2 مارس.

أما الأيام فهي سبعة: يوم الجلال، ويوم الجمال، ويوم الكمال، ويوم الفضال، ويوم العدال، ويوم الاستجلال، ويوم الاستقلال، أما الأعياد فهي خمسة عند البهائية: وهي عيد النيروز 21 مارس، وعيد الرضوان 21 أبريل، وعيد ميلاد الباب أول يوم من شهر محرم، وعيد ميلاد البهاء الثاني من المحرم، وعيد المبعث الخامس من شهر جمادى الأولى، ويوافق إعلان الباب دعوته ولادة عبد البهاء.

التعاليم الدعائية:

قامت هذه التعاليم التي وضع أساسها البهاء على ادعاء الوحدة والمناداة بالاتحاد، ويتمثل ذلك في وحدة الأديان، ووحدة الأوطان، ووحدة اللغة، واتحاد جميع الأمم، وترك الحروب، ومحو حكم الجهاد، والمساواة بين الرجال والنساء، وتزعم البهائية أن الغرض من تعاليمها هذه، الوحدةُ الموهومة، واتحاد العالم كله في الله وبالله.

واعلم أن أخطر ما تتصف به هذه النحلة المارقة هو النفاق، في حين يدعو عبد البهاء: إلهي، إلهي، أسألك بتأييداتك الغيبية، وتوفيقاتك الصمدانية، وفيوضاتك الرحمانية، أن تؤيد الدولة العلية العثمانية والخلافة المحمدية على التمكن في الأرض والاستقرار على العرش، وهذا في مكاتيب عبد البهاء، في الوقت الذي يعمل لإسقاط الدولة على حساب الاستعمار الإنجليزي، ويدعو لهم بقوله: "اللهم أيد الإمبراطور الأعظم "جورج الخامس" عاهل "إنكلترا" بتوفيقاتك الرحمانية، وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم بعونك وصونك وحمايتك إنك أنت المتقدر المتعالي العزيز الكريم، (مكاتيب عبد البهاء) أيضًا.

والحق أن هذه التعاليم الدعائية، تؤكد الصلة بين البهائية والماسونية اليهودية، التي تتستر خلف هذه التعاليم الدعائية التي تلبس لباس الإنسانية، ونبذ الحروب، وهي في الحقيقة ترمي إلى خدمة المبادئ الصهيونية، وتهيئة المناخ العالمي للسيطرة اليهودية، وقد برز تعاون كبير بين البهائية والصليبية الدولية، والصهيونية العالمية، وأخذ هذا التعاون مظاهر متعددة منها:

1- جميع بهائيي العالم يرتبطون ببيت العدل الرئيس في حيفا الذي يتولى أمر جميع البهائيين الموجودين في العالم، وتقر البهائية التحالف والمصير المشترك بينها، وبين الصهيونية العالمية، ويتضح ذلك بجلاء في التصريح الصحفي الذي أدلت به السيدة "روحية ماكسويل" خليفة البهائية الخامسة عام "واحد وستين وتسعمائة وألف" من الميلاد، فإذا كان من المقرر لنا أن نختار، فمن الجدير أن يكون هذا الدين الجديد في أحدث دولة "إسرائيل" يترعرع فيها، وفي

الواقع ينبغي أن أقول: "إن مستقبلنا ودولة "إسرائيل" كحلقات السلسلة بعضها متصل ببعض؛ لهذا تعتبر "إسرائيل" البهائيين كأنهم مواطنون لها مهما اختلفت جنسياتهم، و لم لا وهذا شوقي أفندي الخليفة البهائي الرابع، يعلن في فرح عام "ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف" من الميلاد: "لقد تحقق الوعد الإلهي لأبناء الخليل، وورثة الكليم، واستقرت الدولة الإسرائيلية في الأراضي المقدسة، وأصبحت العلاقات وطيدة بينها وبين المراكز العالية للجامعة البهائية".

وتزعم البهائية أن أسفار اليهود بشرت بمجيء البهاء وعبد البهاء، ويستدلون على ذلك بنصوص من العهد القديم، ويمارس البهائيون الأسلوب اليهودي القائم على السرية، وإنشاء محافل خاصة بهم، وإيجاد خلايا سرية لهم في بلاد الإسلام، يهدفون من ورائهم لخدمة الصهيونية العالمية، وهم بمنأى عن الريبة والاتهام، كما يمارس البهائيون نفس الأسلوب اليهودي القائم على الخديعة والنفاق، والتكيف مع أوضاع المجتمع الذي يعيشون فيه، فالبهائي في هذا يجمع بين الأضداد: بين الإسلام والكفر، وإظهار التقوى والإباحية.

2- عملت الصليبية الدولية بالتعاون مع الصهيونية العالمية على الوقوف ضد كل الدول التي تعمل على مقاومة البهائيين، وفي تقرير من القدس صرَّح بعض المسئولين في طائفة البهائيين في "إسرائيل" لوكالة "فرانس بريس" بأن السيدة "جيم كركبا تريك" سفيرة الولايات المتحدة السابقة لدى الأمم المتحدة أعربت عن قلقها بشأن مصير البهائيين في إيران؛ حيث زارتهم في أهم موقع، وهو معبدهم في جبل "كرمل" في حيفا، وأكدت أثناء الزيارة أن مسألة الاضطهاد التي يعاني منها الأعضاء الثلاثمائة ألف من هذه الطائفة في إيران ستثيرها الولايات المتحدة هذا العام أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

3- وبالفعل فقد دعت واشنطن طهران إلى وقف عمليات التعذيب ضد أتباع الطائفة البهائية، وقد شجب الرئيس الأمريكي الأسبق "ريجن" تعذيب البهائيين في إيران، ويبدو أن الرئيس الأمريكي السابق، وغيره ممن تعاطفوا مع هذه النحلة اللقيطة، نسوا أن يشجبوا تعذيب

العرب في فلسطين ولبنان، والجولان الذي يدنوا عددهم من عدد البهائيين المقدر بنحو ثمانية ملايين نسمة، موزعين على مائتين وسبعة وأربعين دولة في العالم، ومقرها في حيفا؛ حيث تأسس بيت العدل في أبريل سنة "1963" ميلادية.

لقد يسرت الصليبية الدولية –بدءًا من روسيا القيصرية، ثم أوربا الغربية، وعلى رأسها بريطانيا، ونهايةً بأمريكا– السبيل إلى ذيوع هذه الحركة، وقامت بنشاط مكثف أدى إلى الاعتراف الدولي بالحركة البهائية كحركة تدعو إلى السلام، واعتبارها منظمة سلم ضمن منظمات "اليونسكو" الدولية، وقد اعترفت بها الأمم المتحدة سنة "ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين " من الميلاد سنة اعترافها بقيام دولة "إسرائيل" في فلسطين.

الدرس الثاني عشر: القاديانية الأحمدية

عناصر الدرس

العنصر الأول: العوامل التي ساعدت على ظهور القاديانية

العنصر الثاني: التعريف بالقاديانية ومؤسسها

العنصر الثالث: المراحل التدريجية لادعاءات غلام أحمد القادياني

العنصر الرابع: أصول الحركة القاديانية

العنصر الخامس: العلاقة بين القاديانية والصليبية والصهيونية

العنصر السادس: الجذور الفكرية والعقائدية للقديانية

العنصر الأول: العوامل التي ساعدت على ظهور القاديانية

1-أن للبيئة أثر كبير في ظهور القاديانية؛ حيث نبتت في بلاد الهند التي تشكل نموذجًا فريدًا سواء في الناحية الجغرافية، أو في الناحية الفكرية، ففي الناحية الجغرافية تضم بلاد الهند متحفًا جغرافيًّا فريدًا، يجمع بين الجبال الشاهقة، والوديان العميقة، وبين الصحارى المقفرة والغابات الكثيفة، مما أدى إلى اختلاف المناخ اختلافًا عجيبًا.

أما في الناحية الفكرية، فقد اختلفت شعوب هذه البلاد اختلافًا لا مثيل له، وكثرت لغاتها، وتباينت لهجاتها، وتنوعت معتقداتها، لكن يبقى أن نقول إن طبيعة المعتقدات الهندية كالهندوسية بمثابة خيط مستمر التطور يربط الماضي بالحاضر في تيار لا ينقطع، ويتأثر بتعاليم الأديان الأخرى إن سمحت الظروف بوصولها، مما يؤدي في النهاية إلى ظاهرة واضحة تقوم على التلفيق والمزج بين الأديان المختلفة؛ لنسج دين أو مذهب جديد، وكان لهذه الظاهرة أثر كبير على مؤسس المذهب القادياني؛ فنادى بدعوته متأثرًا بتلك الظاهرة الطبيعية في هذا المجتمع.

2- شهد العالم الإسلامي تخلفًا حضاريًّا وسياسيًّا إبان القرن السابع عشر، والثامن عشر الميلاديين، وتعرض للخطر الخارجي، والهجوم الصليبي بقيادة الإنجليز، الذين تسربوا إلى بلاد الهند، وزحفوا إليها منذ سنة "1705" من الميلاد، عن طريق شركة الهند الشرقية الإنجليزية الاستعمارية، وتغلغل الإنجليز في أرجاء الهند، مستغلين خيراتها مستنفذين قواها، ثم أقدموا على احتلالها عسكريًّا سنة "1757" من الميلاد، وتتابع زحفهم واستعمارهم حتى شمل الهند جميعها، وتركزت إدارتهم المباشرة في منطقتي البنغال والبنجاب.

وشعر المسلمون بالخطر، وهبوا ينبهون إلى العدو الجديد، ويدعون الهنود مسلمين وغير مسلمين للجهاد والوثوب؛ لطرد هذا الغاصب الذي دخل بلادهم متلصصًا متسترًا، وأيقن المستعمر أن قواته سترحل يوما ما؛ لأن إخضاع المسلمين بقوة السلاح مطلب بعيد عن

الواقع؛ فالمجتمع الإسلامي يرفض السيطرة المباشرة رفضًا باتًّا؛ ولذا فقد تضمنت خطة المستعمر، خلق طبقة من المسلمين تتبنى آراءه، وتدافع عنها، وتتولى تنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه، فكان لمؤسس القاديانية –الذي كان خاضعًا للإنجليز خضوعًا كليًّا، وقام بدوره في المجال الديني يخدم مصالحهم– دورٌ لم يستطيع القيام به، وتبني دعوة تحريم الجهاد في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة إليه؛ لدفع غارة الاستعمار عن بلادهم؛ ولهذا كانوا عونًا له وسندًا، ولم لا فهو يمهد لهم طريقًا عجزوا عن سلوكه، وسيكون خليفتهم في العالم الإسلامي إن هم رحلوا عنه، خليفتهم في توهين العقيدة الإسلامية، وتمزيق وحدة المسلمين؛ كي تظل كلمة الاستعمار هي المسموعة في الساحة الدولية.

3- الاستعداد النفسي الذي عم الأوساط الإسلامية في تلك البلاد في انتظار المخلِّص أو المنقذ أو المهدي المنتظر، أو رجعة عيسى عليه السلام حيث اجتاحت العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حالة من اليأس في النصر على المستعمر الأوربي؛ إذ بلغت سيطرته على البلاد ذروتها في ذلك التاريخ، فتوجه المسلمون إلى مصدر القوة التي لا تقهر؛ إلى الله سبحانه وتعالى ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات السماوية، فلن يُبعث رسول برسالة أخرى، ترقب المسلمون ظهور المهدي المؤيد من الله؛ كي يخلصهم من هذا الكابوس الاستعماري، كما توقعوا قرب نزول المسيح عليه السلام ليحكم بالقرآن الكريم، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، إلى آخر ما ورد في صفات المسيح عليه السلام.

فكان مؤسس القاديانية صنيعة الاستعمار، مدعيًا أنه هو ذا المسيح الذي جاء؛ ليملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا.

وخلاصة القول: أن العوامل التي ساعدت على ظهور القاديانية، هي: طبيعة الدين الهندوسي، وظاهرة التلفيق والمزج بين المعتقدات والأفكار، ووجود الاستعمار الإنجليزي، وسعيه في

تحقيق السيطرة على المسلمين، والاستعداد النفسي والذهني، أو عقيدة الرجعة للخلاص من الأوضاع القائمة.

العنصر الثاني: التعريف بالقاديانية ومؤسسها

هذا؛ ويمكن أن نعرف القاديانية بأنها: حركة نشأت سنة "1900" من الميلاد، بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية؛ بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان، التي تصدر باللغة الإنجليزية.

مؤسس القاديانية:

ندع مؤسس القاديانية يتحدث فيعرفنا بنفسه، فيقول: "إني أنا المسمى بغلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى، وميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد، ويسوق نسبه إلى ميرزا محمد سلطان بن ميرزا هادي بك، وينحدر الميرزا غلام أحمد من أصل مغولي، وقيل فارسي، وكانت ولادته في قرية سميت ببلدة الإسلام، أو "إسلام بور قادي" التي صحف اسمها إلى "قديان"، وهي واقعة في بلاد "البنجاب" من مديرية "كردسابور" في الهند حاليًا، وذلك في سنة "1252" من الهجرة، "1839" من الميلاد.

نشأ ميرزا غلام أحمد، في بيت من البيوت التي اشتهرت بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية، وتحقيق مصالحهم البغيضة، يقول غلام أحمد: "ولما ترعرعتُ ووضعت قدمي في الشباب، قرأت قليلًا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف، وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا من كتب الطب، وكان أبي عرَّافًا حاذقًا، وكان له يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، إلى أن قال: ولم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه إلا كطلٍّ من الوابل، وكنت أحب زمرة الروحانيين".

هذا وقد بدأ حياته كموظف صغير، وشارك والده في المحاكمات والقضايا، وعاش في تقشف حتى تبوأ الزعامة الدينية، فاتسع له العيش وأقبلت عليه الدنيا، وقد أصيب في حياته بطائفة من الأمراض؛ حيث أصيب بالهيستريا، والنوبات العصبية العنيفة، والمنخوليا، والسل، وأمراض الصدر، والبول السكري، ولازمه دوار الرأس في نصفه الأعلى، وسلس البول في نصفه الأسفل.

تزوج غلام أحمد مرتين، سنة "ثلاثة وخمسين وثمانمائة وألف" من الميلاد، وعمره أربعة عشر عامًا، ثم سنة "أربعة وثمانين وثمانمائة وألف" من الميلاد، وعمره خمسة وأربعون عامًا ،وفي عام "ألف وثمانمائة وثمانية وثمانين" من الميلاد، وعمره تسعة وأربعون عامًا، تنبأ بأنه سيتزوج الفتاة "محمدي بيكم" وهي من أسرته، وأخبر أنه أمر قد قضي في السماء، ونبأه الله به مرارًا وتكرارًا –على حد زعمه– وتحدى بذلك العالم، لكن الفتاة تزوجت بشاب آخر، وعاشت مع زوجها بعد وفاة ميرزا غلام أحمد مدة طويلة.

وفي صباح السادس والعشرين من مايو سنة "ألف وتسعمائة وثمانية" من الميلاد، الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة "ألف وثلاثمائة وستة وعشرين" من الهجرة، هلك ميرزا غلام أحمد مصابًا بمرض الهيضة الوبائية المعروف باسم "الكوليرا"، وهو في "لاهور"، ونقلت جثته إلى "قديان" حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة، وبلغته "بهشت مقبرة"، وخلفه حكيم نور الدين من سنة "ألف وثمانمائة وواحد وأربعين" من الميلاد إلى "ألف وتسعمائة وأربعة عشر" من الميلاد، الذي لقب بالخليفة الأول، وخليفة المسيح الموعود نور الدين الأعظم، ثم تولى أمر الدعوة بعده بشير الدين محمود بن ميرزا غلام أحمد، وهو يمثل الخليفة الثاني في الحركة القاديانية.

ومن الجدير بالذكر أن القاديانية في أيام غلام أحمد وخليفته نور الدين كانت مذهبًا واحدًا، غير أن القاديانيين في آخر حياة نور الدين ابتدأ شيء من الاختلاف يدب فيما بينهم، وعندما

مات نور الدين انقسموا إلى شعبتين: الأولى شعبة "قاديان"، ورئيسها بشير الدين محمود بن غلام أحمد، وتزعم هذه الشعبة أن غلام أحمد نبي مرسل، والثانية: شعبة "لاهور"، ورئيسها محمد علي، مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية، وتنظر هذه الشعبة إلى غلام أحمد على أنه مصلح ديني فقط، ولشعبة "لاهور" الأحمدية نشاط كبير في آسيا وأوربا وأمريكا.

وبعيدًا عن هذا الخلاف، فالشعبتان متفقتان في الخطوط العريضة لمذهب القادياني، ويظهران باسم الأحمدية نسبة إلى ميرزا غلام أحمد.

العنصر الثالث: المراحل التدريجية لادعاءات غلام أحمد القادياني

المراحل التدريجية لادعاءات غلام أحمد القادياني من سنة "1880"، إلى "1888" من الميلاد: ما كان غلام أحمد في هذه المرحلة إلا داعية إسلامية يعلن إسلامه ويدافع عنه، ويقسم بعزة الله وجلاله إني مؤمن مسلم أؤمن بالله، وكتبه، ورسله ،وملائكته، والبعث بعد الموت، وبأن رسولنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وخاتم النبيين، ويحث غلام أحمد على الالتزام بقواعد الإسلام، والتحلي بمكارم الأخلاق، وكان المسلمون يتوجسون خلال كتاباته ضروبًا من الادعاءات المبطنة، ويحسبون لها حسابًا؛ لأن الميرزا كان يقول عن نفسه إنه أفضل أولياء الأمة، لكنه كان يعود فيطمئنهم، ويلطف غضبهم في كل مرة، ويحاول تأويل أقواله لإقناعهم بصحة عقائده.

وفي شهر ديسمبر سنة "1888" من الميلاد، نادى في المسلمين ودعاهم إلى مبايعته، وبدأ منذ أوائل "1889" من الميلاد، يأخذ منهم البيعة، وكان يدَّعي حينذاك أنه مجدد العصر، ويظهر للناس مماثلته للمسيح ابن مريم عليه السلام يقول غلام أحمد: "إن الله بعثني مجددًا على رأس هذه المائة، وأعطاني علومًا ومعارف تجب لإصلاح هذه الأمة، ووهب لي علمًا حيًّا؛ لإتمام الحجة على الكفرة والفجرة، وسماني المسيح ابن مريم".

وفي سنة "1891" من الميلاد، أعلن أن المسيح ابن مريم قد مات، وادعى أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود؛ مما أقلق عامة المسلمين، يقول غلام أحمد: "إن عيسى ابن مريم قد مات، وإن قبره لموجود في "سرنكر كشمير" "حارة خان يار"، ورُفع من هذه الدنيا، ولقي الأموات بعد أن عاش مائة وعشرين سنة، وما كان من الراجعين"، ويزعم غلام أحمد إن الله أوحى إليه بقوله: "يا أحمد بارك الله فيك الرحمن علم القرآن؛ لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين، قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين، يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ" إلى آخر هذا الخلط.

ومن السهل أن يجد القارئ لكتب القادياني هذا التلفيق، والخلط لآيات القرآن الكريم في دعواه وحركته القاديانية، ويزعم غلام أحمد امتيازه على عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله: "ولست أنكر مكانة المسيح الناصري، وإن كان الله قد نبأني بأن المسيح المحمدي أفضل من المسيح الناصري".

وفي سنة "1900" ميلادية، بدأ الخواصُّ من أتباعه يلقبونه بالنبي صراحة، وينزلونه المنزلة السامية التي قد خصها القرآن بالأنبياء، أما الميرزا فكان يصدقهم تارة، ويحاول أخرى إقناع الذين كانوا مترددين في الإيمان بنبوته بتأويل نبوته بكلمات: النبي الناقص، أو النبي الجزئي، أو النبي المحدث، وفي سنة "1901" من الميلاد، أعلن الميرزا بوجه سافر أنه النبي والرسول.

وفي سنة "1904" ميلادية، أضاف الميرزا دعوى جديدة إلى دعاويه السابقة، وهي أنه "كريشنا"، ومعناه في اللغة "السنسكريتية": المبهم، يقال إنه أمير هندي، زعموا أنه اكتسب الصفات الإلهية تدريجيًّا، وأنه المتجسد للمرة الثامنة للإله الهندي "فشنو"، ومعنى هذا: أن ميرزا غلام أحمد القادياني، تدرج في دعواه من التظاهر بالإسلام إلى الحلول والتجسد، جامعًا بين الفكر الإسلامي، والفكر المسيحي، والفكر الوثني الهندي، مكونا من هذا المزيج المذهب

القادياني، الذي قامت أصوله لمواجهة الإسلام، وتفتيت وحدة المسلمين، والقضاء على تعاليم الدين الإسلامي على النحو التالي؛ حيث نذكر -إن شاء الله- أصول الحركة القاديانية.

العنصر الرابع: أصول الحركة القاديانية

قامت الحركة القاديانية على عدة أصول، أهمها ما يلي:

1- النبوة ومفهوم الختم: تدرج غلام أحمد في عقيدة النبوة حتى زعم ببقاء الوحي الإلهي، وادعى أن كل باب يمكن أن ينسد، لكن باب روح القدس سيظل مفتوحًا، ويعتقد القاديانيون بنزول الوحي على غلام أحمد في أواخر سنة "1890" من الميلاد، "1283" من الهجرة.

ويعتقد غلام أحمد، أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم استنادًا على ذلك الوحي المزعوم ليس آخر الأنبياء، ويفسر ختم نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأفضلية والزينة، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: 75]، مستدلًّا بالفعل المضارع ﴿يَصۡطَفِي﴾ على تجدد الوحي، وهذا محض جهل، فإن استعمال المضارع موضع الماضي والعكس في كلام البلغاء، خارج عن حد الإحصاء.

ولو أنه أكمل السياق القرآني إلى آخره في نفس الآيات، لوقف على استعمال الفعل الماضي في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: 78]، واقرأ في مشاهد يوم القيامة: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: 44، 45]، فلقد استعمل الماضي موضع المضارع؛ لتحقق الوقوع في قوله ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ كما استعمل المضارع موضع الماضي في قوله: ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ فإن الصد عن سبيل الله واقع هنالك، أم أن هذا تعبير عن الماضي بصيغة المضارع؟

قال الطبري في تفسيره: "إن المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [الأعراف: 45]، يقول: حاولوا الصد عن سبيل الله وهو دينه، حاولوا أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامته.

يقول غلام أحمد عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : "هو خاتم الأنبياء وأفضلهم أجمعين، فلا نبي بعده إلا من خلع عليه رداء المحمدية على وجه التبعية، ومن فرق بيني وبين المصطفى، فما عرفني وما رأى"، ومن ثم كانت تعتقد القاديانية أن جبريلعليه السلام كان ينزل على غلام أحمد، وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن، ويقولون: لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود الغلام، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد، ويعتقدون أن كتابهم منزل، واسمه الكتاب المبين، وهو غير القرآن الكريم. ويعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل، وشريعة مستقلة، وأن رفاق الغلام كالصحابة، ويعتقدون أن "قديان" كالمدينة المنورة ومكة المكرمة، بل وأفضل منهما، وأرضها حرم، وهي قبلتهم وإليها يحجون.

كما جاء في معتقدات القاديانية أن الله يصوم، ويصلي، وينام، ويصحو ،ويكتب، ويخطئ، ويجامع –تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا– بل اعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي؛ لأنه يخاطبه باللغة الإنجليزية، ومن ثم اعتقدت القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعًا. هذا؛ وفي معتقدات القاديانية من القضايا المهمة –بعد ما ذكر– قضية نسخ الجهاد، حين أعلن مؤسس القاديانية في صراحة ووضوح أن القتال حرام، وأن الجهاد باطل، ومما قال في هذا الشأن: "فاليوم حرام على المسلمين أن يحاربوا لدين، وأن يقتلوا من كفر بالشرع المتين؛ فإن الله صرح حرمة الجهاد عند زمان الأمن والعافية، وندد الرسول الكريم بأنه من المناهي عند نزول المسيح في الأمة، ولا يخفى أن الزمان قد بدل أحواله تبديلًا صريحًا، وترك طورًا قبيحًا،

ولا يوجد في هذا الزمان ملك يظلم مسلمًا لإسلامه، ولا حاكمًا يجور لدينه في أحكامه؛ فلأجل هذا بدل الله حكمه في هذا الأوان، ومنع أن يحارب للدين، أو تقتل نفس لاختلاف الأديان، وأمر أن يتم المسلمون حججهم على الكفار، ويضع البراهين موضع السيف البتار". منقولة عن مجموعة (اشتهارات حضرة مسيح موعود).

ولا شك أن اهتمام القاديانية بنسخ أحكام الجهاد، يدل دلالة قاطعة على أنها صنيعة الاحتلال الغربي؛ ليتسنى له استنزاف الثروات واستعباد الشعوب، ومعلوم في شريعة الإسلام حكم فريضة الجهاد، وعظمها ومنزلتها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)) وكذا ((لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر)) لكن نادت القاديانية بإلغاء عقيدة الجهاد، كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية؛ لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن، وفيما اعتقدت القاديانية أن كل مسلم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من زوَّج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر، ويبيحون الخمر، والأفيون، والمخدرات، والمسكرات.

وقضية أخرى كبيرة، هي قضية التأويل: شغلت هذه القضية حيزًا كبيرًا في مؤلفات الجماعة القاديانية لا سيما مؤلفات مؤسسها، حيث عمل على تفسير آيات القرآن الكريم، وأحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تفسيرًا خاصًّا وتأويلًا معينًا، من ذلك ما صنعه في ختم النبوة، ومنه أيضًا تأويله لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: 1].

يقول غلام أحمد: أما قوله: ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ فيدل على زمان فيه يظهر بركات في الأرض من كل جهة، وهو زمان المسيح الموعود، والمهدي المعهود، والمسجد

الأقصى والذي بناه المسيح الموعود في القديان، سمي أقصى لبعده من زمان النبوة، ولما وقع في أقصى طرف من زمن ابتداء الإسلام، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة: 3]، يقول ميرزا غلام أحمد: "أنزل على فيض هذا الرسول فأتمه، وأكمله، وجذب إليّ لطفه ووجوده حتى صار وجودي وجوده، فمن دخل في جماعتي دخل في صحبة سيد المرسلين، وهذا معنى ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة: 3].

ومن تأويله للأحاديث، قوله في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكمًا مقسطًا...)) الحديث، قال: "إن المراد من النزول: هو مجدد عظيم يأتي على قدَم المسيح، ويكون نظيره، وأطلق اسم المسيح عليه، كما يطلق اسم البعض على البعض.

ولا شك أن التأويل الباطني يصطدم مع الوضوح والبيان الذي هو إحدى خصائص الإسلام، وسمة من سمات القرآن الذي سماه الله نورًا، وهدًى، وبينة، وبينات إلى آخر تلك الصفات، التي تدل على تمام الوضوح والبيان، وصدق ربنا القائل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: 17]، وجاءت السنة بيانًا للقرآن، كما قال ربنا تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: 44].

ومن عقائد القاديانية، مسألة نزول المسيح عليه السلام فقد شغلت هذه المسألة حيزًا كبيرًا في الحركة القاديانية، وادعى صاحبها أنه هو المسيح الموعود، الذي أرسله الله تعالى على قدم نبي يشابه زمن غلام أحمد زمنه، وحال قوم أحمد مثل حاله، وعلامات المسيح الموعود كعلامات المسيح الناصري؛ حيث يأتي المسيح الموعود عند النصارى، وعند غلبة مكائدهم وشدة

جهدهم؛ لإشاعة مذهب التنصر، فيأتي وينزل فيهم، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويكون المسيح الموعود للملة الإسلامية، كما كان عيسى الناصري موعودًا للأمة الموسوية.

إنه بهذا يصطدم مع آيات القرآن الكريم، التي تقرر عدم موت المسيح؛ قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 157، 158].

ما هو حكم القادياني على مخالفيه:

يحكم القادياني على مخالفيه الذين كفَّروه أو كذبوه بأنهم كفار لا يصلَّى عليهم، ومعاملتهم كمعاملة أهل الكتاب، فللقادياني أن يتزوج المسلمة، ولا يجوز للقاديانية أن تتزوج مسلمًا، هذا ما قضى به غلام أحمد القادياني بعقله المختل، ولسانه السليط؛ ليقيم أمة داخل أمة، ودولة داخل دولة، بل يدعو أتباعه إلى مقاطعة المسلمين عمليًّا.

العنصر الخامس: العلاقة بين القاديانية والصليبية والصهيونية

العلاقة بين القاديانية، والصليبية، والصهيونية، حيث قامت القاديانية وترعرعت في أحضان الاستعمار الصليبي الإنجليزي الذي لاقى تأييدًا معلنًا، ومشايعته مشايعة صريحة من الحركة القاديانية أثناء احتلاله لبلاد الهند، وفي هذا الشأن يقول غلام أحمد في أسلوب سافر لا غموض فيه، معلنًا ولاءه لأسياده الذين صنعوه لخدمة أغراضهم، ويسروا له السبيل لنشر أكاذيبه: "إن النصارى لا يحاربون المسلمين لإشاعة دينهم في زماننا هذا، ولا يصدونهم عن دين الله بأيديهم، فكيف يجوز للمسلمين أن يحاربوهم مع كونهم ممنوعين، بل إن الدولة البريطانية محسنة إلى المسلمين، والملكة المكرمة –فيكتوريا– التي نحن رعايا لها يرجح الإسلام في باطنها على ملل أخرى، ونحن نعيش تحت ظلها بالأمن والعافية والحرية التامة، وقد أحسنت إلينا، وإلى آبائنا بآلاء لا نستطيع شكرها".

وتمضي الحركة القاديانية مشايعة للمحتل الصليبي بعد وفاة مؤسسها، فعلى لسان ابنه بشير الدين -أي دين؟- بشير الدين محمود يقول: "مرحبًا بولي عهد إنجلترا أمير "ويلز"، نجل "جورج الخامس"، ملك المملكة البريطانية العظمى، أنا إمام الجماعة الأحمدية، وخليفة مؤسسها المسيح الموعود، أرحب بك بالنيابة عن أفراد الجماعة الأحمدية أجمعين عند زيارتك الهند، وأؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية هي وفية للحكومة البريطانية، وستبقى وفية لها -إن شاء الله تعالى- إن المحبة والاحترام والوداد الذي تضمره الجماعة الأحمدية للتاج البريطاني، لا يقدرها إلا من يكون عزيزًا لديهم، ويكون حائلًا بينهم وبين ذلك العزيز، خندق الفراق والهجران الذي لا يمكن اجتيازه، بل تصور اجتيازه ما كان يخطر ببالهم، فأنا بذلك العزيز الذي كان حبه قد شغف قلوبهم، وهم كانوا قانطين من لقائه ووافاهم وبدَّل الوصال بالهجران، واللقيان بالبيْن، فهل يبقى بعد هذا من إنكار لصلة القاديانية بالاستعمار؟.

إن من المقرر والثابت أن الحركة القاديانية، قد أمدت الحكومة الإنجليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية، وقد كانوا أصدقاء أوفياء، وكانوا موضع ثقة الحكومة الإنجليزية، وقد خدموها في الهند وخارج الهند، وبذلوا نفوسهم ودماءهم في سبيلها بسخاء، وحسْب الجماعة الأحمدية القاديانية خزيًا وعارًا تحريم الجهاد والدعوة إلى الاستسلام، وقبول التبعية للمحتل المغتصب الصليبي، وتهيئة المناخ له لاحتلال العالم الإسلامي.

هذا و لم ينته أمر القاديانيين إلى هذا الحد، بل عندما أُخرج المسلمون الفلسطينيون من ديارهم بغير حق، وكان خنجر إسرائيل يضرب في قلب العرب بيد الاستعمار الغربي الصليبي، كانت القاديانية بكامل خطتها تمهد الجو للصهيونية والصليبية، وبذلت القاديانية الجهود العملية في قيام دولة "إسرائيل"، وتأسس مركز التبشير القادياني في فلسطين سنة "1928" من الميلاد، واستمر إلى سنة "1931" من الميلاد، واستمرت العمليات القاديانية تزداد وتنتشر حتى سنة "1947" من الميلاد.

وتقديرًا لجهود القاديانيين، سمحت لهم "إسرائيل" بالإقامة الطيبة، وألا يُمَسوا بأذى، واعترف بهذا الخليفة الثاني بشير الدين محمود بكل افتخار، في الوقت الذي طردت فيه "إسرائيل" سكان البلاد الأصليين، لقد اتحدت القاديانية واليهودية، وظهرت روابط الصداقة العميقة بينهما؛ نتيجة اتحاد أهدافهما ووفائهما للاستعمار، وعداوتهما للإسلام، وعندما نشأت الحرب بين إسرائيل والعرب سنة "1967" وسنة "1973" ميلادية، وجد القاديانيون فرصة لأداء واجب الصداقة، ودخل القاديانيون في المنظمات الفدائية تحت ستار الإسلام؛ فأحدثوا بلبلة في الداخل.

لقد كانوا أوفياء للإنجليز في الهند وأفغانستان، وغيرهما، وكانوا أوفياء كذلك لـــ "إسرائيل"، وتكاتفت الأطراف الثلاثة، وتوثقت الروابط بينهم، وقامت القاديانية بالحفاظ على المصالح الأوربية عامة، والإنجليزية خاصة في إفريقيا، كما كونت القاديانية الكتيبة الأولى الوفية للصهيونية ودولة "إسرائيل".

وأتاح الولاء للصليبية والصهيونية أن تقوم القاديانية بنشاط كبير في الدعوة إلى نحلتهم، وتعددت مظاهر نشاطهم في مجال الكتابة والصحافة، والتعليم، وبناء المساجد، وبث الدعاة إلى كل مكان، وأنشئوا المراكز التي ينبعث منها نشاطهم في الهند وباكستان، آملين إقامة دولة مستقلة لهم، وللقديانيين نشاط خارج الهند وباكستان؛ فقد بعثوا مبكرين بدعاة لهم إلى العالم العربي في العراق، وفلسطين وغيرهما، وفي مصر حاولت جماعة "لاهور" سنة "1939"، وسنة "1940" من الميلاد أن تنال تأييد الجامع الأزهر لدعوتها، فبعثت بطالبَيْن وألحقتهما بكلية أصول الدين، وحاول هذان الطالبان نشر كتيبات باسمهما تحت ستار الإسلام، وشُكلت لجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين آنذاك، وكتبت اللجنة في قراراتها أن القديان كافرون، وفُصل الطالبان من الكلية واعتبروا ملحدين.

العنصر السادس: الجذور الفكرية والعقائدية للقاديانية

كانت حركة سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة، استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية، واختاروا لها رجلًا من أسرة عريقة في العَمالة، وفي عام "1953" من الميلاد، قامت ثورة شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ، واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي عشرة آلاف من المسلمين، ونجحوا في إقالة الوزير القادياني، وفي شهر ربيع الأول سنة "1394" من الهجرة، الموافق لشهر أبريل سنة "1974" من الميلاد، انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، حضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها، وعدم التعامل مع القاديانيين، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

وقام مجلس الأمة في باكستان، والبرلمان المركزي بمناقشة زعيم الطائفة ميرزا ناصر أحمد، والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود –رحمه الله– وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة، عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة، وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، وأصدر المجلس قرارًا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

ومن موجبات كفر الميرزا غلام أحمد الآتي:

ادعاؤه النبوة، ونسخه فريضة الجهاد، وخدمة الاستعمار وموالاته، وإلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إياه إلى قديان، وتشبيهه الله تعالى بالبشر، وإيمانه بعقيدة التناسخ والحلول، ونسبته الولد إلى الله تعالى، وادعاؤه أنه ابن الإله، وإنكاره ختم النبوبة بمحمد صلى الله عليه وسلم هذا فضلا عن العلاقات الوطيدة مع "إسرائيل"، وقد فتحت لهم "إسرائيل" المراكز والمدارس، ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم، وطبع الكتب والنشرات؛ لتوزيعها في العالم.

وتأثرهم بالمسيحية، واليهودية، والحركات الباطنية واضح في عقائدهم وسلوكهم، رغم ادعائهم الإسلام ظاهريًّا.

الانتشار ومواقع النفوذ:

فمعظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في "إسرائيل"، والعالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه، وللقديانيين نشاط كبير في إفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في إفريقيا وحدها ما يزيد على خمسة آلاف مرشد وداعية، متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم، هذا؛ وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب، وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارات الشركات والمفوضيات، وتتخذ منهم ضباطًا من رتب عالية في مخابراتها السرية.

ونشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بكافة الوسائل خصوصا الثقافية منها؛ حيث إنهم مثقفون، ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء، ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التليفزيون الإسلامي يديرها القاديانية، هذا وقد استطاع القاديانيون أيضًا أن يوجدوا قناة فضائية باللغة العربية؛ لتصل دعوتهم إلى العرب، كما لهم مواقع نشطة على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت".

والقاديانية أو الأحمدية في اسمها الجديد؛ حيث تسمت باسم الأحمدية، أو الجماعة الإسلامية الأحمدية، استمرت بعد وفاة زعيمها في صورة خلفاء لهذا الإمام، وصارت لهم ملامح واضحة تعرف باسم ملامح الجماعة، ولها نظامها الإداري والقيادي، ولها إنجازات كبيرة منها تشييد المساجد، ومراكز الدعوة والتبليغ، ونشر القرآن الكريم وترجمة معانيه، وتلك القنوات الفضائية باسم الفضائية الإسلامية العالمية، ونشر المطبوعات الإسلامية، ولهم جرائد ودوريات،

وخدمات صحية وتعليمية، ولهم موارد لنفقات الجماعة كبيرة جدًّا، وميزانيات تشبه ميزانيات الدول.

وتعرف عنهم البيعة، وللبيعة الأحمدية دلالات ولها مقاصد، وهي من صلب المنهج، ويأتي خلفاء الإمام المؤسس، الخليفة الأول، حضرة الحاج الحكيم، مولانا نور الدين القرشي – يقولون: رضي الله عنه وأرضاه– ثم الخليفة الثاني، حضرة الحاج ميرزا بشير الدين محمود أحمد –كذا قالوا: رضي الله عنه وأرضاه– قاد حضرته الجماعة الإسلامية الأحمدية، واتخذ خطوات واسعة ألخصها فيما يلي:

نشر الإسلام والفهم القرآني، وترجمة وطباعة معاني القرآن الكريم في عدة لغات، وإنشاء المساجد في البلدان الغربية، والتدريب الروحي للجماعة على مستوى كل الأعمار: الأطفال، والرجال، وعلى مستوى الذكور والسيدات، مع تعبئة الجماعة من أجل التضحيات، وإنشاء صندوق الوقف الجديد.

ثم جاء بعد ذلك الخليفة الثالث، حضرة الحافظ ميرزا ناصر أحمد – كذا قالوا: رحمه الله– والخليفة الرابع، حضرة ميرزا طاهر أحمد –كذا قالوا: رحمه الله– والخليفة الخامس، حضرة ميرزا مسرور أحمد – كذا قالوا: أيده الله بنصره العزيز.

ويمضي تاريخ الأحمدية بتواجدهم في الديار العربية، حيث انتقلوا من بلادهم إلى بلاد العرب، وفي زمن إمامهم المهدي، والمسيح الموعود جاء إلى بلاد العرب حتى يوجه لهم دعوته وكتب كتابًا للعرب، سماه كتاب (التبليغ الإعجازي)، ومما قال حضرته عليه السلام في ذلك الكتاب الإعجازي: "السلام عليكم أيها الأتقياء الأصفياء من العرب العرباء، السلام عليكم يا أهل أرض النبوة، وجيران بيت الله العظيم، أنتم خير أمم الإسلام، وخير حزب الله الأعلى، وكفى لكم فخرًا أن الله افتتح وحيه، وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وطنًا ومأوى ومنزلًا، وما أدراكم من ذلك النبي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم سيد الأصفياء، خير

الأنبياء، خاتم الرسل إمام الورى، يا سكان أرضٍ وطأته قدم المصطفى إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد الله إني أحن إلى أعيان بلادكم، وبركات سوادكم لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كحل عيني تلك الثرى، يا إخواني إني أحبكم وأحب بلادكم، وأحب رمل طرقكم، وأحجار سككم، فيكم بيت الله الذي بوركت به أم القرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العالم وأظهر جلال الله وجلى، فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى، يا إخواني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبد مردودة، ودموع مفضوضة، فاسمعوا قولي -جزاكم الله خير الجزاء- أيها الإخوان من العرب من مصر، وبلاد الشام وغيرها، إني لما رأيت هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، فلم تطب نفسي ألا أشارككم فيها، ورأيت التبليغ حقًّا واجبًا، ودينًا لازمًا لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تبدى لي من ربي، وأنتظر كيف تجيبون".

وله كتاب آخر اسمه (حمامة البشرى) توجه فيه أيضًا بدعوته للعرب، كما رأينا خليفته الأول نور الدين الذي جاء إلى بلاد المسلمين، والخليفة الثاني؛ ليكون لهذا الفكر التواجد في بلاد العرب والمسلمين، وجاء جلال الدين شمس، ومن بعده أبو العطاء الجلندهاري، ومبلغون أُخر إلى الديار العربية، والأستاذ محمد سليم الهندي، والأستاذ شدري محمد شريف، والأستاذ جلال الدين قمر، والأستاذ فضل إلهي بشير، والأستاذ ملك مبارك أحمد، والأستاذ نور الحق تنوير، والأستاذ غلام أحمد مبشر، والأستاذ روشن دين، والحاج شريف أحمد أميني، هكذا جاءوا لنشر ضلالهم، وأفكارهم، ونحلتهم في وسط بلاد المسلمين.

ويتضح مما سبق أن القاديانية دعوة ضالة ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

الدرس الثالث عشر: الرد على البابية والبهائية والقاديانية

عناصر الدرس

العنصر الأول: الرد على ادعائهم عدم ختم النبوة

العنصر الثاني: الرد على مذهبهم في التأويل

العنصر الثالث: الرد على زعمهم الحرية الدينية

العنصر الرابع: ولاء هذه الفرق لأعداء الإسلام

العنصر الأول: الرد على ادعائهم عدم ختم النبوة

بدا واضحًا من خلال عرض حقيقة الحركة البابية، والبهائية، والقاديانية، أنهم اتفقوا على أمور، منها: تجدد الوحي بعد وفاة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتأويل النصوص الإسلامية تأويلًا باطنيًّا، وزعمهم الحرية الدينية فيما يعتقدون مع إعلانهم الانتساب إلى الإسلام، وقولهم بنسخ فريضة الجهاد، ونسخ العبادات الإسلامية.

وفيما يلي نؤكد موقف علماء الأزهر، وعلماء الإسلام من هذه القضايا؛ حيث ثبت كمال الدين بالإسلام، وختم النبوات بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأكد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في حديثه مع تلميذه السيد محمد رشيد رضا على أن كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لو لم يرد في القرآن، لكانت طبيعة الوجود دالة عليه بمجرد النظر إلى خطاب القرآن وتعاليمه.

وضرب لذلك مثلًا في معرض الحديث عن البهائية، فقال: "إن مثل النوع الإنساني كله، كمثل شخص منه يخاطبه أبوه ومربيه في كل طور من أطوار عمره بما يناسب درجة عقله وحاجة سنه، وكذلك عامل الله النوع الإنساني؛ فخاطب الله قوم كل رسول بحسب درجة عقولهم، وحالتهم الاجتماعية في زمانهم، وكلما ارتقى البشر جعل الله لهم التشريع أرقى حتى ختمه ببعثه خاتم النبيين محمدصلى الله عليه وسلم الذي هو دين الرشد لنوع الإنسان، وحين استجمع للإنسان عند بلوغ رشده حرية الفكر واستقلال العقل في النظر وما به صلاح السجايا واستقامة الطبع، وما فيه إنهاض العزائم إلى العمل، وسوقها في سبيل السعي، ومن يتلو القرآن حق تلاوته، يجد فيه من ذلك كنزًا لا ينفد، وذخيرة لا تفنى، فهل بعد الرشد وصايا، وهل بعد اكتمال العقل ولاية؟!.

كلَّا، قد تبين الرشد من الغي، ولم يبق إلا إتباع الهدى، والانتفاع بما ساقته أيدي الرحمة لبلوغ الغاية من السعادتين، بهذا ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت

الرسالات برسالته، كما صرح بذلك الكتاب وأيدته السنة الصحيحة، وبرهنت عليه خيبة مدعيها من بعده، واطمئنان العالم بما وصل إليه من العلم أن لا سبيل بعد لقبول دعوة يزعم القائم بها أنه يُحَدِّث عن الله بشرع، أو يصدع عن وحيه بأمر، هكذا يصدق نبأ الغيب: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: 40].

ومن الأحاديث الصريحة في هذا المعنى، ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)).

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)).

وما أخرجه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي، قال فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات، قالوا يا رسول الله وما المبشرات؟ قال رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة)) وفي الباب عن أبي هريرة، وحذيفة بن أسيد، وابن عباس، وأم كرز، وأبي أسيد، والأحاديث في هذا الباب صحيحة وصريحة وكثيرة جدًّا.

ومن الجدير بالذكر أن ختم النبوة لم يكن أمرًا معنويًا فحسب، أو قضية عقلية فقط تدل على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بل كان ختم النبوة صفة جسمية لا يشاركه فيها أحد، وهو جزء بارز بين كتفيه صلى الله

عليه وسلم وهو من نوع جسمه، وإن كان بارزًا فيه، ويظهر من مجموع الروايات أنه كان صغيرًا بحيث لا يظهر من وراء الثوب ناتئًا نتوءًا واضحًا، فقيل: إنه كبيضة الحمامة، وقيل: إنه كالتفاحة، ولا بد أن يكون كالتفاحة الصغيرة.

وقد قال سلمان الفارسي رضي الله عنه في قصة إسلامه: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة، وقد تكاثرت الروايات في ذلك حتى بلغ الخبر في ذلك حد المشهور المستفيض، وكأنه وصف جسدي معلم للرسالة لا يماري فيه من رآه، ولله تعالى آيات في خلقه.

هذا؛ ومن دلائل ختمه للنبوة صلى الله عليه وسلم أنه لم يأت بعده نبي حق، وكل من أدعى النبوة بعده فقد وضح كذبه، فهو من الضالين المضلين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى يأتي بعدي ثلاثون دجالًا أو قريب من ثلاثين دجالًا كلهم يزعم أنه نبي، ولا نبي بعدي)) وقد قال الإمام ابن كثير –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: { ئۇ ئۆ}: وقد أخبر الله –تبارك وتعالى– في كتابه ورسولُه صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل، وقال الألوسي في تفسيره: "وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة؛ فيكفر مدعي خلافه ويُقتل إن أصر".

إذا تقرر ذلك، فإنه يدل على أنه لما كانت حاجة الأمم إلى الإصلاح عامة، جعل الله رسالة خاتم النبيين عامة كذلك، لكن يدهش عقل الناظر في حال البشر عندما يرى أن هذا الدين يجمع إليه الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة، ثم يتناول من بقية الأمم ما بين المحيط العربي، وبلاد الصين في أقل من قرن واحد؛ وذلك لسهولة تعلقه، ويسر أحكامه،

وعدالة شريعته؛ وبالجملة لأن فطرة البشر تطلب دينًا وتزداد منه ما هو أمس بمصالحها وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها، وأدعى إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة.

ودينٌ هذا شأنه يجد إلى القلوب منفذًا، وإلى القلوب مخلصًا دون حاجة إلى دعاة ينفقون الأموال الكثيرة، والأوقات الطويلة ويستكثرون من الوسائل ونصب الحبائل لإسقاط النفوس فيه، وصدق الله العظيم الذي وعد بأن يتم نوره بأن يظهر دينه إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: 32]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: 33]، وهكذا فقد سار هذا الدين في سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعوامًا وقرونًا، ثم انحرف به أهله عن سبيله، وساروا به إلى ما يرون وما نرى، ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد بفضل الله تعالى .

العنصر الثاني: الرد على مذهبهم في التأويل

هذه الفرق الباطنية، والبابية، والبهائية، والقاديانية، ومذهبهم في التأويل:

ليست هذه النِّحَل بالمحدثة التي لم يتقدم لها في النِّحَل المارقة في الإسلام ما يشابهها، أو تتخذه أصلًا تبني عليه مزاعمها، وإنما هي وليدة من ولائد الباطنية، تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صورًا من الباطل، خرجت تزعم أنها وحي سماوي، ولولا أن في الناس طوائف يتعلقون بذيل كل ناعق، لما وجدت داعيًا ولا مجيبًا لندائها، وأصل نشأة دعوة الباطنية –التي تقوم على إبطال الشريعة الإسلامية– أن طائفة من المجوس أراموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم؛ وذلك أنهم اجتمعوا، فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف

لغلبتهم واستيلائهم على الملك، لكن نحتال لتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم؛ فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم، ورسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر، وهو أنهم جعلوا الدعوة مراتب:

1- تفرس حال المدعو أقابل للدعوة أو لا؟.

2- استهواء كل أحد بما يميل إليه من زهد أو خلاعة.

3- التشكيك في أصول الدين.

4- أخذ الميثاق على الشخص بألا يفشي له سرًّا.

5- دعوى موافقة أكابر رجال الدين والدنيا؛ ليزداد الإقبال على مذهبهم.

6- تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو؛ لتقع لديه موقع القبول.

7- الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.

8- سلخ المدعو من العقائد الإسلامية، ثم يأخذون بعد هذا في تأويل الشرعية على ما تشاء أهواءهم.

لقد اتخذوا هذه الخطة وسيلة إلى محاربة الدين الإسلامي، مع أنهم كانوا يتظاهرون بأنهم من شيعة آل البيت، وهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء، ولا بشيء من الكتب المنزلة، ولا بيوم الجزاء، ولا بأن للعالم خالقًا، وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث، ولكن يحرفونهما عما أراد الله ورسوله منهما، واقتفى أثر الباطنية، البابيةُ، والبهائيةُ، ومن بعدهم القاديانية، في محاولة للعبث بتفسير القرآن والحديث، وصرفهما عما يراد بهما من حكمة وهداية، والله -جل وعل- يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: 9].

وقد أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين، ودلنا على أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقوم ببيان ما خفي على الناس علمه، فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: 44].

وما زال السلف من الصحابة والراسخون في العلم من بعدهم، يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبما يفهمونه منهم على مقتضى استعمال لغتهم، وأساليب بلاغتهم؛ فجاءوا بعلم كثير، وأدب غزير، وتركوها حِكَمًا رائعة، وشريعة سمحة باهرة، وقوانين اجتماع طاهرة، حتى قام جماعة من أوشاب الناس، يزعمون أن هذا القرآن الذي أنزله الله بلسان العرب، لم يوكل بيانه إلى من كان يقرؤه على الناس بكرة وعشيًّا، ولم يفهم المراد منه، أولئك الذين يتهجدون به في الأسحار سجدًا لله وبُكيًّا، وإنما وكل بيانه إلى مثل علي محمد الشيرازي، وحسين المازندراني، وعباس أفندي، وأبي الفضل الجردشدقاني، وغلام أحمد القادياني؛ ليخوضوا فيه بلغوٍ من القول، وبعبث في التأويل مفسدين، كما صنعوا بالنصوص الثابتة في ختم النبوة على سبيل المثال؛ حيث ينكرون أن يكون الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، ويئوِّلون ختم النبوة بما يوافق هواهم من غير سند أو دليل من كتب اللغة أو أقوال المفسرين، بل قام الدليل على أن الخاتم بفتح التاء أو كسرها بمعنى الآخِر، وخاتمُ النبيين، أي: آخرهم، هذا ما تشهد به كتب اللغة وأقوال المفسرين.

ولم يكن تأويل البهائية، والقاديانية، وأسلافهم لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولهما بشيء ابتدعوه من أنفسهم ابتداعًا، وإنما هو صنعٌ عملوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل؛ فإنا نقرأ في ترجمة "فيلون" الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح، أنه ألف كتابًا في تأويل التوراة، ذاهبًا إلى أن كثيرًا مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة، ويقول الكاتبون في تاريخ الفلسفة إن هذا التأويل الرمزي كان موجودًا

معروفًا عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمن "فيلون"، ويذكرون أمثلة تأويلهم أنهم فسروا آدم بالعقل، والجنة برياسة النفس... إلخ.

العنصر الثالث: الرد على زعمهم الحرية الدينية

وما زالت البابية، والبهائية مذهبين قائمين على أطلال الباطنية، يحملان في سريرتهما القصد إلى هدم الإسلام بمعول التأويل، ودعوى الرسالة، والوحي بشريعة ناسخة لأحكام الإسلام، كما زعموا الحرية الدينية، والخروج على الإسلام، نقول: الإيمان الصحيح المقبول يجيء وليد يقظة عقلية واقتناع قلبي؛ إنه استبانة الإنسان العاقل للحق، ثم اعتناقه عن رضا ورغبة، وقد عرض الإسلام نفسه على الناس في دائرة هذا المعنى المحدد، غير متجاوز له في قليل ولا كثير، قصاراه أن يوضح مبادئه، وأن يمكن الآخرين من الوقوف عليها، فإذا شاءوا دخلوها راشدين، وإذا شاءوا تركوها وافرين، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: 29]. إن الحرية الدينية في أرحب مفاهيمها، هي التي حددت وظيفة صاحب الرسالة، كما قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: 45]، كذا قال الله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية:21، 22]، وربما نفر من هذه الرسالة من لم يؤمن بألوهية قط، وربما نفر منها عبدة الأصنام، وربما نفر منها اليهود والنصارى، ليكن، فليأخذ كل امرئ وجهته التي ارتضاها، أما أنت فاثبت على الهدى الذي شرح الله صدرك به، لم يكن على الإسلام من بأس، ولم يكن عليه بأس أبدًا لو أصر ألوف المنتسبين إلى الأديان الأخرى على البقاء في معتقداتهم، فكلمة ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: 6]، معلنة، وكلمة ﴿

لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: 41]، معروفة.

هذه الكلمات وأمثالها مما تردد في صدر الإسلام، هي التي ظلت تتردد في أواخر العهد المدني، ويخاطب بها كل إنسان ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: 20]، وفي سورة المائدة، وهي من أوآخر السور نزولًا، تحدد وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة:99]، كن مسيحيًّا، أو إسرائيليًّا، أو ما شئت، ولكن لا تكن خصمًا للإسلام، ونبيه، وأتباعه، تتمنى لهم الشر، وتتربص بهم الدوائر، وإذا استفحل في نفسك الكره لهذا الدين، فاحذر أن يتجاوز فؤادك إلى الحياة الخارجية عراكًا مسلحًا، وإلا فأنت الملوم.

إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن ينفرد دين بالسلطة ويمنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار، مثلما صنع الإسلام، إن الإسلام ليس عقيدة قلبية مجردة، بل هو سلوك اجتماعي بعيد الآماد، يتعرض لحياة الإنسان من المهد إلى اللحد، ويمد سرادقه ليشمل المدرسة، والمحكمة، والبيت، والشارع، والسوق، والديوان، وما خفي من أحوال الناس، وما أعلن من شئون الدولة.

وعلى ضوء هذا التقرير الصادق، نسأل: هل يبيح الإسلام حرية الارتداد عنه؟ من حق دينٍ تلك طبيعته ألا يسارع بالرضا؛ فليس في الأوليين والآخرين نظام يعطي على نفسه صكًا بحرية الخروج عليه، إن التنقل بين شتى الأديان ليس أمرًا سهلًا، ولا ينبغي أن ينظر إليه بعدم اكتراث، وهناك حقيقة تدل على أن الارتداد قلَّما يكون أمرًا قلبيًا وحسب، ولو كان كذلك ما أحس به أحد، إن الارتداد في أغلب صوره ستار نفسي للتمرد على العبادات، والشرائع والقوانين،

بل على أساس بناء الدولة نفسها، وموقفها من خصومها الخارجين؛ ولذلك كثيرًا ما يراد، فالارتداد جريمة تمثل الخيانة العظمى، ومقاومته إنما هي واجب مقدس، وأي دولة لا تلام على موقفها الصارم من المرتدين –يوم يكون موقفهم طعنة لوجودها– على أن الارتداد في ظل النظام الإسلامي، يمثل شذوذًا منكرًا لا يمكن تصور بقائه مع استقرار الأنظمة العامة وتوفير المهابة، والنفاذ له، ولقد علمتَ أن الإسلام يتناول بقوانينه كل شيء في المجتمع في كل لحظة من النهار والليل، فكيف يكلف باستبقاء شخص يحوِّل ارتداده القلبي إلى طعن وشغب، أو على الأقل إلى عدم تعاون وفقدان ثقة.

ويبقى أن نسأل سؤالًا في غاية الأهمية: ما موقف البهائية من الحرية؟ لنترك البهاء يجيب على هذا السؤال في (أقدسه)، بما نصه يقول: "فانظروا في الناس، وقلة عقولهم يطلبون ما يضرهم، ويتركون ما لا ينفعهم، ألا إنهم من الهائمين، إنا نرى بعض الناس أرادوا الحرية، ويفتخرون بها أولئك في جهل مبين، إن الحرية تنتهي عواقبها إلى الفتنة التي لا تخمد نارها، كذلك يخبرنا المحصي العليم، فاعلموا أن مطالع الحرية ومظاهرها هي الحيوان، والإنسان ينبغي أن يكون تحت سُنَن تحفظه عن جهل نفسه، وضر الماكرين، إن الحرية تخرج الإنسان عن شئون الأدب والوقار، وتجعله من الأرذلين، فانظروا الخلق كالأغنام لابد لها من راع ليحفظها، إن هذا لحق اليقين، إنا نصدقها في بعض المقامات دون الآخر إن كنا عالمين، قل الحرية في اتباع أوامري لو أنتم من العارفين، لو أتبع الناس ما نزلناه لهم من سماء الوحي؛ ليجدن أنفسهم في حرية بحتة، طوبى لمن عرف مراد الله، فيما نزل من سماء مشيئته المهيمنة على العالمين، قل الحرية التي تنفعكم إنها في العبودية لله الحق، والذي وجد حلاوتها لا يبدلها بملكوت ملك السماوات والأرضين".

العنصر الرابع: ولاء هذه الفرق لأعداء الإسلام

إن الإسلام بطبيعة تعاليمه يأنف من الإلحاد، ويقف ضده، وشرائعه من صلاة، وصيام، وحج، وجهاد، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ودعوة للخير، وتواص بالحق، وإنفاق في سبيل الله، هذه الشرائع توجد أمة متميزة متحفزة، إن خانتها الجدود يومًا فهي حليفتها يومًا آخر، والشريعة الإسلامية الخصبة بمبادئها، والواضحة في أهدافها، تجعل من أصعب الأمور على أعداء الإسلام أن يُفقدوا الأمة الإسلامية شخصيتها، أو أن يجعلوها تتسكع في دروب الأرض متشردة لا تشغلها غاية، وحسبها أن تُطعَم وتَنْسِل، كلَّا.

لقد أحس المستعمرون ذلك بعد أن جثموا بجيوشهم الجرارة على صدر الأمة المهزومة أمدًا ليس بالقصير، وإن تقطيع أوصال العالم الإسلامي، وجعل كل قطر غريب عن الآخر، لهو من الغايات الأساسية للسياسة الصليبية، فإذا جاء البهاء؛ ليوصي بهدم بيت الله الحرام، ويعمل على منع فريضة الحج، فلحساب من؟ إنه لحساب سادتهم، الذين أنشئوهم وظاهروهم، ونكبوا المسلمين بهم، وإذا اتفقت كلمتهم على نسخ فريضة الجهاد فلحساب من؟!.

الجهاد فريضة تقض مضاجع المعتدين، وتقذف في أفئدتهم القلق، إن هذا الجهاد غصة في حلوق المستعمرين، وهم يبغضون التنادي به والتجمع عليه؛ لذلك قامت هذه النبوات الكاذبة في صورة البابية، والبهائية، والقاديانية؛ لتنادي بإسقاط الجهاد عن الناس، ونسخه من شعائر الإسلام، فلحساب من؟!.

لحساب المحتلين الذين عاونوا البابية، والبهائية، والقاديانية، معاوَنة جبارة، وأملهم من مظاهرة هذا الغش الديني، الشغب على تعاليم الإسلام، وبلبلة الأفكار، باختراق دوامات عريضة حول هذه الرسالات السفيهة، هذه الرسالات التي اعتنقت دعوات أنصار السلام، وأخذوا يرددونها على أنها الوحي النازل من السماء، لا الكلام الذي تنكته سماسرة السياسة في الأرض.

هذا هو عبد البهاء، فجأة يقطع جولته التي دعاه الإنجليز إليها في "أوروبا" سنة "ألف وثلاثمائة وتسعة وعشرين" هجرية؛ ليعجل بالسفر إلى حيفا في ديسمبر سنة "ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين" هجرية؛ وليعد العدة لما سوف يكون، وذلك في الوقت الذي كان فيه التهديد بإشعار الحرب من أقوى العوامل تأثيرًا في السياسية الدولية، وقد عاد ليكون تحت إمرة بريطانيا في المكان الذي تعد العدة للوثوب به، والذي كانت الصهيونية تتشوف إليه، وهناك بدأ في صرف البهائية فئة بعد فئة رغبة في العزلة، ثم منع الناس عن زيارته ليصنع الجريمة في حرية، و لم يبق معه من البهائيين إلا الأشياع الذين يعينونه على الخيانة، فيما سنذكر دليل قاطع على أنه كان على بينة مما يُدَبَّر للعرب والمسلمين في الخفاء، والبهائية تجعله دليلًا على أنه كان يتلقى الوحي، إنما هو الوحي من الاستعمار والصهيونية طبعًا.

ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة "ألف وثلاثمائة وأربعة وثلاثين" هجرية، "ألف وتسعمائة وأربعة عشر" ميلادية، وجدَّ عبد البهاء يدمر القوة المعنوية، ويبشر بقرب النجاة والخلاص على أيدي الحلفاء من طغيان الأتراك –وما أكثر الذين يتمنون هذا الخلاص– جدَّ يعمل مع العبيد كي يمهد السبيل للاستعمار في همة ونشاط؛ ليثبت بهذا أنه أخلص العبيد وأشدهم ولاءً وهو يقفز من عكَّا إلى حيفا، ومن حيفا إلى عكَّا وغيرهما، يفسد ويدمر، وينذر، ويتوعد، ويرهب من المقاومة، ويجمع الأنباء، ويرسل بها إلى سادته، ويهجم على الأسرار ويفشيها لهم، إلى غير ذلك مما فعله ولاءً لأعداء الله، ومحاربةً لأولياء الله، وإن الأعداء محاربون لله ورسوله، وكل من والاهم إنما هو محارب لله ورسوله؛ لأنه ينصر أعداء الله على أولياء الله، فهو من الأعداء ومعهم، إنه بعمله ذلك محارب لله، ومحارب لرسوله، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ

أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: 33].

وقد أراد الإسلام أن يضمن سلامة الداخل، وأن يقاوم ما استطاع أعداء الخارج، ولو كانوا ينتسبون للإسلام، فكان لابد من عقاب رادع لهؤلاء وأولئك، يتمثل فيما يراه الإمام المسلم، مما ذكرته الآية الكريمة، من القتل، أو الصلب، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي.

هذا؛ وكل من والى الأعداء، إنما هو كائن انتفى من قلبه الإيمان، ودخل في زمرة الأعداء؛ كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:51]، ولا ينبغي الاستعانة بهم، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗاۖ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: 118]، ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: 119]، ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: 120].

هذا؛ وكيف تقوم هذه الفرق المارقة، والنحل الباطلة، بنسخ فريضة الجهاد، وقد قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: 216]، كيف وقد قال صلى

الله عليه وسلم : ((من مات و لم يغز، و لم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق))

كيف وقد قال الله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: 60].

فينبغي الإعداد بهذه القوة، مادية كانت أو معنوية، والاستطاعة في واقع الأمر لا حدود لها، وهذا الإعداد إذًا لا ينتهي، ولا يفتر في يوم من الأيام، وليعلم أنه إذا تخلف شخص عن أداء واجبه بالنسبة للجهاد، فقد خرج على المبدأ الإسلامي، والأمر الإلهي، حين أُمِر بالجهاد وحُذر من التخلف عنه، والتثاقل إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة: 38، 39]، وبيَّن ربنا أن هؤلاء الذين يتأخرون على القتال، لا إيمان لهم بالله ولا باليوم الآخر، فقال عز من قائل: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [التوبة:44- 45].

ثم ماذا، وهذا بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، عن هذه الفرق المارقة، يقول: "الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد ظهرت البابية، أو البهائية، في بلاد فارس بدعة نشرها نفر من الخارجين على الإسلام؛ بل وعلى سائر الديانات السماوية الأخرى، وقد حمل وزرها رجل يدعى ميرزا علي محمد الشيرازي، الذي أطلق على نفسه لقب الباب، أي: الواسطة الموصلة إلى الحقيقة الإلهية، كان هذا اللقب من قبل شائعًا عند الشيعة التي ظهرت بينها هذه البدعة؛ مأخوذة من حديث الترمذي الموضوع "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، ومن ثم أطلق على هذه البدعة البابية، ثم كان من خلفاء هذا المبتدع، رجل اسمه حسين النوري، أطلق على نفسه لقب بهاء الله، أُطلق على هذه البدعة اسم البهائية، كان من آخر زعمائها، وأشهرهم عباس أفندي عبد البهاء، المتوفى عام "1923"، ثم شوقي أفندي الرباني، المتوفى عام "1957"، ولقد كان مصير صاحب هذه البدعة الأول القتل، في عام "1850" ميلادية، بمعرفة الحكومة الإيرانية القائمة في ذلك الوقت؛ استجابة لآراء العلماء والفقهاء، الذين أفتوا بردته عن الإسلام، كما نفت حكومة إيران خليفته ميرزا حسين علي نوري إلى تركيا؛ حيث انتقل إلى أرض فلسطين، ومات بها، ودفن في حيفا عام "1892" من الميلاد.

والبابية، أو البهائية، فكر خليط من فلسفات وأديان متعددة، ليس فيها جديد تحتاجه الأمة الإسلامية لإصلاح شأنها، وجمع شملها، بل وضح أنها تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار؛ فهي سليلة أفكار، ونِحَل ابتليت بها الأمة الإسلامية حربًا على الإسلام، وباسم الدين.

لقد قالوا بالحلول، وادعو للبهاء أنه الباب، ثم المهدي، ثم ادعو النبوة الخاصة والعامة، ثم الألوهية، وذلك كله باطل، ومخالفة صريحة لنص القرآن، وجَحد البهائيون يوم القيامة، وادعوا نزول الوحي على البهاء، وعارضوا بوحيهم المزعوم القرآن الكريم، وادعوا أن بدعتهم نَسخت جميع الرسالات أو الأديان، وأسرفوا في تأويل القرآن، وجعلوا الصلاة تسع ركعات، والقبلة حيث يكون بهاء الله، وأبطلوا الحج إلى مكة، وقدسوا العدد تسعة عشر، وألغوا فريضة الجهاد، إلى غير ذلك.

وقد قاوم الشعب الإيراني وعلماؤه وحكومته، هذه البدعة حين ظهورها، وناظروا مبتدعها الأول الباب، وحُكم عليه بالردة، وعُدِم في "تبريز" في شهر يوليو "1850"، وحين وفدت هذه البهائية إلى مصر، قاومتها كل السلطات على الوجه التالي:

أولًا: أفتى الشيخ سليم البشري –شيخ الجامع الأزهر آنذاك– بكفر ميرزا عباس زعيم البهائيين، ونُشرت هذه الفتوى في جريدة "مصر الفتاة" لسبع وعشرين من شهر 12/ 1910م بالعدد 692، وصدر حكم محكمة المحلة الكبرى الشرعية، في 30/ 6/ 1946 بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية باعتباره مرتدًا، وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر أكثر من فتوى بردة من يعتنق البهائية، وهكذا صدرت فتاوى دار الإفتاء المصرية، بأن البهائيين مرتدون عن الإسلام.

وأخيرًا أجابت أمانة مجمع البحوث الإسلامية، على استفسار نيابة أمن الدولة العليا عن حكم البهائية، بأنها نِحْلَة باطلة؛ لخروجها عن الإسلام، بدعوتها للإلحاد والكفر، وأن من يعتنقها يكون مرتدًّا عن الإسلام.

والأزهر يقرر أن اتِّباع أي ديانة أخرى غير الإسلام، وغير ما أمرنا به القرآن لا ينبغي احترامه، ولا يُعترف به، وينبغي الوقوف ضده.

والخلاصة: أن العالم ليس بحاجة إلى شريعة جديدة أو وحي متجدد، حتى تكون هناك بابية، أو بهائية، أو قاديانية، والنبوات قد خُتمت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالته، فلا نبي بعده ولا رسول وراءه، وأن دين الله واضح، وأن كتابه غير محرف، وأنه نزل بلسان عربي مبين، وأنه لا يحتاج إلى تأويل، وأنه ليس له ظاهر ولا باطن، وأن هذه المذاهب غير الإسلامية من اعتنقها فهو كافر، وأن التعامل مع أفرادها حرام، وقد ثبت أن هذه المذاهب قامت لتقرير سلطة المستعمر، وتثبيت ولايته على المسلمين، وجملة القول فيها أنها مذاهب استعمارية صهيونية.

وهي مذاهب هدامة، قامت على التلفيق، والمزج والخلط بين الأديان، سيما الإسلام والتيارات والاتجاهات الفلسفية المختلفة، نعم قامت باسم توحيد العالم ووحدة الناس، فأين هذا الوحي الذي جاء به البهاء؛ ليوحد به العالم، وهو عاجز عن تأليف قلوب أقاربه، وأتباعه وأصحابه؟ فكانت فرقته أحزابًا متناثرة وشيعًا متناحرة، وقلوبًا شتى وهذه طبيعة الباطل.

ويبقى في الأخير: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء: 18].

الدرس الرابع عشر: الاتحادية

عناصر الدرس

العنصر الأول: معنى وحدة الوجود، والحلو والاتحاد

العنصر الثاني: ابن عربي (560-638 هـ)

العنصر الثالث: ابن الفارض (576 -632 هـ)

العنصر الرابع: ابن سبعين (613 هـ -669 هـ)

العنصر الأول: معنى وحدة الوجود، والحلو والاتحاد:

قبل الحديث عن الاتحاد عند ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين يجدر بنا دراسة حقيقة المصطلحات والمراد منها، وسيتم ذلك وفق الآتي:

أولا: معنى وحدة الوجود:

الوَحدة –بفتح الواو–: الانفراد.

وحدة الوجود تعني –بأوجز عبارة–: أنَّ الله تعالى والعالَم شيءٌ واحِدٌ. فوجود المخلوق هو وجود الخالق.

ويدَّعون أن الله تعالى هو الذي له الوجود وحده، أمَّا الكائنات والمخلوقات فهي معدومة أزلًا وأبدًا، ويرون أن عقول المحجوبين [غير الصوفية] تتوهم وتتخيل أن المخلوقات موجودة.

يقول ابن عربي: «الكون خيال».

ثانيا: حقيقة الاعتقاد بوحدة الوجود:

يكمن ذلك في الآتي:

1- **الاعتقاد بأن الكائنات هي الله –تعالى وتقدَّس–:**

ولا يعني الصوفية من أهل الوحدة بهذا القول إنكار الأشياء المحسوسة، وجحد الكائنات المشهودة، كالبحار، والجبال، والأشجار ونحو ذلك، وإنما مقصودهم إنكار كونها خَلْقًا؛ لاعتقادهم أن الكائنات –كلها–هي الله تعالى.

2- **الاعتقاد بتجلي الله في صورة المخلوقات:**

ويعتقدون أن الله تعالى يظهر ويتجلى في صور المخلوقات المختلفة، فهو –عندهم–الظاهر في جميع المَظَاهر، لا على معنى أنه يتحد، أو يحل في مخلوق، بل هم يرون: «أنَّ الله ما يتجلى

إلا على نفسه، ولكن تُسمى تلك اللطيفة الإلهية عبدًا باعتبار أنها عِوَض عن العبد، وإلَّا فلا عبد ولا رب، إذ بانتفاء اسم المربوب انتفى اسم الرب، فما ثمَّ إلا الله وحده».

يقول ابن عربي: «فإنَّ العارف مَن يَرَى الحقَّ في كُلِّ شيء، بَلْ يَراهُ عين كل شيء».

ثالثا: معنى الحلول والاتحاد لغة واصطلاحا:

1- معنى الحلول والاتحاد لغة

الحلول في اللغة: النزول، مصدر حلَّ يحُلُّ: إذا نزل بالمكان، ومنه قوله تعالى: {أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ} [الرعد: 31]، وأصل الحلول من: حلَّ عُقَد الحِبال عند إنزال الأحمال: أي فَتَحها ونقضها.

والاتحاد في اللغة: أن يصير المتعدد واحدًا، مصدر من اتَّحَد يتَّحِدُ، يقال: اتحد الشيئان أو الأشياء، أي صارت شيئًا واحدًا، ومادة «وحد» تدل –كما سبق–على الانفراد، والواحد: المنفرد بذاته في عدم المِثل والنظير.

2- معنى الحلول والاتحاد اصطلاحًا:

الحلول والاتحاد عقيدتان نَشَاتَا في بعض الأديان الوثنِيَّة، والفلسفات القديمة، وظهرَتَا على وجهِ الخُصوص بين النصارى الذين حرَّفوا دين المسيح عليه السلام، حيث ادَّعَوا حلول الله أو اتحاده به، كما ظَهَرتا في العالم الإسلامي عند بعض غلاة الطوائف، وبخاصة بعض الفرق المُظْهِرة للتَّشَيّع، الزاعمة حلول الله تعالى، أو اتحاده بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو ببعض ذريته.

وقد اختلفت الآراء في تحديد المراد بالحلول والاتحاد:

1- فرأى فريقٌ من الباحثين أنهما مُتَرادِفان مُتَّفِقان في المعنى، فالحلو عندهم: اتحاد الله بخلقه، والاتحاد عندهم: حلول الله بخلقه.

2- ورَأَى فريقٌ آخر أنَّ الحلول له معنى مباينٌ ومغايرٌ لمعنى الاتحاد، ثم اختلفوا بعد ذلك في تحديد كل منهما.

والحق أنَّ هناك فرقًا بين الحلول والاتحاد.

فالحلول –عند من يعتقده–: هو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية، ودخوله فيها، فيكون المخلوق ظرفًا للخالق بزعمهم.

والاتحاد –عند من يعتقده–: هو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق، فيكُونَا بعد الاتحاد ذاتًا واحدةً.

رابعا: الفرق بين الحلول والاتحاد:

1- أن الحلول إثبات لوجودّيْن، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

2- أن الحلول يقبل الانفصال، أمَّا الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

مثاله: الماءُ والسُّكر، إذا وضعتَ السُّكر في الماء دون تحريك فهو حلول؛ لأنه ثمَّ ذاتان، أمَّا إذا حرَّكته فذاب في الماء صار اتحادًا؛ لأنه لا يقبل الانفصال مرة أخرى.

امَّا لو وضعت ذاتًا لا تذوب في الماء مثل الحجارة فإن ذلك يُسمَّى حلولًا لا تحادًا؛ لأنها أصبحت والماء شيئين قابلين للانفصال.

قال ابن عربي: «واحذر من الاتحاد في هذا الموضع، فإنَّ الاتحاد لا يصح».

وقال: «والقائلون بالحلول غير موحِّدين؛ لأنهم أثبتوا أمرين: حالٌّ، ومحلٌّ».

وقال: «والعابد من كلِّ عابد إنما هو الواحد فما ثمَّ إلا الواحد، والاثنان إنما هو واحد، وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمائة والألف إلى ما لا يتناهى ما تجد سوى الواحد ليس أمرًا زائدًا».

وقال أبو حامد الغزالي: «العارف الكامل كالمتحد بمذكوره، لستُ أقول: متحدًا بالذات، فلا تغفل وتغلط، وتسيء الظن»!

وقال ابن عربي: «الـــمُخَالَلَةُ لا تَصِحُّ إلا بين الله وبين عبده، وهو مقام الاتحاد».
وقوله: «الأحدية لله، والاتحاد للعبد».

العنصر الثاني: ابن عربي (560-638 هـــ)

أولا: ولادته ونشأته:

هو محمد بن علي بن محد، الحاتمي الطائي المرسي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، المشهور عند أهل المشرق بابن عربي، بدون أداة التعريف؛ ليميزوا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي، وأما أهل المغرب فشهرته عندهم ابن العربي، بالألف واللام، كما يسمي هو نفسه بذلك في كتبه.

ولد في مدينة مرية بالأندلس سنة 560 هـــ، ولما بلغ الثامنة من عمره انتقلت أسرته إلى مدينة إشبيلية، وفيها بدأ بطلب العلم، فدرس القرآن والحديث والفقه، وعمل في شبابه كاتبا لبعض الحكام.

ثم سلك طريق التصوف، فانقطع عن الدنيا، وتزهد، واعتزال الناس، وساح في بلدان الأندلس وشمالي إفريقيا، مدة عشر سنين، التقى خلالها بعدد من شيوخ التصوف.

ثم اتجه إلى مكة فأقام بها سنتين، ثم أقام بملطية من بلاد الأناضول، وتزوج بأم تلميذه محمد القونوي، ثم استقر في دمشق، إلى وفاته سنة 638 هـــ.

ثانيا: فلسفته الاتحادية:

وابن عربي هو أكبر دعاة وحدة الوجود، وفيما يلي بيان مذهبه في ذلك:

- **وحدة الوجود**: يرى ابن عربي أن (ما في الوجود إلا الله)، وأن جميع ما يدركون بالحواس هو مظهر لله تعالى، وهذه عنده حقيقة الحقائق، التي تفرق بين العارف بالله

والجاهل به.

يقول ابن عربي: (العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء).

وقال: «تحققنا بالمفهوم والإخبار الصحيح أنه عينُ الأشياء».

وقال: «فهو السَّاري في مسمَّى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صحَّ الوجود، فهو عين الوجود، فهو على كل شيء حفيظ بذاته، ولا يؤوده حِفظُ شيء، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظٌ لصورته أن يكون الشيء غير صورته، ولا يصحُّ إلَّا هذا، فهو الشاهد من المشهود، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير:

فهو الكونُ كُلُّهُ وهو الواحد الذي

قام كوني بكونهِ ولذا قلتُ يغتذي»

ومن قوله المشهور:

ألا كُلُّ قولٍ في الوجودِ كلامهُ سواءٌ علينا نثره أو نظامهُ

يعمُّ به أسماعَ كُلِّ مكوَّنٍ فَمنهُ إليهِ بَدْؤُهُ وختامُهُ

ولا سامعٌ غَيرُ الذي كان قائلاً فمندَرجٌ في الجَهْرِ منهُ اكتتامُهُ

- **فناء الكون:** والكون –عنده –معدوم، والذي جعلنا نتوهم وجوده هو سريان الله فيه بزعمه، يقول ابن عربي (ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة، ما كان للعالم

وجود).

فابن عربي لا يؤمن بالخلق من العدم، وهو يفسر وجود الموجودات بالتجلي الإلهي الدائم، وظهور الله بصورة الكائنات، فعلى الحقيقة ليس هناك عند ابن عربي خالق ومخلوق.

يقول ابن عربي:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا = وليس خلقا بهذا الوجه فادكروا

من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته = وليس يدريه إلا من له بصر

جمع وفرق فإن العين واحدة = وهي الكثيرة لا تبقى ولا تذر

وقد كان ابن عربي من أوائل من استخدم اصطلاح (وحدة الوجود)، ومن ذلك قوله: (فأثبت الكثرة في الثبوت، وانفعها من الوجود، وأثبت الوحدة في الوجود، وانفعها من الثبوت).

وقوله:

فلست غيرا له، ولا هو = لوحدتي في الوجود ثاني

- **مكانة وحدة الوجود عنده:** جعل ابن عربي اعتقاد وحدة الوجود أصل أصول طريقته الصوفية المسماة «الأكبرية»، المنسوبة إليه من حيث إنه شيخ الصوفية الأكبر.

كما بثها في كتبه ورسائله التي تجاوزت 400 مؤلف، وهو بهذا أكثر الصوفية تصنيفا، ومن هذه المؤلفات:

1. الفتوحات المكية.
2. فصوص الحكم.
3. إنشاء الدوائر.

4. التنزلات الموصلية.
5. الفناء.
6. التجليات.
7. ذخائر الأعلاق وترجمان الأشواق.

- **وصفه لله:** وجميع صفات المخلوقات هي –عند ابن عربي –صفات الله، حتى ما كان منها من صفات الذم والنقص، يقول ابن عربي: (ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص وبصفات الذم).

ويقول أيضا: (إذا قيل لك: بماذا وحدت الحق؟ فقل: بقبوله الضدين معا، فإن قيل: ما مني الضدين؟ قل: ما من كون ينعت أو يوصف بأمر إلا وهو مسلوب من ضد ذلك الأمر عندما ينعت به من ذلك الوجه، وهذا الأمر [أي قبول الضدين] يصح في نعت الحق خصوصا؛ إذ ذاته لا تشبه الذوات، والحكم عليه لا يشبه الأحكام).

- **التجلي:** ويقرر ابن عربي أن الله تعالى يتجلى في جميع الكائنات، ويظهر في جميع المظاهر، ولكن أكمل شهود له وأجمله هو شهوده في النساء.

يقول ابن عربي: (إذا شاهد الرجل الحق في المرأة: كان شهوده في منفعل، وإذا شاهده في نفسه –من حيث ظهور المرأة عنه –شاهده في فاعل، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكلم، لأنه يشاهد الحق من حيث إنه فاعل منفعل؛ فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء؛ لكمال شهود الحق فيهن؛ إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا، فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعا، و لم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله).

- **ما انتهي إليه:** ابن عربي في بداية أمره يشير إلى معتقده إشارات خفية، ويرمز له رمزا، مع غموض الأسلوب وتعقيد العبارة، أو يعرضه بوضوح مفرقا في ثنايا كتبه.

وقد كشف ابن عربي –في آخر عمره –القناع عن مذهبه، وجلى للناس عقيدته، حينما ألف كتاب (فصوص الحكم) سنة 627 هـــ، وهو في مدينة دمشق، فعرض فيه المذهب، بصرحة وجرأة، وذكر الأدلة عليه.

العنصر الثالث: ابن الفارض (576 –632 هـــ)

أولا: ميلاده ونشأته:

هو عمر بن علي بن مرشد الحموي، حموي الأصل، مصري المولد والمنشأ والوفاة، عرف بابن الفارض؛ لأن والده كان يثبت الفروض للناس على الرجال عند القضاة، ولد بالقاهرة سنة 576 هـــ، واشتغل في أول حياته بطلب العلم، فدرس الحديث والفقه الشافعي وعلوما أخرى.

ثم سلك طريق الصوفية، وسافر بإشارة من أحد شيوخه إلى مكة، فأقام فيها خمسة عشر عاما، مروضا نفسه على طريقة الصوفية، فكان يخرج إلى الأماكن النائية والخربة، ويسيح في شعاب مكة وأوديتها، وكان يبقى أياما لا يأكل ولا ينام.

وبعد أن بلغ ابن الفارض درجة الكمال الصوفي؛ بوصوله إلى ذروة الاعتقاد بوحدة الوجود، عاد إلى القاهرة سنة 628 هـــ، فاشتهر أمره عند العامة والحكام، وعظمه الصوفية وغلوا فيه، حتى عدوه قطب زمانه، ولقبوه سلطانه العاشقين، وإمام المحبين، وتوفي سنة 632 هـــ.

وديوان الشعر هو الإنتاج الوحيد لابن الفارض، فلم يؤلف كتابا، ولم ترو عنه أقوال في علوم الصوفية، ولكن مع هذا فإن أثره على الصوفية –كان ولا يزال –عظيما، وذلك يرجع إلى أنه أشعر المتصوفين، وحامل لواء الشعر بينهم.

وشعر ابن الفارض شعر رائق، عذب، ولكنه ينعق بوحدة الوجود، ولهذا فقد شبهه

الذهبي، بالفالوذج المسموم.

وأشهر قصائد ابن الفارض: التائية الكبرى، والميمية، فأما التائية فهي أطول قصائده؛ إذ تبلغ 761 بيتا؛ وقد زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسميها «نظم السلوك»، وأما الميمية فهي التي تسمى «الخمرية»، وعدد أبياتها (41 بيتا)، وهاتان القصيدتان أصرح قصائده، وأوضحها في الدلالة على مذهبه في وحدة الوجود، وأما باقي قصائده فهي –في ظاهرها –قصائد غزلية، يذكر فيها أوصاف النساء، وشوقه إليهن، وهو يرمز بهن إلى الذات الإلهية.

ثانيا: فلسفته الاتحادية:

وفيما يلي نماذج من آراء ابن الفارض، ليتبين ما انطوى عليه معان صوفية، وأفكار وجودية:

- **حقيقة وحدة الوجود عنده:** يرى ابن الفارض بأن الاعتقاد بأن الخلق غير الخالق من أعظم الضلال، بل والشرك، وأن الهدى والرشاد إنما هو في اعتقاد سريان الوجود الإلهي في العالم كله.

  وفارق ضلال الفرق؛ فالجمع منتج = هدى فرقة بالاتحاد تحدت

  وصرح بإطلاق الجمال، ولا تقل = بتقييده ميلا لزخرف زينة

- **الكشف والتجلي**: يدعي ابن الفارض أن الذات الإلهية كشفت له عن حقيقة الكون وهو أنه –كله –مجالي لله تعالى، فكل ما يرى ببصره فهو مظهر للوجود الإلهي بزعمه.

  جلت في تجليها الوجود لناظري = ففي كل مرئ أراها برؤية

  ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها = وذاتي بذاتي إذا تحلت تجلت

ولو تأمل القارئ في قوله: (وذاتي بذاتي)، لظهر له جليا إصرار ابن الفارض على هذا المعتقد، وغلوه فيه، فهو في صراحة وجرأة يأبى أن يثبت لله وجودا غير وجوده هو،

أو ذاتا غير ذاته، فلم يقل: (وذاتي بذاته)، أو (ذاته بذاتي)؛ لما في ذلك من إيهام التعدد والإثنينية، وإنما قال: (وذاتي بذاتي)، فليس ثمت -عنده -إلا ذاته فقط، فما ثم -عنده -من خالق ولا مخلوق إلا هو.

- **التوحيد يستلزم وحدة الوجود:** ويرى ابن الفارض أن التوحيد -دين المسلمين -باطل، بل هو -عنده -إلحاد وشرك؛ لأن الموحد -وإن أفرد الله بالإلهية - لم يفرده بالوجود، لاستلزام التوحيد موحدا وموحدا، وفي هذا يقول:

ولو أنني وحدت ألحدت وانستلخـــ = ـــت من آي جمعي مشركا بي صنعتي

- **من مظاهر الاتحاد:** يعتقد ابن الفارض أنه هو والذات الإلهية حقيقة واحدة، ما بطن منها فهو اللاهوت، وما ظهر فهو الناسوت، فهو -بزعمه -إنسان في ظاهره، وإله في باطنه، والكمال -عنده -أنه لا يلهيه باطنه عن ظاهره، ولا ينسيه ظاهره باطنه.

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري = ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

تحققت أنا في الحقيقة واحد = واثبت صحو الجمع محو التشتت

وتأكيد لعقيدة وحدة الوجود زعم ابن الفارض أن جميع صفاته هي صفات لله تعالى، وجميع صفات الله تعالى هي -على الحقيقة -لابن القارض؛ لأنهما في تصوره شيء واحد.

فوصفي -إذا لم تدع باثنين -وصفها = وهيئتها -إذ واحد نحن -هيئتي

ويزعم أيضا أنه يجيب كل من يدعو الله، وأن الله يجيب كل من يدعو ابن الفارض، لأن المدعو على الحالين -عنده -ذات واحدة.

فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن = منادى أجابت من دعاني ولبت

- **توجيه العبادات إليه باسم الاتحاد:** ويدعي ابن الفارض أن المناسك التي ينسكها الحجاج والمعتمرون، والصلوات التي يقيمها المصلون، هي كلها متجه إليه، باعتباره مظهرا

للذات الإلهية.

كل الجهات الست نحوي توجهت = بما ت من نسك وحج وعمرة

لها صلواتي بالمقام أقيمها = وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى = حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي و لم تكن = صلاتي لغيري في أداء كل ركعة

- **وحدة الأديان عنده:** والأديان المختلفة، والنحل المتباينة، هي –عند ابن الفارض –تعبر عن حقيقة واحدة، وتهدف إلى غاية واحدة، هي التقرب إلى ذات واحدة، محجوبة وراء الصور المحسوسة، فاليهود والمجوس وعباد الأحجار هم –عنده –يعبدون الله على الحقيقة، لأن الله هو كل شيء.

وما عقد الزنار حكما سوى يدي = وإن حل بالإقرار فهي حلت

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد = فما بار بالإنجيل هيكل بيعة

وإن خر للأحجار في البد عاكف = فلا وجه للإنكار بالعصبية

وما زاغت الأبصار من كل ملة = وما راغت الأفكار في كل نحل

وإن عبد النار المجوس وما انطفت = كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم = سواي، وغن لم يظهروا عقد نية.

- **الأنوثة هي أحسن وأكمل تجليات الذات الإلهية:** ويعتقد ابن الفارض أن الأنوثة هي أحسن وأكمل تجليات الذات الإلهية، ولهذا فهو يزعم أن الله تجلى لآدم في صورة حواء، ولقيس في صورة لبنى، ولجميل في صورة بثينة، ولكثير في صورة عزة.

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم = بمظهر حوا قبل حكم الأمومة

وتظهر للعشاق في كل مظهر = من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة = وآونة تدعى بعزة عزت

ولسن سواها لا ولا كن غيرها = وما إن لها في حسنها من شريكة

- **الفناء عنده:** ويقرر ابن الفارض بأن المرء لا يكون محبا لله حتى يفنى فيه، والفناء الذي يقصده: هو أن يعتقد أن وجود العبد هو عين وجود الرب، وإذا فني العبد في الله ظهر الله فيه –بزعمه –فكان العبد مظهرا ومجلى لله تعالى:

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا = ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتي

وهكذا يعرض ابن الفارض وحدة الوجود، داعيا إليها، موردا للشبهات عليها، مبينا –للمتصوفة –سبيل الوصول إليها، كل هذا بعبارة رشيقة وألفاظ بليغة، مما كان له أثر كبير في نشر هذا المذهب، فكم سكر المتصوفة من قصائده، وكم خرج أقوام من الملة بسبب اتباعهم لتوجيهاته، وكم أثر في الصوفية حينما يقول لائما من لم يؤمن بوحدة الوجود:

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا = ومن لم يمت سكرا بها فاته الحزم

على نفسه فَلْيَبْكِ من ضاع عمره = وليس له فيها نصيب ولا سهم

وبهذه الأقوال لابن الفارض يتضح جليا أنه كان من المؤمنين بوحدة الوجود، وبها يتبين بطلان مسلك من يحاول تبرئته من هذه العقيدة، كقول أبي العلاء عفيفي: من المبالغة، بل ومن الإسراف الذي لا مبر له، أن نعد ابن الفارض من أصحاب وحدة الوجود، كما فعل تقي الدين ابن تيمية.

والحق أن ابن الفارض من كبار دعاة مذهب وحدة الوجود، والمبالغة والإسراف الذي لا مبرر له إنما هو في عده إمام المحبين، وسيد الأولياء الصالحين.

العنصر الرابع: ابن سبعين (613 هـ -669 هـ)

أولا: مولده ونشأته ومؤلفاته:

هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد، ابن سبعين، الرقوطي المرسي الأندلسي، ولد في بلدة رقوطة في مرسية بالأندلس، سنة 613 هـ، أو 614 هـ.

نشأ في الأندلس، وتعلم فيها مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وتعمق في علوم الفلسفة والمنطق والسحر، وسلك طريق المتصوفة على يد كبار صوفية الأندلس.

وفي سنة 640 هـ، نفي ابن سبعين من الأندلس؛ لسوء معتقده، فانتقل -وبعض أتباعه -إلى المغرب، وعكف في المغرب على قراءة كتب التصوف وتدريسها، كما قام بتأليف أكثر كتبه ورسائله هناك، وتجول في بلدان المغرب لنشر طريقته السبعينية، ولما تكشف مذهبه، وتبين انحرافه، أنكر عليه العلماء، وحكموا عليه بالزندقة، ثم أخرجوه من المغرب.

فكر ابن سبعين في بلد آخر يقيم فيه، وينشر فيه دعوته، فاتجه إلى مصر، ولكن علماء المغرب قد أرسلوا رسولا إلى أهل مصر؛ ليحذرهم من ابن سبعين، وليبين لهم إلحاده، وقوله بوحدة الوجود، فلم يلق ابن سبعين قبولا من أهل مصر، بل قام بعض علمائها بكشف عقيدته، ولا رد عليه، وتنفير الناس عنه، فغادر مصر، متوجها إلى مكة.

أقام ابن سبعين في مكة من سنة 652 هـ، حتى وفاته، وكان خلال هذه الفترة موضع تقدير وتشجيع وحماية من حاكم مكة أبي نمي، فقام ابن سبعين في مكة بنشاط ملحوظ في الدعوة على مذهبه.

ثم إن علماء مكة أنكروا عليه مسلكه الصوفي، وحذروا الناس منه، فهم بالارتحال إلى الهند، يزعم أن ارض الإسلام لا تسعه، ولكنه بعد ذلك آثر الارتحال عن الدنيا بالكلية، فقد ذكر جمع من المؤرخين أنه مات بمكة منتحرا، بأن قطع شرايين يده؛ حتى تصفى دمه، وكان ذلك سنة 669 هـ.

ولابن سعبين عدد من المؤلفات منها:

1- بد العارف.
2- المسائل الصقلية.
3- الإحاطة.
4- الألواح.
5- التوجه.
6- الرسالة النورية.

ثانيا: فلسفته الاتحادية:

آمن ابن سبعين بوحدة الوجود، ولخص مذهبه بعبارة موجزة، هي قوله: الله فقط، هو الكل بالمطابقة، فليس في الوجود -عنده -إلا الله، والله عنده هو كل ما في الكون.

حقيقة وحدة الوجود عنده: وقد اعتمد ابن سبعين على مبدأ التمييز بن ما هو (وجود حقيقي)، وما هو (وجود وهمي)، مقررا أن (الحق واحد، وما عداه وهم).

وتفصيلا لهذا المبدأ قسم ابن سبعين الوجود -تقسيما اعتباريا لا حقيقيا -إلى ثلاثة أقسام:

1- وجود مطلق: وهو الله سبحانه وتعالى.
2- وجود مقيد: وهو جميع الكائنات.
3- وجود مقدر: وهو ما يقع في المستقبل.

وهو يرى أن كلا من الوجود المقيد والمقدر ليس وجودا حقيقيا، بل وهم، أو لا شيء على التحقيق.

أسماء الله وصفاته عنده: ويرى ابن سبعين أن أخص صفات الله هي الوجود المطلق، الثابت في كل موجود، الشامل لكل وجود مقيد، وفي هذا يقول: (الله لا وصف له سوى الثبوت وهو الوجود في كل موجود).

هذا من حيث اسمه الباطن، وأما من حيث اسمه الظاهر فالله -عنده -موصوف بكل صفات الكائنات، ومسمى بكل أسمائها، لأنها ليست إلا هو.

يقول ابن سبعين: (وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمه به، ومن اسمه الموجود كيف يخصص بأسماء منحصرة؟ هيهات الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت نسمه بما سمي به نفسه أو نبيه، يقال لك: من اسمه «الله» قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا هو).

ومعنى اسم الله (الظاهر) عنده: أن الله هو عين كل مظاهر الكون، يقول ابن سبعين: (هو عين كل ظاهر، فحق له أن يتسمى بالظاهر).

بطلان كل ما ينافي وحدة الوجود: وهو يرى بطلان كل اعتقاد ينافي الوحدة، حتى التوحيد الذي يدين به المسلمون، وفي هذا يقول: (لا منفعة في التوحيد، ولا خير -عندي - في الفيض، ولا منفعة في الحلول، ولا فائدة في الاتحاد، ولا شوق إلا مقام، ثم انظر إلى الإحاطة [أي: وحدة الوجود]، وتأمل ما فيها، وحرر القول فيها).

طريقته الصوفية: وقد وضع ابن سعبين لأتباع طريقته (السبعينية) أذكارا وأدعية، تقرر في قلوبهم مبدأ وحدة الوجود، ومن ذلك قوله: (يا الله، لا مسافة بيني وبينك؛ لأنك هوية هويتي، وإنية إنيتي، بل إنيتك ولا إنيتي، وهويتك ولا هويتي، ولولا أنك قلت: أسأل، لم أسأل، وخاطبتك بلسان شريعتك، والقصد في ذكرك، لا في مسألتك، فإن أنعمت علي بك يا أنا، فأنت في حل من جنتك).

وقوله: (اللهم اهدني بك إليك، واجمعني بك عليك).

كان هو وأتباعه يقولون: (ليس إلا الله)، بدل قول المسلمين: (لا إله إلا الله).

مصطلحات وحدة الوجود عنده: وقد استخدم ابن سبعين عدة أسماء للدلالة على هذا المعتقد، منها: وحدة الوجود، والوحدة المطلقة، والكل، والهوية، والإحاطة، وأسماء غيرها،

وفي أقواله الماضية شواهد على ذلك.

وابن سبعين وإن كان من أئمة القائلين بوحدة الوجود، ومن أشهر دعاة هذا المذهب، بل وأشدهم غلوا فيه، إلا أن أثره على المتصوفة من بعده لم يكن كبيرا، وذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها انغلاق كتاباته، وكونه يعتمد على أسلوب الغموض والألغاز، حتى فاق في ذلك غيره من الصوفية.